علوم اللغة (٥)

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الثاني | العدد الأول | ١٩٩٩

الناشر
دار غريب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علـــوم اللغـــة

دراسات علمية مُحكَمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٢ ، ع١ ١٩٩٩

قيمة الاشتراك السنوى :

٨ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراســلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث: **الصفحة**

تقديم

هـذا هـو العدد الخامس من مجلة علوم اللغة ، يصـدر فـى مـوعـده فـى بدايـات عـام ١٩٩٩ متـضمنـا بحـوثـا متخـصصة فـى علـوم اللغة ، تلقـتها المجلة مـن باحثـين ينتمـون إلـى جامعات متعددة فـى مصر والكويت والمـملكة العربية الـسعوديـة ، ويمثـلون اهتمامات متنـوعة فى إطار علوم اللغة .

البحـوث التى تنشر فـى علوم اللغة هدفهـا النهوض بالدراسات الـلغوية فـى مجالاتهـا المختلفة ، ولهذا خططت المجلة لأعداد متخصصة وتم الاتفاق علـى عددين فى مجـال الأصوات يختص كـل منهمـا بجانـب مـحدد ، ويـتم التخطـيط أيضا لعددين فى المصطلح النحوى القـديم ومصطلحات علوم اللغـة . وهـذه الأعـداد تتـم بإشـراف أعلام متميـزين من أعضاء اللـجنة العلمـية لعلوم اللـغة ، ويصدر كل عدد حامـلا اسم المشرف عليـه والمشاركين ببحـوثهم فـيه . وهو نمط جـديد نرجو أن يـتكرر لتغـطى المجلة فـى بعض أعدادها مـوضوعات مـتكاملـة في مجال مـحدد ، إلى جانـب الأعداد ذات المقالات المتنوعة المجالات .

ويطيـب لنـا أن نـسجل للـسادة الزملاء فـى الجامعات الـعربية والأوربـية خـالص الشكر والاعتزاز بمشاركتهم المتزايـدة واقتراحاتهم القيمة . هى مجلتهم جميـعا ، ونحن نتعـاون من أجـل دعم البـحوث الجادة فى مجالات عـلوم

اللغة . إن علوم اللغة فصلية هادفة إلى التواصل العلمى وتبادل الرأى من خلال نشر البحوث المتخصصة فى اللغة العربية والدراسات اللغوية المقارنة والتقابلية .

والله ولى التوفيق ،

أ.د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

لفظ الله

دراسة فى التأصيل المعجمى فى السامية والخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية (*)

د. محمد رجب الوزير

تقديم :

مجال هذا البحث هو دراسة فى التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية وخصائصه المورفولوجية والتركيبية والدلالية .

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تقوم بالكشف عن أصل لفظ الله من خلال المقارنة بينه وبين الألفاظ المشابهة فى اللغات السامية وتحليل الخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية للفظ الله فى العربية .

ولم يشتمل البحث على دراسة الخصائص الصوتية للفظ الله ؛ لأن ملامحها قليلة ، ومن أهمها طريقة نطق اللام فى لفظ الله ، وقد تناولها بالدراسة علماء كثيرون ، من أبرزهم أوجست فيشر فى مقالة بعنوان : فى نطق اسم الله (A. Fischer : Zur Aussprache des Namens des ALLĀH) .

وتهدف هذه الدراسة إلى عدة أمور ، منها :

(١) الكشف عن أصل لفظ (الله) والألفاظ المشابهة والمناظرة فى ضوء

(*) أجيز هذا البحث بعد تحكيمه فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٨ م .

الدراسة المقارنة بين العربية وأخواتها من اللغات السامية .

(٢) تفسير ظاهـرة دلالة صيغة الجمع (آلهة) فى الـعبرية والفينيقيـة على معنى المفرد (الله) .

(٣) تفسير ظاهرة دخول (يا) النداء علـى لفظ (الله) وهو محلًّى بالألف واللام فى مثل : « يا ألله اغفر لنا » .

(٤) بيان الجهد الذى قام به العلماء العرب والمـستشرقون فى مجال تأصيل لفظ (الله) فى اللغات السامية .

ومادة هذا البحث المعجمية مأخوذة من المعاجم والكتب التى وضعها علماء العربية القدامى :

- الجوهرى (ت ٣٩٣ هـ) فى الصحاح .
- الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) فى كتاب العين .
- الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) فى المفردات فى غريب القرآن .
- ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فى مجمل اللغة .
- الفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ) فى شرح أسماء الله الحسنى .
- ابن منظور (ت ٧١١ هـ) فى لسان العرب .

وكذلك من المعاجم والكتب التى وضعها العلماء المحدثون والمعاصرون :

- بيستون وآخرون فى المعجم السبئى (١٩٨٢ م) .

(Beeston and others : Sabaic Dictionary).

- جرومن فى تاريخ حضارة الشرق القديم (بلاد العرب) (١٩٦٣ م) .

(Grohmann : Kulturgeschichte des alten Orients (Arabien)).

- جزينيوس فى قاموس فلهلم جزينيوس العبرى والآرامى عن العهد القديم (١٩٦٢ م) .

(Gesenius : Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament).

- جوردن فى نصوص أجريتية (١٩٦٥ م) .

(Gordon : Ugaritic textbook).

- دِلْمَن فى معجم اللغة الحبشية (١٨٦٥ م) .

(Dillmann : Lexicon Linguae Aethiopicae).

- شمت فى ديانة الساميين (١٩٦٧ م) .

(Smith : Religion der Semiten).

- فون زودن فى القاموس الأكادى (١٩٦٥ م) .

(Von Soden : Akkadisches Handwörterbuch).

- كرامر فى فهرست ألمانى - عبرى وآرامى (١٩٦٢ م) .

(Kramer : Deutsch - hebräischer und - aramäischer Index).

- مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير (١٩٧٠ م) .

إضافة إلى هذه المادة المعجمية اعتمد الدارس فى دراسة الخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية لـلفظ (الله) على نصوص عربية من القرآن الكريم ومن الكتب التى وضعها :

- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) فى الكامل فى التاريخ .
- ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى.
- الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى تاريخ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك .

- أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) فى الفصول والغايات .
- مسلم (ت ٢٦١ هـ) فى صحيحه .

وقد أفاد الدارس من الجهود التى بذلها هؤلاء العلماء فى مجال التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية وخصائصه المورفولوجية والتركيبية والدلالية وأضاف إليها أبعاداً أربعة :

أولها : تتبع مدى شيوع لفظ (إله) فى أخوات العربية من اللغات السامية .

ثانيها : بيان أصل اللفظين : (إلّ وإيل) المناظرين لفظَ (الله) فى العربية ومدى شيوعهما فى اللغات السامية الأخرى .

ثالثها : تقديم تصور جديد لتفسير الميم المشددة الملحقة بلفظ الله فى (اللهمَّ) .

رابعها : حصر الخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية للفظ (الله) فى العربية وتحليلها ودراستها فى ضوء سياقات نصوص عربية .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحليلى لدراسة التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية ، وخصائصه المورفولوجية والتركيبية والدلالية على عدة أسس توضح فى النقاط التالية :

(١) ترتُّب أخوات العربية من اللغات السامية وفقاً للتقسيم الذى يعتمد على الموقع الجغرافى لكل منها هكذا : اللغة الأكادية (البابلية والآشورية) ، فالأجريتية ، فالعبرية (عبرية العهد القديم) ، فالفينيقية ، فالآرامية ، فالسريانية ، فالعربية الجنوبية ، فالحبشية .

(٢) ترتُّب صور لفظ (إله) فى كل لغة سامية ، بحيث ترد صورة المفرد المذكر ،

فالمفردة المؤنثة ، فالمثنى ، فجمع المذكر ، فجمع المؤنث إن وجدت الصور فيها كاملة .

(٣) تكتب الألفاظ التى وردت فى البحث من اللغات السامية بالكتابة الصوتية فى كل حال حتى لو كتب اللفظ منها بحروف لغته الأصلية ، حينئذٍ يكتب اللفظ بالكتابة الصوتية بعد كتابته بحروف لغته الأصلية .

(٤) توضع الكلمات السامية فى حالة الرفع مع التنوين أو التمييم إن وجد أحدهما فى الكلمة ، اللهمَّ إلا إذا وقع اللفظ فى حالة إعرابية أخرى ، فيبقى حينئذٍ على حالته هذه فى البحث .

(٥) يستعان فى البحث بجدول يتضمن جميع الألفاظ الدالة على معنى (الله) أو (إله) فى اللغات السامية للوصول إلى نتائج دقيقة .

(٦) ترتَّب الألفاظ الدالة على لفظ (الله) أو (إله) فى اللغات السامية داخل الجدول الذى يرد فى آخر المحور الأول من البحث والمشار إليه آنفاً ، بحيث ترد الألفاظ التى جاءت على صورة المفرد أولاً ثم الألفاظ التى جاءت على صورة الجمع ثانياً . وترتب الألفاظ داخل كل صورة منهما ترتيباً مقطعياً ، بحيث ترد مجموعة الألفاظ التى يتكون كل منها من مقطع واحد ، فالألفاظ التى يتكون كل منها من مقطعين ، فالألفاظ التى يتكون كل منها من ثلاثة مقاطع وهكذا . . .

ويراعى فى ترتيب الألفاظ داخل كل مجموعة مدى قصر المقطع وطوله ، بحيث يتقدم مثلاً اللفظ المكون من مقطعين : الأول قصير والآخر طويل، على المكون من مقطعين طويلين وهكذا . .

(٧) تُرَتَّب المورفيمات داخل نقطة الخصائص المورفولوجية للفظ (الله) ، بحيث ترد المورفيمات السوابق فالمورفيمات اللوحق ، وترتَّب المورفيمات السوابق فيما بينها ترتيباً ألفبائياً .

(٨) ترتّب الخصائص النحوية للفظ (الله) ، بحيث ترد الخصيصة المتعلقة بالجر بحرف الجر ، فالخصيصة المتعلقة بالجر بالإضافة .

وتقسم دراسة التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية وخصائصه المورفولوجية والتركيبية والدلالية فى هـذا البحث إلى محورين يتفرع عنهما عدة أقسام ، وهما :

المحور الأول : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية .

المحور الثانى : خصائص لفظ (الله) فى العربية .

وبيان دراسة هذين المحورين بالتفصيل فيما يلى :

المحور الأول : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغات السامية :

يقسم هذا المحور فى الدراسة إلى قسمين :

أولهما : خـاص بالتأصيل المعـجمى للفظ اللـه فى أخوات العربية مـن اللغات السامية .

وثانيهما : خاص بالتأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة العربية .

وبيان دراسة هذين القسمين بالتفصيل فيما يلى :

القسم الأول : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى أخوات العربية من اللغات السامية :

يتناول هذا القسم تأصيل لفظ (الله) فى أخوات العربية من اللغات السامية، وهى : اللغة الأكادية (البابلية والآشورية) ؛ والأجريتية ، والعبرية (عبرية العهد القديم) ؛ والفينيقية ؛ والآرامية؛ والسُّريانية؛ والعربية الجنوبية ، والحبشية . وبيان ذلك بالتفصيل فيما يلى :

أولاً: التأصيل المعجمي للفظ (الله) في اللغة الأكادية (البابلية والآشورية):

يوجد فى الأكادية لفظان متناظران يدلان على معنى الإله الحق ، وهما : Ellil ، و ilum . وبيان هذين اللفظين ودراستهما بالتفصيل فيما يلى :

اللفظ الأول : Ellil (وكذلك Illil) :

وهو « فى الأكادية القديمة : Enlil (ويعنى فى السومرية : مالِك الريح) . ويستعمل ذلك اللفظ على وجهين :

أولهما : أنه اسم لآلهة .

والآخر : أنه اسم يدل على الله العَلِىّ فى اللغة الأدبية البابلية . . . ويؤنث اللفظ Ellil على Elli (L) la / ītu بمعنى الإلاهة العَلِيَّة[1] » .

اللفظ الثانى : ilu (m) (وكذلك elu (m)) :

وهو فى الأكادية « بمعنى إلـــه أو إلهـــىّ (واللفظان الساميان هما : il و ilāh)[2] » .

يشير أونجناد إلى أن لفظ ilum يُعَدُّ اسماً من الأسماء « ذوات الأصول الثنائية الصامتة[3] » . ويعنى بذلك : الهمزة فى أوله واللام . أما (u) فتمثل علامة الرفع (الضمة) وأما (m) فيمثل التمييم المقابل للتنوين فى العربية .

ويرد هذا اللفظ فى الأكادية على أربع صور :

---

(1) Von Soden. Wlofram : Akkadisches Handwörterbuch. I. S. 203.b, Z. 47 u. 3 v.u.

(2) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٣٧٣ (ب) / س ٣٨ .

(3) Ungnad. Arthur : Grammatik des Akkadischen : § 36. B. S. 40.

الصورة الأولى : المفرد المذكر :

يرد لفظ المفرد المذكر ilu (m) « فى وظيفة المضاف إليه[1] غالباً هكذا : il ، وفى الأكادية القديمة هكذا : ili[2] » . ويستعمل لفظ المفرد المذكر ilu (m) وكذلك elu (m) فى الأكادية على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أنه اسم لإله مُعَيَّن . ومن هذا الوجه يرد :

« (أ) العَلَمُ على شخص فى بعض الأحيان مثل : -Í -Lum وكذلك -É -Lu فى الأكادية القديمة . أما فى البابلية والآشورية فيكون هذا العلم رمزاً غالباً .

(ب) راعى القَسَم : nīš i - li - im (بمعنى : ناس الإله) فى البابلية القديمة .

(جـ) إله المدينة : il āli (m) فى البابلية القديمة .

(د) إله الحُلْم : ilu ša šutti / šunāti فى البابلية الحديثة .

(هـ) مخاطبة الإله ، مثل : Anāku - ilum - ma (بمعنى : أنا (ها) هو يا أللهُ) فى الآشورية[3] » .

الوجه الثانى : أنه بمعنى الله « فى البابلية الحديثة ، مثل : itti / ana ili (بمعنى مَعَ اللهِ أو إلى الله) وكذلك ša lā i ، بمعنى : الذى ينكر الله[4] » .

الوجه الثالث : أنه بمعنى « الله العَلِىّ ، فى مثل : šū lū il / el - ni[5] » بمعنى : ليته إلهُنا العَلِىّ .

---

(١) Status Constructus.

(٢) Von Soden, W. :Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 373. b, Z. 49.

(٣) Von Soden, W. : Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 373. b, Z . 50.

(٤) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٣٧٤ (أ) / س ١ .

(٥) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٣٧٤ (أ) / س ٣ .

الصورة الثانية : المفردة المؤنثة :

يستخدم « المؤنث من اللفظ ilum في الآشورية الحديثة عَلَما على شخص، مثل : Ištar - ila - a - a[1] » ، أي : عشتَر الإلاهة . ولا يقصد باللفظ هنا معنى الإله المعبود ، إنما هو علم على شخص .

الصورة الثالثة : المثنى :

يرد لفظ المثنى « ilān . . . في الفال الحسن هكذا : i - la - an[2] » .

الصورة الرابعة : جمع المذكر :

يرد لفظ « ilū بمعنى : الآلهة (كلها) ، وكذلك ilānu بمعنى : الآلهة الذاتية العظيمة جمعاً مذكراً[3] » للفظ ilu (m) .

يوضح فون زودن « أن الأسماء المجموعة جمعاً مذكراً باللاحقة (ānu-) في معظم أحوالها ، تُبقى الاختيار ، فيما يبدو ، متروكاً للمتكلم بين استعمالها مختومةً باللاحقة (ū-) ، واستعمالها مختومة باللاحقة (ānu-) طبقاً لما يريده المتكلم من إفصاح عن عبارته . وقد ورد كلا النوعين معاً في البابلية القديمة . من ذلك : ... ilānu ، أي الآلهة الذاتية العظيمة ، و ilū ، أي : الآلهة كلها[4] » .

ثانياً: التأصيل المعجمي للفظ «الله» في اللغة الأجريتية :

يدل لفظ il في الأجريتية على معنى الإله . ويرد هذا اللفظ على أربع صور هي :

(١) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٣٧٤ (أ) / س ٤ من أسفل .

(٢) Von Soden, W. :Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 374. b, Z. 2.

(٣) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٣٧٤ (أ) / س ٤ .

(٤) Von Soden, W. : Grundriss der akkadischen Grammatik, § 61.i, S. 77.

الصورة الأولى : المفرد المذكر :

يرد لفظ المفرد المذكر il على معنى الإله فى مثل : « ṣdq il بمعنى : الإله هو العادل ، و dn . il بمعنى : الإله هو القاضى[١] » وكذلك « yknil بمعنى : الإله يُهَيِّئُ (امراً) أو يقوم (بذاته)[٢] » .

ويرد هذا اللفظ ضمن « تركيب اسمى شائع مكون من لفظ il واسم من أسماء الإله ، مثل : ilhd بمعنى : Hadd هو إلهى ، و ilbᶜl بمعنى Baᶜl هو إلهى ، و ildgn بمعنى Dagân هو إلهى ، و ilršp بمعنى Rašp هو إلهى و ilšpš بمعنى Šapš هو إلهى . وبقدر ما يكون الملكُ مقدساً (عندهم) فإن تركيب ilmlk (بمعنى : الملك هو إلهى) يقع ضمن هذا النوع .

وعند ورود عنصرى التركيب فى وضع مقلوب فإن التركيب يصبح ymil بمعنى : Yamm هو إلهى[٣] » .

يوضح سايروس جوردن « أن الأسماء السامية الشائعة ذوات الأصول الثنائية الصامتة محققة فى اللغة الأجريتية (ومنها) . . . - ilᵓ بمعنى إله[٤] » . ويعنى بذلك الهمزة فى أوله واللام .

الصورة الثانية : المفردة المؤنثة :

يستخدم « لفظ المفردة المؤنثة ilt[٥] » فى الأجريتية بزيادة تاء تأنيث على لفظ المفرد المذكر il بمعنى إله .

---

(١) Gordon, Cyrus H. : Ugaritic textbook, § 8. 65, p. 64.

(٢) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٦٦) ، ص ٦٤ .

(٣) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٦٢) ، ص ٦٤ .

(٤) Gordon, Cyrus H. : Ugaritic textbook, § 8.20, p. 58.

(٥) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٨) ، ص ٥٥ .

الصورة الثالثة : جمع المذكر :

يـرد فـى الأجريتية لفظان لجـمـع المذكر ، أولهـما : لفظ « ilm ويدل على معنى : الآلهة العظيمة[1] » ، والميم فيه علامة جـمع المذكر . من ذلك : « mri ilm بمعنى : قرابين للآلهة[2] » .

واللفظ الآخر هو ilhm بمعنى : الآلهة ، يقول جـوردن : « ويمنعنا السياق المبتور[3] (الذى ورد فيـه) لفظ ilhm الذى لا خلاف حـوله ، من مسـاواة هذا اللفظ بـلفظ אֱלֹהִים[4] » العبرى فى دلالته على معنى المفرد (الله) وهو جمع .

الصورة الرابعة : جمع المؤنث :

للفظة المفردة المؤنثة الدالة على معنى إلاهة (ilt) فى الأجريتية جمع مؤنث « هو ilht[5] » والتاء الأخيرة فيـه علامة جمع المؤنث . أما الهاء فـأغلب الظن أنها مبدلة من التاء فى المفردة المؤنثة .

ثالثا : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة العبرية (عبرية العهد القديم) :

يوجد فى العبرية لفظان متناظران يدلان على معنى إله :

اللفظ الأول : אֵל (ēl) بمعنى إله[6] :

يرد هذا اللفظ فى العبرية على صورتين ؛ هما :

---

(١) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٧٢) ، ص ٦٦ .

(٢) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٧) ، ص ٥٤ .

(٣) The broken context.

(٤) الكتاب نفسه : فقرة ٨ (٨) ، ص ٥٥ .

(٥) Gordon, Cyrus H. : Ugaritic textbook, § 8.8, p. 55.

(٦) لهذا اللفظ فى العبرية خمسة معان أخرى ذكرها جزينيوس فى معجمه :

الصورة الأولى : المفرد المذكر :

وهو لفظ אֵל (ʾēl) الذى يرد « فى العهد القديم لغرض النداء (مثل اللفظ الآشورى ilu) ، ويشير إلى معنى الإله الحق ، وكذلك إلى معنى آلهة الشعوب . . . ولو وجب أن يشير هذا اللفظ إلى إله معيَّن (إله إسرائيل أو الله الواحد لعُرِّف اللفظ حتماً ، مثل : הָאֵל בֵּית־אֵל (hā ʾēl bēṯ- ʾēl) بمعنى : (أنا) الله فى بيت الله[١] » .

وفى حالة إذا ما « أُتبع لفظ אֵל (ʾēl) بتابع ، تمكَّن ، وهو بدون أداة تعريف، من أن يشير إلى معنى الإله الحق، ومن ثمَّ يصير اللفظ (بهذا) علَماً، مثل : אֵל חַי (ʾēl ḥaiy) بمعنى الله الحى[٢] » .

ويستعمل لفظ « אֵל (ʾēl) فى لغة الشعر بدون أداة التعريف ، وبدون أدنى تحديد لمعنى الإله الحق . . . ونادراً جداً ما يقع عكس ذلك (أى يرد معرفا بأداة التعريف) هكذا: הָאֵל (hā ʾēl) دون أدنى تحديد لمعنى الإله الحق[٣] » .

الصورة الثانية : الجمع المذكر :

يجمع لفظ אֵל جمعاً مذكراً على « אֵלִים (ʾēlīm) بمعنى آلهة ، مثل : אֵל אֵלִים ، أى : إلــه الآلــهــة أو الإلـــه العلِىّ . و (يجمع) كذلك على אֵלִם (ʾēlim) بمعنى : آلهة أو حارس الشعوب[٤] » .

---

* Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament, S. 36.b, Z. 4, u. S. 37. a. Z. 2 v.u. والمعانى الخمسة هى : المعنى الأول : عظيم ، والثانى : شجر ، والثالث : عماد الحائط ، والرابع : عقل وقوة ، والخامس : الإشارة إلى الجمع (حين يستعمل اللفظ ضمير إشارة) .

(١) معجم جزينيوس نفسه : ص ٣٦ (ب) ، س ٣٣ .

(٢) Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament. S.37. a. Z. 2.

(٣) معجم جزينيوس نفسه : ص ٣٧ (أ) ، س ٩ .

(٤) معجم جزينيوس نفسه : ص ٣٧ (أ) ، س ٢٥ .

اللفظ الثانى : אֱלוֹהַּ وكذلك אֱלֹהַּ (ᵓœlōah)[1] :

يرد هذا اللفظ فى العبرية على ثلاث صور ، هى :

الصورة الأولى : المفرد المذكر :

وهو اللفظ المذكور آنفاً . ويرد « أولاً : دالاً على معنى إله . . . وثانياً : اسماً علماً على الإله الحق[2] » . و « بينما هذا اللفظ يعدّه بعض العلماء (ومنهم فليشر Fleischer[3]) مأخوذاً من الأصل אלה (ᵓlh) ، إذ عدّه آخرون مكمّلاً للأصل אֵל (ᵓēl)[4] » .

الصورة الثانية : المفردة المؤنثة :

يستعمل لفظ المفردة المؤنثة فى العبرية « אֲלָה (ᵓalāh) بمعنى : إلاهة معبودة[5] » .

الصورة الثالثة : الجمع المذكر :

يجمع لفظ אֱלוֹהַּ وكذلك אֱלֹהַּ جمعاً مذكراً على אֱלֹהִים (ᵓœlōhīm) .

وترد صيغة الجمع هذه دالة « (أولاً) على معنى آلهة متعددة . . . و (ثانياً) على معنى المفرد المذكر ، فتأتى (فى أحوال ثلاث هى) :

(١) بمعنى إله ذى طبيعة ما ، وذلك فى حالة إضافة صيغة الجمع إلى العابد ، فى مثل : אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל ، أى : إله إسرائيل . . . .

---

(1) Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament, S. 39.b, Z. 38.

(٢) معجم جزينيوس نفسه : ص ٤٠ (أ) ، س ٧ ، ١٥ .

(٣) معجم جزينيوس نفسه : ص ٣٨ (ب) ، س ٨ أسفل .

(٤) معجم جزينيوس نفسه : ص ٣٩ (ب) ، س ٧ أسفل .

(٥) يحزقيل قوجمان : قاموس عبرى - عربى ، ص ٣١ .

(٢) للإشارة إلى الإله الحق (الله) إذا سبقت بأداة التعريف هكذا : הָאֱלֹהִים . غير أنها ترد أيضاً بدون أداة التعريف ؛ لتشير إلى هذا العَلَم نفسه . . .

(٣) للدلالة على معنى الذات الإلهية الميتافيزيقية ، وكذلك على ميِّت مبعوث ؛ وعلى إنسان يكاد يكون (لديهم) إلها بالقياس إلى سائر عالم الطبيعة ؛ ومجازياً على موسى بقياسه إلى هارون[١] » .

تفسير ظاهرة دلالة صيغة الجمع السابقة فى العبرية على معنى المفرد (الله) :

وردت صيغة جمع المذكر אֱלֹהִים بدون أداة تعريف دالة على معنى المفرد (الله) فى العبرية (فى سفر التكوين، الآية الأولى من الإصحاح الأول ، والآية الثانية من الإصحاح الثانى ، على سبيل المثال) .

وفى تفسير هذه الظاهرة رأيان :

الرأى الأول : يوضح «أن الاستعمال العبرى لصيغة الجمع אֱלֹהִים والفينيقى لصيغة الجمع אֵלִם يردان وقد دلت كل صيغة منهما على معنى المفرد (الله) لسبب معيّن . وترجع هذه الظاهرة إلى (مسألة) تعدد الآلهة فى الأصل ، وقد حدث ذلك من حين إلى آخر ، فلم يكن كافياً لأن يوضح كيف أن صيغة الجمع تستعمل عادة للإشارة إلى وجود إله فرد . غير أن صيغة الجمع Elohīm بمعنى آلهة لموضع ما فى عهد زمنى قديم لَمَّا عبَّرت عن كل أبناء هذا الموضع المقدسين أصلاً ، الذين عُدُّوا مجموعةً غيرَ محدَّدة موصوفة بصفات غير متشابهة ، فلما عبَّرت عن ذلك ، أتى ، فيما يبدو ، تحوُّلٌ لاستعمال صيغة

(١) Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament, S. 40. a, Z. 19, 33, 37, 9 v.u, und b, Z. 14.

الجمع بعد ذلك ، بحيث دلت على معنى المفرد حين انتقلت الرؤية غير المحدَّدة إلى تصور إله فرد للمقدِس[١] » .

والرأى الثانى يشير إلى أن صيغة الجمع تدل على معنى المفرد (الله) فى العبرية « للتعظيم[٢] » . من الواضح أن الرأى الأول قد فسر ظاهرة دلالة صيغة الجمع فى العبرية على معنى المفرد (الله) عن طريق تأصيل هذه الظاهرة ووصف تطورها التاريخى فى العبرية حتى عبَّرت هذه الصيغة عن معنى المفرد ، وكذلك ربطها بما يناظرها من اللغة الفينيقية .

أما الرأى الثانى فيبدو أنه قاس استعمال صيغة الجمع العبرى الدالة على معنى المفرد (الله) ، قاسه على استعمال ضمير الجمع (مثل : أنتم ونحن وواو الجماعة) فى الدلالة أحياناً على معنى المفرد للتعظيم فى العربية .

رابعاً : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة الفينيقية :

يرد لفظ المفرد المذكر « 𐤀𐤋 (ʾēl) فى الفينيقية للدلالة على معنى الله[٣] » .

ويجمع هذا اللفظ جمعاً مذكراً على « 𐤀𐤋𐤌 (ʾēlim)[٤] » وقد دلت صيغة الجمع هذه على معنى آلهة متعددة فى مرحلة زمنية قديمة ثم دلت بعد ذلك على

---

(١) Smith, W. Robertson : Die Religion der Semiten, S. 101, Z. 5.

وقريب من الرأى الأول المذكور أعلاه ما ذكره الدكتور محمود المراغى (فى كتابه : مدخل إلى اللغة العبرية : ١٧٤) من « أن اليهود فى إحدى فتراتهم الزمنية كانوا يعبدون أكثر من إله حتى جاءتهم الشريعة الموسوية الداعية إلى الوحدانية فاطلقوا كلمة (אֱלֹהִים = إلوهيم) فى صيغة الجمع يريدون بها المفرد للدلالة على أن معبودهم الواحد هذا يجمع صفات جميع الآلهة » .

(٢) رمضان عبد التواب : فى قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) : ٧٥ .

(٣) Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament, S. 37.a, Z. 34 u. 39.

(٤) هكذا وردت الصيغة دون ضبطها بالشكل .

معنى المفرد (الله)[1] ». مثلما دلت صيغة الجمع فى العبرية على المعنى نفسه .

خامساً: التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة الآرامية :

يدل اللفظ « אֱלָהּ ᵓœlāh [2] » فى الآرامية على معنى إله[3] » . ويرد هذا اللفظ فى الآرامية على ثلاث صور :

الصورة الأولى : المفرد المذكر :

وهو لفظ « אֱלָהּ ᵓœlāh » . وقد نشأت نصف الكسرة القصيرة الممالة (œ) فيه من تقصير الحركة (i) التى كانت فى اللفظ الأصلى : ᵓilāh[4] » ، ويرد معرَّفاً هكذا : « אֱלָהָא ᵓœlāhā[5] » بمعنى الله أو الإله .

الصورة الثانية : المفردة المؤنثة :

وهو لفظ « אלהתה ᵓlhṯh[6] » بمعنى إلاهة .

الصورة الثالثة : الجمع المذكر :

يجمع اللفظ אֱלָהּ » جمعاً مذكراً على אֱלָהִין ᵓœlāhīn فى حالة

---

(1) Smith, W. Robertson : Die Religion der Semiten, S. 101, Z. 7.

(2) ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (فى كتابه : فى قواعد الساميات ، العبرية والسريانية والحبشية : ٧٥) لفظاً نظيراً لهذا اللفظ « فى الآرامية (هو) ܐܠܗܐ allāhā » يدل على معنى إله أيضا .
والمرجح أنه لفظ سريانى ، وإن كانت السُّريانية لهجة آرامية .

(3) Kramer, Friedrich Oswald : Deutsch - hebräischer und - aramäischer Index : S. 962, c, Z. 36.

(4) Segert, Stanislav : Altaramäische Grammatik, S. 140, § 3 . 9 . 8 . 4 . 4 und S. 151, § 4 . 3 . 3 . 3 . 7.

(5) كتاب زيجرت نفسه : ص ٢١١ ، فقرة ٥ - ٣ - ١٠ .

(6) Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament : S. 39, b, Z. 39.

وقوعه مطلقاً[1] ، وعلى אֱלָהֵי ᶜœlāhēy فى حالة وقوعه فى وظيفة المضاف إليه[2] » .

سادساً : التأصيل المعجمي للفظ (الله) فى اللغة السريانية :

يدل اللفظ « ܐܠܳܗܳܐ ᵓalāhā (على معنى) الله ، (و) الإله[3] » ، ويجمع جمعاً مذكراً على ܐܠܳܗܶܐ ᶜalāhē (بمعنى) آلهة[3] » .

سابعاً : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة العربية الجنوبية :

تتفرع العربية الجنوبية القديمة إلى أربع لهجات رئيسة ، هى : السبئية ، والمعينية ، والقتبانية ، والحضرمية . وفيما يلى بيان بالألفاظ المتناظرة الدالة على معنى (الله) فى كل لهجة من هذه اللهجات :

(أ) فى اللهجة السبئية : وردت ثلاثة ألفاظ متناظرة دالة على معنى إله أو الله :

اللفظ الأول : « اᶜ ، وبعيم التمييم فى آخره (يصبح هكذا :) m - اᶜ فى السياق الدينى ، بمعنى إله (أو إلاهة) ومعبود[4] » .

وأشار جزينيوس إلى أن هذا اللفظ يرد « فى العربية الجنوبية بوصفه اسماً لله أيضاً[5] » .

---

(١) Status absolutus.

(٢) Segert, S. : Altaramäische Grammatik, S. 211, § 5 . 3 . 10.

(٣) احمد ارحيّم هبو : المدخل إلى اللغة السريانية : القسم الرابع : معجم الألفاظ ومقارنتها باللغات السامية : ٣٥٦ .

(٤) Beeston, A. F. L and others : Sabaic dictionary (English - French - Arabic), p. 5, line 5.

(٥) Wilhelm Gesenius ' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament, S. 37, a, Z. 42.

وترد منه صورة « المفـردة المؤنثة على ʾlt ، والمثنـى على ʾly ، والجمع على ʾlʾlt[1] » .

اللفظ الثانى : « ʾlh بمعنى إلـه (أو إلاهة) ومعبود . (وترد مـنه صورة) المفردة المؤنثة فى نقش YM 386 / 2 هكذا : ʾlht . أما صورة الجمـع منه فورودها أمر مشكوك فيه[2] » .

اللفظ الثالث : « ʾlh - n ʾʾ ، وهو معرف بالنون . ويـرجع هذا اللفظ إلى عصر التوحيد ، وهو عبرانى منقول بمعنى الله ، والإله[3] » .

(ب) فى اللهجة المعينية لم يستعمـل لفظ إله أو أية ألفاظ مناظرة ، فيما يبدو ، بل استعملت ألفاظ أخرى دالة عـلى معنى إله ، منها « لفظ wadd ، أى إله القمر[4] » .

(جـ) فـى اللهجـة القتبانيـة يـدل لفـظ ʾil على معنـى إله أو الإله فى مثل : ʾIl - Fahr أى الله القوى ، و ʾIl - taᶜalay أى الله تعالى[5] » .

(د) فى اللهجة الحضرمية (لهجة حضرموت) « يطلق على إله القمر اسم Sīn ، كما هو الحال فى البابليـة القديمة (ويرد) باللقب : Ḏū ʾIlim بعد (ذكر) معبد من معابده[6] » .

---

(١) Beeston, A. F. L and others : Sabaic dictionary (English - French - Arabic) p. 5, line 5.

(٢) المعجم السبئى نفسه : ص ٥ ، س ٥ ، ٦ .

(٣) المعجم السبئى نفسه : ص ٥ ، س ٨ .

(٤) Grohmann, Adolf : Kulturgeschichte des alten Orients (Arabien), S. 244, Z. 21.

(٥) الكتاب نفسه : ص ٢٤٦ ، س ٢٣ .

(٦) الكتاب نفسه : ص ٢٤٤ / س ٣٠ .

ثامناً : التأصيل المعجمي للفظ (الله) في اللغة الحبشية :

يرد اللفظ ኤሎ (ʾelo) بمعنى الإله في الحبشية[1] ، خاصة في العهد الجديد وذلك ضمن التعبير ኤሎሄ (ʾelohē) ففي متى ٢٧ : ٤٦ ورد هذا التعبير مكرراً هكذا :

ኤሎሄ : ኤሎሄ (ʾelohē ʾelohē) أي : إيلي إيلي في جملة : « صرخ يسوع قائلاً : إيلي إيلي لما شبقتني » . وفي مرقص ١٥ : ٣٤ ورد التعبير نفسه مكرراً أيضاً في جملة : « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إلوي إلوي لما شبقتني »[2] .

ويروى التعبير نفسه في كتاب الأسرار مكرراً أيضاً في جملة : « والطاهر الذي قال فوق خشبة الصليب : إيلي إيلي[3] » . وهذا التعبير (ኤሎሄ ʾelohē) مكون من اللفظ ኤሎ ʾelo بمعنى الإله ، واللاحقة ሄ hē ، وهي ضمير إشاري يعني هنا أو هناك ويشير أحياناً إلى المكان كما يشير إلى حالة النصب مثلما هو الحال في النداء في قولنا : يارجلا[4] .

---

(١) ذكر ڤولف لزلاو Wolf leslau (في معجمه :
(Comparative Dictionary of Ge^{c}ez, p. 12 and 344

لفظين آخرين يدل كل واحد منهما على معنى الإله في الحبشية :
اولهما : እግዚአብሔር (ʾəgziʾab (ə) ḥer) وهي كلمة مركبة من جزأين : الأول : እግዚ (ʾəgzi) بمعنى سيد أو صاحب ، والآخر : ብሔር bəḥer بمعنى الأرض أو الكون .
وثانيهما : አምላክ ʾamlāk .

(٢) ينظر : Dillmann, August : lexicon linguae Aethiopicae, p. 718.

(٣) Grebau, Sylvain : Livre de Mysters du Ciel et de la Terre, Parologia Orientalis, p. 404.

(٤) ينظر :
Dillmann, August : Ethiopic Grammer. Second Edition Enlarged and Improved by carl Bezold, p. 320.

القسم الثانى : التأصيل المعجمى للفظ (الله) فى اللغة العربية :

تتم فى هذا القسم دراسة مسألتين : أولاهما خاصة بأصل لفظ (الله) فى العربية ، وثانيتهما خاصة بأصل اللفظين : « إلّ ، وإيل » المناظرين لفظ (الله) فى العربية .

وبيان هاتين المسألتين ودراستهما فيما يلى :

المسألة الأولى : أصل لفظ (الله) في العربية :

يعرف لفظ (الله) فى العربية بأنه « عَلَم دال على الإله[1] الحق دلالة جامعة لمعنى الأسماء الحسنى كلها[2] » . ولعلماء العربية فى بيان أصل لفظ (الله) ثلاثة اتجاهات ، يتفق الأول والثانى منها على أن اللفظ عربى مع فارق بينهما فى توجيه اللفظ إلى الأصل العربى . أما الاتجاه الثالث فيرى أن اللفظ ليس عربياً وأن العرب أخذوه من العبرية والسريانية .

وتوضيح هذه الاتجاهات الثلاثة وبيان رأى الدارس فيها فيما يلى :

الاتجاه الأول : يرى أن أصل لفظ (الله) هو « إله » أو « الإله » وأصحاب هذا الاتجاه هم : سيبويه والطبرى والزمخشرى ؛ فسيبويه يرى أن أصل اللفظ هو « إله » وأن الألف واللام لزمتاه بعد حذف الهمزة ، فهما عوض من الهمزة ، يقول فى ذلك :

« وكأن الاسم ، والله أعلم ، إله ، فلما أُدْخِل فيه الألف واللام حذفوا الألف ، وصارت الألف واللام خلفاً منها . فهذا أيضاً مما يقوّيه ان يكون بمنزلة

---

(١) يقول ابن منظور (فى اللسان مادة (أله)) : « الإله : الله عزَّ وجلَّ ، وكُلُّ ما اتُّخِذَ من دُونه مَعْبوداً إلهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِه ، والجمع آلهة . والآلِهةُ : الأصنامُ ، سُمُّوا بذلك لاعتقادهم ان العبادة تَحُقُّ لها وأسماؤهم تتبعُ اعتقاداتهم لاما عليه الشئ فى نفسه » .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ١٧٧ .

ماهو من نفس الحرف[١] » .

بيد أن الطبرى يشير إلى أن أصل اللفظ هو « الإله » ، ويفهم من ذلك أن الألف واللام وجدتا فيه قبل حذف الهمزة ، وأنهما - على رأيه - ليستا عوضاً من الهمزة ، مخالفاً فى ذلك رأى سيبويه السابق ، يقول الطبرى : « الله أصله الإله ، أسقطت الهمزة التى هى فاء الاسم ، فالتقت اللام التى هى عين الاسم واللام الزائدة التى دخلت مع الألف الزائدة وهى ساكنة فأدغمت فى الأخرى التى هى عين الاسم فصارتا فى اللفظ لاما واحدة مشددة[٢] » .

أما الزمخشرى فإنه يتحرك بين مفهومين : الأول يوحى بأن الألف واللام طارئتان للتعريف ويجوز الجمع بينهما وبين الهمزة ، والآخر يؤكد أن الألف واللام فى لفظ (الله) عوض من الهمزة ، على الرغم من أن العوض لا يجتمع مع المعوّض منه ولا يستغنى عنه إلا إذا جئنا ببديل ، يقول الزمخشرى : «(الله) أصله الإله . . . فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف . . . والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس ، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق . . . وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره[٣] » .

الاتجاه الثانى : يرى أن لفظ (الله) في العربية علم يدل على المولى عز وجل ، وضع أصلاً بالألف واللام ، وليس أصله (الإله) ؛ لأنهما يختلفان لفظا ومعنى . وصاحب هذا الاتجاه هو ابن مالك ، يقول فى ذلك :

« ومن الأعلام التى قارن وضعها وجودُ الألف واللام « الله » تعالى المنفرد به ، وليس أصله الإله كما زعم الأكثرون ، بل هو علم دال على الإله

---

(١) سيبويه : الكتاب : ٢/١٩٥ ، وينظر : المقتضب للمبرد : ٤/ ٢٤٠ .

(٢) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن : المجلد الأول ، ص ٤٢ .

(٣) الزمخشرى : تفسير الكشاف : ١/ ١٢ .

الحق . . . لأن الله والإلـه مختلفان فى اللـفظ والمعنى . أما فى الـلفظ فلأن أحدهما فى الظاهر الذى لا عدول عنه دون دليـل معتلّ العين ، والثانى مهموز الفاء صحيح العين واللام فهما من مـادتين . . . وأما اختلافهما فى المعنى فلأن الله خاص بـربنا تبارك وتعالى فـى الجاهلية والإسلام ، والإله لـيس كذلك ، ولهذا يستحضر بذكر الله مدلولات جـميع الأسماء ، ولا يستحضر بالإله إلا ما يستحضر بالمعبود[1] » .

الاتجاه الثالث : يرى أن لفظ (الـله) ليس عربيـاً ، وأن العرب أخذوه من العبرية والسريانية ، وهو فيهما « إلها » وحين أخذه العرب حذفوا المدة التى كانت فى آخره للتخفيف والإيجاز . وصاحب هذا الاتجاه هو أبو يزيد البلخى ، يقول فى ذلك : « قولنا « الله » ليس مـن الألفاظ العربية ، وذلك لأن اليهود والنصارى يقولـون : الها ، والعرب أخذوا هذه اللفظة مـنهم ، وحذفوا المدة التى كـانت موجودة فى آخرهـا ، وذلك لأن المدة كثيرة فـى اللغة السريـانية ، وميل العرب إلى التخفيف والإيجاز ، فـحذفوا هذه المدة ، مثل قولهم بدل أبا أب ، وبدل روحا روح ، وبـدل نورا نور ، وبدل ليـلا ليل وبدل يـوما يوم ، وفيما يـشبه هذا اسم الملك ، فـإن الموجود فى لغتى الـعبرانية والسريـانية بدل ملك مالاخا ، وهذه الخاء تـرجع فى عامة الألفاظ المعربة المنقولـة من السريانية إلى الكاف[2] » .

ويرى الدارس أن أصل لفظ (الله) هو (الإله) وحذفت منه الهمزة ليختصَّ بالعلميـة على المولى عزَّ وجلَّ ، وأن لفظ (إله) عربىّ مـن أصل سامى ، فهو من الساميـة الأم وليس عربياً فقط ، فـإنه - كما اتضح من دراسة تـأصيله فى القسـم الأول من هذا المحور - مـن الألفاظ المشـتركة التـى شاعت أيضـاً فى العبرية والآرامية والسريانية والعربية الجنوبية .

---

(١) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/١٧٧ .

(٢) الرازى : شرح أسماء الله الحسنى : ص ١١٣ .

صورة مؤنث لفظ (إله) :

يؤنث لفظ « إله » بمعنى معبود في الجاهلية على « إلاهة » اسماً للشمس؛ لأنهم عبدوها[١] .

أما « اللات » فهى اسم صنم فى الجاهلية . ويرى الراغب الأصفهانى أن « أصل اللات : اللـه ، فحذفوا منه الهاء وأدخلوا التاء فيه وأنَّثوه تنبيهاً على قصوره عن الله تعالى وجعلوه مختصاً بما يتقرب به إلى الله تعالى فى زعمهم[٢] » .

على حين يرى برجشتراسر أن « اللات أصلها al-ᵓilat والفتحة فيها ممدودة . . . وأما مذكر اللات الثنائى فلا يوجد فى العربية الفصيحة ، وهو فى الأكدية ilu ᵓ وفى العبرية el ᵓ ، وينوب عن ذلك فى العربية إلاه بزيادة الهاء[٣] » .

يتضح مما سبق أن الراغب الأصفهانى يرجع لفظ (اللات) إلى أصل عربى ذى جذر ثلاثى مكون من الهمزة واللام والهاء وأن الهاء حذفت منه وأنثوه بالتاء . أما برجشتراسر فيرجعه إلى أصل غير عربى ذى جذر ثنائى مكون من الهمزة واللام .

ويلاحظ الدارس أن لفظ (اللات) يشبه اللفظ الأكادى « Ellilītu بمعنى الإلاهة العَلِيَّة (لديهم) ، وهو مؤنث Ellil[٤] » ، يشبهه فى البدء بهمزة تعقبها لام مشددة ثم تاء فى آخره .

---

(١) ذكر الراغب الأصفهانى (فى كتابه : المفردات فى غريب القرآن : ٢١) أن « إله جعلوه اسما لكل معبود لهم وكذا الذات ، وسمُّوا الشمس إلاهة لاتخاذهم إياها معبوداً ، وأله فلان يأله : عَبَد » .

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن : ٤٥٥ .

(٣) برجشتراسر : التطور النحوى للغة العربية : ٦٢ .

(٤) Von Soden , Wolfram : Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 203.-b, Z. 3 v.u.

صورة مثنى لفظ (إله) وجمعه :

يثنى لفظ (إله) على (إلهَيْنِ) فى العربية ويجمع على (آلهة) .

المسألة الثانية : أصل اللفظين « إلّ . وإيل » المناظرين لفظ « الله » فى العربية :

يوجد للفظ (الله) فى العربية لفظان مناظران ، هما : « إلّ » « إيل » وفيما يلى بيان لأصل كل من اللفظين ودراستهما :

أولاً : أصل لفظ « إلّ » المناظر لفظ « الله » :

ورد لفظ « إلّ » بمعنى « الله »[1] فى « حديث أبى بكر ﷺ ، لما تُلى عليه سَجْعُ مُسَيْلمة : إنَّ هذا لشئٌ ما جاءَ من إلٍّ ولا بِرٍّ فأيْنَ ذُهِبَ بكم[2] » . فمعنى قوله : « إل » هو الله عزَّ وجل[3] ، ومعنى « برّ » : صِدْق .

إن ما رآه كل من الجوهرى وابن سيده من أن لفظ (إلّ) يرد فى العربية بمعنى (الله) ، وما ورد فى البحث من نصوص عربية استُعْمل فيها اللفظ نفسه

---

(١) يقول الجوهرى (فى الصحاح : ٤/١٦٢٦ مادة ال ل) : « الإلُّ ، بالكسر ، هو الله عزّ وجل » ويقول ابن سيدة (فى اللسان مادة ال ل) : « الإلُّ : الله عزُّ وجلُّ ، بالكسر » .

(٢) ابن منظور : لسان العرب : مادة (الل) .

(٣) إضافة إلى هذا النص ورد نصان فى كتاب الفصول والغايات لابى العلاء المعرى استعمل فيهما لفظ «إلّ» بمعنى الله ؛ ففى النص الاول (ص ١٤٢) يقول ابو العلاء : « رَجْع : ربُّنا إله ما الأهُ ، كُفْرَان إلاهُ ، انْ يتابعَ فَضْلَهُ ونُعْماهُ فالْ نَفْسَكَ تَقْوَ على تَقْوَاهُ ، والُّ الشرَّ بإلّكَ تريدُ ما نَاقاهُ ، واعبُدْ إلّكَ ودَعْ ما سِواهُ » .

ويفسر ابو العلاء معانى كلمات نصه هذا بقوله (ص ١٤٢ ، ١٤٣) : « ما الأهُ : ما قَصَّرَ به ، والإلى : النِّعمة واحدة الآلاء . وألْ نَفْسَك اى سُسْهَا . وألّ الشرَّ بالّكَ اى اطْعَنْهُ بحربتكَ ، وإن كَسَرْتَ بالّك فمعناه : ادفع الشر بإلِهكَ ، واعبُدْ إلّكَ : اى ربَّكَ » .

ويقول فى النص الثانى (ص ٣٣٩ من الكتاب نفسه) : « رَجْع : والجامعة والهلُّ مقدسات للإلّ تعالى الماجد » وفى تفسير معنى الإل فى هذا النص يقول ابو العلاء (ص ٣٤١) : « والإلُّ : الله تبارك وتعالى » .

بهذا المعنى ، إن ذلك كله ينفى ما رآه الفراءُ من أن هذا اللفظ ليس من أسماء (الله) عز وجل ، وقد وافقه الراغب الأصفهانى فى ذلك[١] . « قال الفراء : الإلّ : القرابة والذمة والعهد . وقيل : هو من أسماء الله عز وجل ، قال : وهذا ليس بالوجه ، لأن أسماء الله تعالى معروفة كما جاءت فى القرآن ، وتليت فى الأخبار . قال : ولم نسمع الداعى يقول فى الدعاء : يا إلُّ ، كما يقول : ياالله ويارحمن ويارحيم ، يا مؤمن ، يا مهيمن[٢] » .

فليس عدم ورود لفظ (إلّ) فى القرآن والأخبار بمعنى (الله) وعدم استعماله في الدعاء دليلين على عدم وجوده بهذا المعنى فى النصوص العربية الأخرى وفى أساليب أخرى غير الدعاء .

ويلاحظ أن اللفظ (إلّ) فى العربية يشبه « اللفظ (Ellil) فى الأكادية ، وهو بمعنى الله العلىّ فى اللغة الأدبية البابلية[٣] » ، يشبهه فى البدء بهمزة مكسورة ولام مشددة ، وفى الجذر الثنائى (الهمزة واللام) ، وإن كانت اللام الأولى فى اللفظ الأكادى مبدلة من النون فى اللفظ الأكادى الأقدم Enlil[٤] .

ثانياً : أصل لفظ « إيل » المناظر لفظ « الله » :

ورد لفظ « إيل » بمعنى (الله) فى العربية مركباً مع كلمة سابقة عليه ليكوّنا معاً اسم عَلَمٍ مثل : إسرائيل ، وجَبْرائيل وعزرائيل ، وميكائيل .

وتحذف منه الهمزة فى نحو : إسماعيل ، وإسرافيل ، وجبْرِيل

---

(١) يقول الراغب الأصفهانى (فى كتابه : المفردات فى غريب القرآن : ٢٠) : « قيل : إلّ . . . اسم الله تعالى . وليس ذلك بصحيح » .

(٢) ابن منظور : لسان العرب : مادة أ ل ل .

(٣) Von Soden, Wolfram : Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 203. b, Z. 47.

(٤) معجم فون زودن السابق : جـ ١ / ص ٢٠٣ (ب) / س ٤٧ .

و « شَرْحَبِيل ، وشَرَاحيل وشِهْمِيل[1] » .

يرى الخليل بن أحمد أن لفظ «إيل» فى العربـية منقول من اللغة العبرية ، يقـول فى ذلـك : « جاء فـى التـفسيـر أن كل اسـم فى آخـره « إيل » نـحو (جبرائيل) فهو معبد لله ، كما تقول : عبد الله ، وعبيد الله . وإيل اسم من أسماء الله عزّ وجل بالعبرانية[2] » .

وقد خالف رأى الخليل فى ذلك الراغـبُ الأصفهانى ، يقول : « وقيل : . . . إيل اسمُ الله تعالى ، وليس ذلك بصحيح[3] » .

أما اللفظ العبرى الذى يقصده الخليل فهو (ēᵓ) بمعنى إله وحين نقل إلى العربية تحـولت حركة همزته ، وهى الكسـرة الممالة الطويلة إلى كـسرة خالصة طويلة .

ولم يكن وجود اللفظ « إيل » مقصوراً علـى اللغتين : العبرية والعربية ، ولكنه وجـد أيضاً فى بعض اللغـات السامية الأخرى ، فهـو فى الأكادية elum وفى الفينيقية ēlᵓ وفى الحبشية ᵓelo ، وقد اتضـح ذلك من دراسة أصـل لفظ (الله) فى أخوات العربية من اللغات السامية فى القسم الأول من هذا المحور .

وفيمـا يلى جدول يتضـمن الألفاظ الدالة عـلى معنى (اللـه) أو (إله) فى اللغات السامية ثم ملاحظات للدارس على ما يتضمنه هذا الجدول :

---

(١) يقول ابن الكَلْبى (فى لسان العرب لابن مـنظور : مادة ا ل ل) : « كُلُّ اسم فى العربية آخره إلّ او إيل فهو مضاف إلى الله عزَّ وجَلّ كشرحبيل وشراحيل وشهميل ، وهو كقولك : عبد اللهِ وعبيد الله » .

(٢) الخليل بن أحمد : كتاب العين : ٨/٣٥٧ مادة (أيل) .

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن : ص ٢٠ .

م	اللفظ وصورته	معناه فى العربية	معناه فى الأكادية	معناه فى الأجريتية	معناه فى العبرية القديمة	معناه فى الفينيقية	معناه فى الآرامية	معناه فى السريانية	معناه فى العربية الجنوبية	معناه فى الحبشية
١	ʾil (مفرد)			الإله						
٢	ʾēl (مفرد)				إله أو آلهة أو الإله الحق (الله)	الله				
٣	ʾelo (مفرد)									الإله
٤	-ʾīlu* (مفرد)	الله								
٥	elu(m) ilu(m) (مفرد)		إله أو الله (فى البابلية الحديثة)							
٦	Ellil Illil (مفرد)		الله أو آلهة							
٧	ʾillun (مفرد)	الله								
٨	ʾœlāh (مفرد)						إله أو الله			
٩	ʾlh (مفرد)								إله أو (الآهة)	

* الشرطة فى أول الكلمة تعنى أنها لا تأتى منفردة ، بل مركبة مع كلمة سابقة عليها .

م	اللفظ وصورته	معناه فى العربية	معناه فى الأكادية	معناه فى الأجريتية	معناه فى العبرية القديمة	معناه فى الفينيقية	معناه فى الآرامية	معناه فى السريانية	معناه فى العربية الجنوبية	معناه فى الحبشية
١٠	ʾalāhā (مفرد)							الله أو الإله		
١١	ʾœlōah (مفرد)				إله أو الإله الحق					
١٢	ʾallāhu (مفرد)	الله								
١٣	ʾilāh(un)* (مفرد)	إله					إله أو الله			
١٤	ʾʾlh-n (مفرد)								الله أو الإله	
١٥	ʾēlim (جمع)					آلهة أو الله				
١٦	ʾœlōhīm (جمع)				آلهة أو إله أو الله					

* ما بين القوسين فى هذه الكلمة وأمثالها هو نهاية إعرابية للكلمة ، وقد اختيرت حالة الرفع مع التمييم إن وجد .

من الجدول السابق يتضح :

أولاً : أن الألفاظ الدالة على معنى (الله) أو (إله) فى اللغات السامية تكون إما ذوات أصول ثنائية صامتة (الهمزة واللام) وإما ذوات أصول ثلاثية صامتة (الهمزة واللام والهاء) . ولعل هذا يؤكد أن الهمزة فى اللفظ العربى (إله) أصلية كما يرى ابن فارس[1] وأنها ليست منقلبة عن الواو فى (ولاه) كما يرى الخليل بن أحمد[2] .

ثانياً : أن اللفظ المفرد (ʾil) يدل فى اللغتين : الأجريتية والعربية الجنوبية على معنى (إله) أو (الله) .

ثالثاً : أن اللفظ المفرد (ʾēl) يدل فى اللغتين : العبرية القديمة والفينيقية على معنى (الله) . وتجدر الإشارة هنا بأن هذا اللفظ هو أصل للفظ (ʾīlu-) بمعنى (الله) فى العربية ، وقد اتضح ذلك من دراسة تأصيل لفظ (إيل) فى العربية بمعنى (الله) فى البحث . ووجد اللفظ ʾēl وقد قصرت حركته الأولى فى اللغتين : الأكادية هكذا : elum ، والحبشية هكذا : ʾelo .

رابعاً : أن اللفظ المفرد ʾilāh (un) يدل فى اللغتين : العربية والآرامية على معنى (إله) .

خامساً : أن اللفظ (ʾillun) الدال على معنى الله فى العربية يشبه اللفظ الأكادى (Ellil) الدال على معنى الله العَلِىّ ، يشبهه فى البدء بهمزة مكسورة ولام مشددة بعدها ، وفى الأصل الثنائى الصامت (الهمزة واللام) .

سادساً : أن اللفظ (ʾilāh) الدال على معنى (إله) فى العربية والآرامية هو

---

(١) ينظر : مجمل اللغة لابن فارس : ١/١٠١ ، والمعجم الكبير : ١/ ٤٤٠ (أ ل هـ) .

(٢) ينظر : الصحاح للجوهرى : ٦/ ٢٢٢٤ (و ل هـ) ، والمعجم الكبير : ٤٤١/١ (أ ل هـ) .

أصل للفظ الآرامى (ʾœlāh) الدال على المعنى نفسه ، وذلك بعد تقصير الحركة (i) من اللفظ الأصلى ، لتصبح نصف كسرة قصيرة ممالة هكذا : (œ) .

سابعاً : أن اللفظ (-ʾīlu) الدال على معنى الله فى العربية لا يرد فيها إلا مركباً مع كلمة سابقة عليه فيما يظن الباحث ، كما فى : إسرائيل وجبرائيل وميكائيل .

ثامناً : أن اللفظين المفردين (ʾlh) و (ʾʾlh - n) اللذين وردا فى العربية الجنوبية بمعنى إله أو الله وصلا إلينا مكتوبين هكذا بالصوامت دون الحركات .

تاسعاً : أن صورتى جمع المذكر (ʾēlim فى الفينيقية ، و ʾœlōhīm فى العبرية القديمة) تدلان على معنى المفرد (اللـه) ، وقد فسرت دلالتهما على المفرد فى البحث وذلك عند الحديث عن التأصيل المعجمى للفظ (اللـه) فى العبرية القديمة .

المحور الثانى : خصائص لفظ «الله» فى العربية :

يختص لفظ « الله » فى العربية بخصائص مورفولوجية وتركيبية ودلالية لا تجوز فى غيره . وفيما يلى بيان بأنواع هذه الخصائص ودراستها :

أولاً : الخصائص المورفولوجية للفظ (الله) :

يختص لفظ « اللـه » بست خصائص مورفولوجية لا تجوز فى غيره . وتتعلق كل خصيصة من الخصائص الخمس الأولى منها بدخول مورفيم من «المورفيمات السوابق» على لفظ «الله»، منها ثلاث سوابق تدخل عليه وحده ، وهى : تاء الجر الدالة على معنى القسم والتعجب معاً ؛ ولام الجر الدالة أيضاً على معنى القسم والتعجب معاً ، ويا النداء (إذا دخلت على لفظ « الله » وهو

محلى بـالألف واللام) ، ومنها سابـقة واحدة ، وهى باء القسـم ، تحذف قبل لفظ « اللـه » فيعوض عنها بـهمزة الاستفهام أو بـ (هـا) التنبيه أو بقـطع همزة لفظ « اللـه » فى الدرج ، ومنها سابـقة واحدة ، هى باء الجر ، تـدخل على كلمة « اسم » مضافـة إلى لفظ « الله » فتحذف همزة الوصـل من الكلمة فى الكتابة علاوة على حذفها فى النطق .

أما الخصيصة السادسة فتتعلق باتصال مورفيم لاحقة ، وهو الميم المشددة ، بلفظ « الله » فى المركب « اللهمّ » .

وبيان هذه الخصائص المورفولوجية ودراستها فيما يلى :

الخصيصة الأولى : دخول تاء الجر الدالة على معنى القسم والتعجب معاً على لفظ «الله»[1] :

يمثل لدخول هذه التاء على لفظ « الله » بـقوله تعالى على لسان إبراهيم ، عليه السلام : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾[2] .

فالـتاء فى هـذه الآية دخـلت علـى لفظ « الـله » فأفـادت معـنى القـسم والتعجب معاً ، فـنرى إبراهيم ، عليه السلام ، فى سيـاق الآية « كأنه تعجب

(١) يشير المبـرّد (فى المقتضب : ٤/ ١٧٥) إلى « أنك تقول : تاللـهِ لأفعلنَّ ، فتقـسم على مـعنى التعجُّب ، ولا تدخل التاءُ على شئ من أسماء الله غيـر هذا الاسـم ؛ لأن المعنى الذى يُوجب التعجُّب إنَّما وقع هاهنا» . ويذكر ابن السـراج (فى الأصول فى النحو: ١/ ٤٣٠) أن «أدوات القسم والمقـسم به خمس الواو والباء والتاء واللام ومـن ، فأكثرها الواو ثم الباء . . . ثم التاء ، وذلك قولـك : تالله لأفعلن ، ولاتقال مع غير الـله . قال الله : ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ (الأنـبياء : ٥٧) . وقد تقول : تـالله وفيها معنى التعجب » . ويـوضح رضى الدين الاسـترابادى (فى شرح الكافية : ١/ ٤٥) أن لفظ (الله) « اختص بأشياء لا تجوز فى غيره كاختصاص مـسماه تعالى وخواصه فى اللهمَّ ، وتَالله » . ويقول ابن هشام الأنصارى (فـى مغنى اللـبيب : ١/ ١١٥) إن هذه الـتاء « حرف جر معـناه القسم ، ويـختص بالتعجب ، وباسم الله تعالى » .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٥٧ .

من تسـهل الكيد علـى يده وتأتيه ؛ لأن ذلـك كان أمراً مقنـوطاً منه لصعـوبته وتعذره . . . فى كـل زمان خصوصاً فى زمـن نمروذ مع عتوه واستـكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه[1] » .

وتدخل هذه التاء على لفـظ « رَبّ » و « ربّ (الكعبة) » شذوذاً على رأى رضى الدين الاستراباذى[2] ، وقليلاً على رأى ابن هشام الأنصارى[3] .

الخصيصة الثانية : دخول لام الجر الدالة على معنى القسم والتعجب معاً على لفظ «الله» :

تختصُّ لام الجر الدالة على معنى القسـم والتعجب معاً بالدخول على لفظ اللـه فى الأمـور العظام[4] . ويمثل لـها بقول الـقائل : « للـهِ ما رأيتُ كالـيوم قطُّ[5] » . فاللام التى دخلـت على المقسم به لفظ « اللـه » فى هذا القول تدل على معنى القسـم مصحوباً بمعنى التعجب من عِظَم ذلك اليوم الذى يعنيه هذا القائل .

---

(١) الزمخشرى : تفسير الكشاف : ٤/ ٦٤ .

(٢) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٣٤) : « حكى الأخفش : تربى وترب الكعبة ، وهو شاذ » .

(٣) يـذكر ابـن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١١٥) أن العرب « ربما قالـوا : « تربى » و « ترب الكعبة » و « تالرحمن » » .

(٤) يقول سـيبويه (فى كتابه : ٣/ ٤٩٧) : « وقد تقول : تالله ! وفيها معنى التعـجب . وبعض العرب يقول فى هذا المعنى : لله ، فيجئ باللام ، ولا تجئ إلا أن يكون فيها معنى التعجب » .

ويشير الرضى (فى شـرح الكافية : ٢/ ٣٣٤) إلى أن « واو القسـم . . . مختصة بالظاهر والتـاء مثلها مختصة بـسم الله تعالى . . . ولام الجر تجـئ بمعنى الواو كما ذكرنـا مختصة أيضاً بلـفظ « الله » فى الأمور العظام » . وينظر فى ذلك أيضاً : شرح التـسهيل لابن مالك : ٣/ ١٤١ ، ومغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى : ١/ ٢١٤ .

(٥) يقول المبرّد (فى المـقتضب : ٢/ ٣٢٤) : « ومن حـروف القسم - إلا أنها تـقع على معنى التعجب - اللامُ. وذلك قولك : للهِ ما رأيت كاليوم قطُّ » .

الخصيصة الثالثة : دخول حرف النداء «يا» على لفظ «الله» وهو محلى بالألف واللام:

يمثل لدخول يا النداء على لفظ الله ، وهو محلى بالألف واللام ، بقول القائل : « يا أَللّهُ اغفِر لنا[1] » . ويلاحظ هنا قطع همزة الوصل من لفظ « الله » .

ويرجع سيبويه[2] سبب جواز دخول حرف النداء (يا) على لفظ « الله » إلى أنه اسم لزمه الألف واللام دائماً وكثر استعماله في كلام العرب على هذه الصورة ، وكأن الألف واللام من نفس حروفه ، فلم يخضع لقاعدة امتناع دخول (يا) على ما فيه الألف واللام . ووافق رأى سيبويه فى ذلك المبرّدُ[3] .

أما رضى الدين الاستراباذى[4] فيرجع ذلك إلى قطع همزة لفظ « الله » فى جملة « يا ألله » ، فتخلص الناطق بها من كراهية توالى ساكنين ، وهما ألف المد فى « يا » واللام الساكنة فى لفظ « الله » .

(١) سيبويه : الكتاب : ٢/ ١٩٥

(٢) يقول سيبويه (فى كتابه : ٢/ ١٩٥) : « واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسماً فيه الألف واللام البتة ، إلا أنهم قد قالوا : يا الله اغفر لنا ، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الالف واللام ، لا يفارقانه ، وكثر فى كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التى من نفس الحروف » .

(٣) يقول المبرد (فى المقتضب : ٤/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) : « واعلم ان الاسم لا ينادى وفيه الألف واللام ؛ لأنك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة هذا ، وذاك ، ولا يدخل تعريف على تعريف ؛ فمن ثم لا تقول : يا الرجل تعالَ .

وأما قولهم : يا الله اغفر ، فإنما دعى وفيه الالف واللام ؛ لانهما كأحد حروفه . الا ترى أنهما غير بائنين منه ، وليستا فيه بمنزلتهما فى الرجل ؛ لأنك فى الرجل تثبتهما وتحذفهما ، وهما فى اسم الله ثابتتان ، وهو اسم علم » .

(٤) يشير الرضى (فى شرح الكافية : ١/ ١٤٥) إلى أن « الأكثر فى يا ألله) قطع الهمزة ، وذلك للإيذان من أول الأمر أن الألف واللام خرجا عما كانا عليه فى الأصل وصارا كجزء الكلمة حتى لا يُستكره اجتماع (يا) واللام ، فلو كانا بقيا على أصلهما لسقط الهمزة فى الدرج ، إذ همزة اللام المعرفة همزة وصل . وحكى أبو على (ياالله) بالوصل على الأصل » .

ويرى الدارس أنه لا خلاف بين الرأيين فى تفسير دخول « يا » النداء على لفظ « الله » ؛ فكل منهما يمثل وجهة خاصة : فسيبويه يبحث فى الألف واللام بوصفهما جزءاً من بنية لفظ « الله » أو شيئاً زائداً طارئاً بالإمكان أن يدخل عليه أو يزول عنه . أما الرضى فينشغل بتبرير التقاء الساكنين حين تتصل « يا » بأل باحثاً عن المبررات التى تحل هذا الإشكال .

الخصيصة الرابعة : التعويض من حرف القسم الباء[1] قبل المقسم به لفظ «الله» بهمزة الاستفهام أو «ها» التنبيه أو قطع همزة «الله» فى الدَّرْج[2] :

وللتعويض بهمزة الاستفهام من باء القسم قبل المقسم به لفظ « الله » يمثل بحديث رسول الله ﷺ حين « خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : « ما أجْلَسَكُمْ ؟ » قالوا : جَلَسْنا نذكر اللهَ ونَحْمَدُهُ على ما هَدَانا للإسلام ، ومَنَّ به علَيْنا . قال : « آللـه ! ما أجلسَكُمْ إلا ذَاك ؟ » قالوا : واللـه ! ما أجْلَسَنا إلا ذاك . قال : أما إنِّى لم أسْتَحْلِفكُمْ تُهْمَةً لـكم ، ولكنَّهُ أتانى جبريـلُ فأخبرنى أن الله ، عَزَّ وجَلَّ ، يباهى بكُمُ الملائكة[3] » .

فهمزة الاستفهام التى سبقت المقسم به لفظ (الله) فى قول الرسول ﷺ :

---

(١) لأن الباء فى القسم ، كما يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٠٥) ، هى « أصل أحرفه » .

(٢) يوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٣٥) أن لفظ (الله) يختص « بتعويض هاء أو همزة الاستفهام من الجار (أى باء القسم) وكذا يعوض من الجار فيها قطع همزة (الله) فى الدرج ، فكأنها حذفت للدرج ثم ردت عوضاً من الحرف . وجار الله (أى الزمخشرى) جعل هذه الأحرف بدلاً من الواو ، ولعل ذلك لاختصاصها بلفظة (الله) كالتاء ، فإذا جئت بهاء التنبيه بدلاً فلابد أن تجئ بلفظة (ذا) بعد المقسم به نحو : لاها الله ، وأى ها الله ذا . . . والظاهر أن حرف التنبيه من تمام اسم الإشارة . . . قدم على لفظ المقسم به عند حذف الحرف ليكون عوضاً منها » .

(٣) يورده مسلم فى صحيحه (٤/ ٢٠٧٥) ، وهو الحديث رقم ٤٠ من الباب رقم ٤٨ الخاص بالذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، رواه أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه .

« آللهِ » هي عوض من حرف القسم (البـاء) ، وذلك لجر المقسم بـه بعدها ، وللإشارة إلى طلب الحلف في قول الرسول ﷺ ، بعد ذلك : « أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم » .

وللتعـويض بـ (ها) التنبـيه من باء القسم قبـل المقسم به لفظ (الـله) يمثل بقول القائـل : « ها اللهِ ذا[1] » . فـ (ها) التنـبيه التي سبقت المقـسم به لفظ (الله) في هذا القول عوض من حرف القسم (الباء) .

وللتعويض بقطع همزة لفظ (الله) من بـاء القسم يمثل بقول يقع فيه اللفظ « في مكان مخـصوص ، وذلك إذا كان قبله فاء قـبلها همزة استفـهام . تقول لشخص : هل بعت دارك ؟ فيقول : نعم، فتقول : أفاللهِ لقد كان كذا[2] » . فقطع همزة (الله) في قوله (أفالله) عوض من حرف القسم (الباء) .

---

(١) يشير الرضي (في شرح الكافية : ٢/٣٣٦) إلى رأي كل من الخليل والأخفش في إعراب (ذا) في هذا المثال بقوله : « قال الخليل : (ذا) من جملة جـواب القسـم ، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذا ، أو فاعل ، أي ليكونن ذا أو لا يكون ذا . والجواب الـذي يأتي بعده نفـيا أو إثباتا ، نحـو : (ها الله لأفعلن) أو (لا أفعل) بـدل من الأول ، ولا يقاس عليه ، فلا يقال : هـا الله أخوك ، أي لأنا أخوك ونحوه . وقـال الأخفش : ذا من تمـام القسم : إمـا صفة للـه ، أي الله الحاضـر الناظر ، أو مـبتدأ محذوف الخبر ، أي ذا قسمي . فبعد هذا إما أن يجئ الجواب أو يحذف مع القرينة » .

(٢) رضي الدين الاستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب : ٢/٣٣٦ .

الخصيصة الخامسة : دخول باء الجر على كلمة (اسم) مضافة إلى لفظ (الله) . فتحذف همزة الوصل من الكلمة فى الكتابة علاوة على حذفها فى النطق[1] :

ويمثل لذلك بقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[2] .

وفيما عدا ذلك تكتب همزة الوصل فى كلمة (اسم) ، حتى لو أضيفت إلى ضمير يعود إلى لفظ (الله) فى مثل : « باسمك اللهمَّ » و (باسمه تعالى) أو أضيفت إلى كلمة (ربّ) فى مثل : « باسم ربِّك » .

الخصيصة السادسة : إلحاق الميم المشددة بلفظ « الله » فى المركب « اللهمَّ » :

تلحق الميم المشددة بلفظ « الله » ؛ فيتكون منهما المركب « اللهمَّ » الذى يستعمل فى النداء والإيذان بندرة المستثنى وتوكيد الجواب . وستوضح أوجه هذه الاستعمالات فى النقطة الخاصة بالخصيصة الدلالية للفظ « اللهمَّ » فى البحث .

ويبدو أن المركب « اللهمّ » استعمل بدون الألف واللام هكذا : « لاهمَّ » فى مرحلة تاريخية متقدمة من اللغة (فى العصر الجاهلى) ثم دخلت عليه

(١) يقول الزمخشرى (فى تفسير الكشاف : ١/ ١٢) : « وأما الباء فلسكونها لازمة للحرفية والجر . والاسم أحد الأسماء العشرة التى بنو أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن . . . (و) باسم الذى فى كل سورة سمة . . . (فإن قلت) : فلم حذفت الألف فى الخط وأثبتت فى قوله : باسم ربك ؟ (قلت) : قد اتبعوا فى حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذى عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال » .

ويشير زوكن Socin (فى كتابه : Arabische Grammatik, § 6 (f.) S. 15) إلى أن « ألف الوصل تحذف تماماً فى الكتابة من . . . كلمة (اسم) إذا وقعت بعد حرف الجر الباء بالشكل المستعمل كثيراً : (بسم الله) » .

(٢) سورة هود ، الآية ٤١ ، وينظر أيضاً ، على سبيل المثال لا الحصر ، سورة النمل ، الآية ٣٠ ، وأوائل السور فى القرآن .

الألف واللام بعد ذلك . وقد فهم ذلك من كلام للخليل بن أحمد ورد فى كتاب العين[١] .

وللعلماء فى بيان أصل الميم المشددة التى تلحق بلفظ « الله » فى المركب « اللهمَّ » ثلاثة آراء مختلفة ، وللدارس فيه رأى رابع . وفيما يلى بيان بهذه الآراء ودراستها وتحليلها :

الرأى الأول : يقول إن « اللهمَّ نداءٌ ، والميم هاهنا بدل[٢] من يا ، فهى هاهنا فيما زعم الخليل ، رحمه الله ، آخرَ الكلمة بمنزلة يا فى أولها[٣] » .

وهذا الرأى للخليل بن أحمد هو الرأى الشائع لدى البصريين[٤] .

ويوضح ابن السراج أن الميم المشددة جاءت عوضاً من يا هنا ؛ « لأنهما حرفان مكان حرفين[٥] » .

ويرجع الرضى تأخُّر الميم المشددة فى اللهمَّ إلى التبرُّك « بالابتداء باسمه تعالى[٦] » .

(١) يذكر الخليل بن أحمد (فى كتاب العين (أله) ٤/ ٩٠ ، ٩١) قول العرب « فى الجاهلية الجهلاء . . . لاهُمَّ اغفر لنا ، وكره ذلك فى الإسلام » . وينظر فى ذلك : لسان العرب لابن منظور ، مادة (أله). ويشار فى المعجم الكبير (مادة (أله) ، ١/ ٤٤١) إلى ورود المركب (لاهم) فى قول « عبد المطلب بن هاشم (جَدّ الرسول ﷺ) :

لاهُمَّ إن العَبْدَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فامنع حِلالك

(حِلال : جمع حِلَّة ، وهى جماعة البيوت) » .

(٢) اعترض ابن جنى على مصطلح (بدل) فى هذا الموضع واقترح مصطلح (عوض) بدلاً منه ، يقول (فى الخصائص : ١/ ٢٦٥) : « وتقول فى ميم (اللهمَّ) إنها عوض من (يا) فى أوله ، ولا تقول : (بدلا) . . . فالبدل أعمّ تصرفا من العوض ، فكل عوض بدل وليس كل بدل عوضا » .

(٣) سيبويه : الكتاب : ٢/ ١٩٦ . ويقول سيبويه (فى الكتاب نفسه : ١/ ٢٥) : « والعوض . . . قولهم اللهمَّ ، حذفوا «يا» وألحقوا الميم عوضا » .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر للسيوطى : ٢/ ٢٠٧ .

(٥) ابن السراج : الأصول فى النحو : ١/ ٣٣٨ . (٦) الرضى : شرح الكافية : ١/ ١٤٦ .

الرأى الثانى : يقول إن أصل (اللهمَّ) هو لفظ (الله) لحقه (أم) التى هى جزء من جملة محذوفة وأصل الكلام : يا الله أمنا بخير[1] .

وهذا الرأى للفراء هو الرأى الشائع لدى الكوفيين[2] . يترتَّب على الرأيين السابقين خلاف بين البصريين والكوفيين فى مدى جواز إدخال (يا) على اللهمَّ : فلم يجز البصريون إدخالها عليه ، على حين أجاز الكوفيون ذلك[3] . وقد اجتمع (يا) و (اللهمَّ) فى الشعر للضرورة[4] .

الرأى الثالث : يقول فى أصل (اللهم) : «אלהים» = الله ، وهو

---

(١) يقول ابن السراج (فى كتابه : الأصول فى النحو : ١/٣٣٨) : « إنما تقول : اللهمّ اغفر لنا ، اللهم اهدنا ... فإن قال الفراء : هو نداء معه «أم» ، قيل له : فكيف تقول : اللهمّ اغفر لنا ، واللهمّ أمنا بخير ، فقد ذكر «أم» مرتين ... ويجب على قوله أن تقول : يا اللهمّ ، لأنه : يا الله أمنا ، ولا يلزم ذلك الخليل ؛ لأنه يقول : الميم بدل من يا » .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر للسيوطى : ٢/٢٠٧ .

(٣) يذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٢/٢٠٧) أن العلماء اختلفوا « فى اللهمّ ، فمذهب البصريين أن الميم عوض من حرف النداء ، ومذهب الكوفيين أنها بقية من جملة محذوفة والأصل : ياالله أمنا بخير . وينبنى على هذا الخلاف جواز إدخال (يا) على اللهمَّ ، فعند البصريين لا يجوز ، لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض ، وعند الكوفيين يجوز ، لأن الميم على رأيهم ليست عوضا من (يا) . قال أبو حيان فى الارتشاف : اللهمّ لا تباشره (يا) فى مذهب البصريين ، زعموا أن الميم المشددة فى آخره عوض من حرف النداء فلا يجتمعان ، وأجاز الكوفيون أن تباشره (يا) وعندهم الميم المشددة بقية من جملة محذوفة قدروها أمنا بخير ، وهو قول سخيف لا يحسن أن يقوله من عنده علم » .

(٤) يقول المبرد (فى المقتضب : ٤/٢٤٢) : اضطرَّ (يعنى امية بن ابى الصلت) . فأدخل (يا) فى اللهمَّ لما كان العِوَضُ فى آخر الاسم فقال :

إنى إذا ما حدث ألمّا   دَعَوْتُ يا اللهمَّ يا اللهُمَّا

ويشير محقق كتاب المقتضب محمد عبد الخالق عضيمة (فى الكتاب نفسه : ٤/٢٤٢ ، ٢٤٣ بالهامش) إلى أن العينى زعم أن هذا البيت لأبى خراش الهذلى ... وهذا خطأ ... وإنما هو لأمية بن أبى الصلت ، قاله عند موته ، وقد اخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر ، وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة » .

جمع للتعظيم مفرده مستعمل في العبرية كذلك . . . ولعل لصيغة النداء العربية «اللهمَّ» علاقة بالجمع العبرى[1] » .

أما نحن فنرجح أن الميم المشددة التى لحقت بلفظ «الله» فى المركب «لاهمَّ» قبل دخول الألف واللام عليه فى مرحلة تاريخية متأخرة من اللغة[2] ، أن هذه الميم المشددة قد تكون منقولة من اللغة الآشورية ، حيث استعملت فيها هذه الميم المشددة ضمن المركب ilum-ma (بمعنى اللهمَّ أو ياألله) ، وهو مكوّن من لفظ «ilu» بمعنى الله ، وميم التمييم «m» ؛ واللاحقة الدالة على معنى النداء «-ma»[3] . ويبدو أن هذه اللاحقة مختصة فى الآشورية أيضاً بلفظ ilum . « مثل ذلك : Anāku - ilum - ma بمعنى : أنا (ها) هو يا ألله) فى الآشورية[4] » .

فالميم المشددة التى لحقت بالمركب (لاهمَّ) هى عبارة عن ميم التمييم واللاحقة الدالة على معنى النداء (- مَ) ، وقد بقيت هذه الميم المشددة فى المركب نفسه بعد أن دخلت عليه الألف واللام فأصبح (اللهمَّ) .

ويؤيد قضية وجود ميم التمييم فى المركب (لاهمَّ) ورودُ بقايا لهذه الميم فى كلمات عربية أخرى ، فقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن « هناك بقايا للتمييم فى العربية ، فى كلمة : « فم » ، و « ابنم » فى مثل قول

---

(١) رمضان عبد التواب : فى قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات : ٧٥.

(٢) سبق ذكر مسألة دخول الألف واللام على المركب (لاهمَّ) فى مقدمة هذه الخصيصة بالبحث .

(٣) هذه اللاحقة (-ma) إن اتصلت بالاسم فى الآشورية فإنها تدل على معنى النداء كما هو الحال فى المثال المذكور أعلاه وإن « اتصلت بصيغة فعل دالة على معنى اتجاه وقوع الحدث im Ventiv فى النثر الأكادى ؛ فإنها تكون أداة ربط تربط هذه الصيغة بفعل من افعال الحركة يدل أيضاً على معنى اتجاه وقوع الحدث ، مثل : Kunkam - ma Šubilam (أى : اختمْ وأرسلْ إلى هنا فيما بعد » . ينظر كتاب أونجناد : Ungnad, Arthur : Grammatik des Akkadischen, § 58, b, S. 67.

(٤) Von Soden, W. : Akkadisches Handwörterbuch, I, S. 373, b, Z. 50.

المتلمس[1] :

وهل لِىَ أمٌّ غَيْرُها إن هجوتُها ... أبَى الله إلا أن أكون لها ابنَمَا

بدليل أن الإعراب يجرى فى هذه الكلمة الأخيرة على النون والميم معاً[2] ». أما علماء العربية فمنهم مَنْ يرى أن الميم فى (فم) بدل من الواو فى (فوه) شذوذا ، يقول ابن مالك : « وليس لإبدال الميم من الواو إلا موضع شاذ وهو فم ، وفيه مع شذوذه خلاف[3] » .

ويفهم من كلام لابن مالك أن الميم تلحق كلمة (ابن) وتثبت فيها أحياناً ، فهى كالجزء من الكلمة حتى لو أضيفت إلى ياء المتكلم ، يقول ابن مالك فى ذلك : « وقولى : ويكسر متلوها ، أى متلو الياء ، كقولك فى : قلم : قلمى ، وتجرى هذه الكسرة مجرى كسرة الإعراب فى أنها تظهر فى الحرف الصحيح ، كظهورها فى ميم قلم . . . كما يتبع ما قبل كسرة الإعراب ، فيقال : هذا ابنمى ، بكسر النون ، كما تقول فى الجر : مررت بابنمٍ . ومن أتبع فى الفم فقال : نظرت إلى فمه ، قال هنا : نظرت إلى فمى[4] » .

ويرى الدارس أن التمييم قد يكون له أثر فى الكلمات العربية التى تنتهى بميم زائدة ، وهى :

حِلْكِم ، ودِرْدِم ، ودِقْعِم ، ودِلْقِم ، وزُرْقُم ، وسُتْهُم ، وضِرْزِم ، وفُسْحُم . فقد وقعت الميم زائدة فى أواخر هذه الكلمات على عكس ورود مواضع زيادتها المطرد فى أوائل الكلمات العربية ، يقول أبو عثمان المازنى فى ذلك : « وزادوا الميم غير أول فى : « زُرْقُم ، وسُتْهُم ، ودِلْقِم ، ولولا

---

(1) المتلمس : ديوان المتلمس ، قصيدة ١ ، بيت ١٠ ، صفحة ٣٠ .

(2) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(3) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣/ ٢٠٣ .

(4) الكتاب نفسه : ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١ .

الاشتقاقُ كان من الأصل ، ولكن للاشتقاق كان زائداً[1] » .

ويوضح ابن جنى مسألة زيادة الميم فى أواخر الكلمات التى أتى بها المازنى مضيفاً إليها كلمات أخرى ، فيقول : « إنما القياسُ عنده - لولا الاشتقاقُ - أن تكون الهمزةُ والميمُ غير زائدتين فى هذا الموضع ؛ لأنه ليس من مواضع زيادتهما . إنما ذلك أول الكلمة . . . و « زُرقُمٌ » بمعنى الأزرق . و « سُتْهُمٌ » بمعنى الأستَه . و « دِلْقِمٌ » هى الناقة التى قد تكسّرت أسنانُها فاندلق لسانُها وسال لعابُها . . . وقالوا : « ضِرْزِمٌ » وهو من معنى الضِّرْزِ ، وهو الشديدُ البخيلُ . وقالوا : « فُسْحُمٌ » للواسع وهو من الانفساح . وقالوا : « الدِّقْعِمُ » وهو التراب ، وهو من الدّقعاء . وقالوا : « دِرْدِمٌ » وهو من الأدْرد ، وهو الذى تكسَّرت أسنانه . وقالوا : « الحِلْكِم » للشديد السَّوادِ ، وهو عندى من الحُلْكَة[2] » .

ثانيا : الخصائص التركيبية للفظ (الله) :

يختص لفظ (الله) بثلاث خصائص تركيبية ، تتعلق الخصيصة الأولى منها بجر المقسم به لفظ (الله) بعد حذف حرف القسم (الباء) بلا عوض ، والثانية بجر لفظ (لاه) بعد حذف لامين من (لله) ؛ لام الجر الدالة على معنى التعجب ولام التعريف ، والثالثة بإضافة كل ما قُصِر من الاسم المختص بالقسم (ايمن) إلى لفظ (الله) . وبيان هذه الخصائص التركيبية ودراستها فيما يلى :

(١) ابن جنى : المنصف : شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى : ١/ ١٥٠ .

(٢) الكتاب نفسه : ١/ ١٥١ .

الخصيصة الأولى : جر المقسم به لفظ (الله) بعد حذف حرف القسم (الباء) بلا عوض :

يجر المقسم به لفظ (الله) فقط بعد حذف حرف القسم (الباء) بلا عوض[١] ، وذلك فى رأى سيبويه الذى يقول : « واعلم أنك إذا حذفت من المحلوف به حرف الجر نصبته ، كما تنصب حقًّا إذا قلت : إنك ذاهب حقًّا . فالمحلوف به مؤكَّد به الحديثُ كما تؤكده بالحق ، ويُجرُّ بحروف الإضافة كما يُجَرُّ حقٌّ إذا قلت : إنك ذاهب بحقٍّ ، وذلك قولك : اللهَ لأفعلنَّ . . . ومن العرب مَنْ يقول : اللهِ لأفعلن[٢] » .

ويرجع سيبويه بقاء الجر مع حذف حرف القسم إلى أن المتكلم « أراد حرف الجرِّ ، وإياه نَوَى ، فجاز حيث كثر فى كلامهم وحذفوه تخفيفاً وهم ينونه[٣] » . وقد وافق سيبويه فى رأيه هذا كلٌّ من ابن مالك[٤] والرضى[٥] .

أما الكوفيون فيجيزون الجر فى كل ما حذف منه الجار من المقسم به بلا عوض . وعلى رأيهم يجوز للمتكلم أن يقول أيضاً : الكعبةِ - لأفعلن ، والمصحفِ لآتين[٦] .

---

(١) يتضح (العوض) وأشكاله فى هذا الموضع من قول ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣/ ١٩٥) : « وإن كان «الله» جاز جره بتعويض «آ» ثابت الألف ، أو «ها» محذوف الألف أو ثابتها مع وصل الف الله او قطعها ، وقد يستغنى فى التعويض بقطعها » .

(٢) سيبويه : الكتاب : ٣/ ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٣) سيبويه : الكتاب : ٣/ ٤٩٨ .

(٤) يشير ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣/ ١٩٥) إلى أنه « يجوز جر (الله) دون تعويض ، ولا يُشارك فى ذلك ، خلافاً للكوفيين » .

(٥) يوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٣٥) أنه « إذا حذف حرف القسم الأصلى أعنى (الباء) فإن لم يبدل منها فالمختار النصب بفعل القسم . ويختص لفظة (الله) بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض» .

(٦) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٣٥) : « والكوفيون يجوزون الجر فى كل ما حذف منه الجار من المقسم به وإن كان بلا عوض نحو : الكعبةِ لأفعلنَّ ، والمصحفِ لآتين » .

مما سبق يتضح أن كثيراً من النحاة العرب ، ومنهم سيبويه والكوفيون ، يجيزون جر المقسم به لفظ (الله) مع حذف حرف القسم بلا عوض ، غير أن سيبويه قد قصر الجر على لفظ (الله) بعد حذف حرف القسم . إن ما اتضح ينفى ما رآه المبرد من أن جَرَّ المقسم به (الله) بعد حذف حرف القسم غير جائز عند كثير من النحويين[1] .

الخصيصة الثانية : جر لفظ (لاه) بعد حذف لامين من (لله) ، لام الجر الدالة على معنى التعجب ولام التعريف :

يجر لفظ (لاه) فى مثل : « لاهِ أبوك » أى : للهِ أبوك ، فى سياق التعجب بعد حذف لامين من (لله) ؛ الأولى لام الجر الدالة على معنى التعجب والأخرى لام التعريف ، يقول سيبويه فى ذلك : « حذفوا اللامين من قولهم : لاه أبوك ، حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى ، ليخففوا الحرف على اللسان ، وذلك ينوُون[2] » . ومن ذلك قول ذى الإصبع العَدْوانىّ فى أواصر القربى[3] :

لاهِ ابنُ عمك لا أَفضَلْتَ فى حَسَبٍ   عنّى ولا أنت ديّانى فتخزونى

ويعنى : لـلهِ ابنُ عمك ، أى : عجباً لك يابن العَمِّ ، فأتى بلفظ (لاه)

---

(١) يقول المبرد (فى المقتضب : ٢/ ٣٣٦) : « واعلم أن من العرب من يقول : الله لأفعلن ، يريد الواو فيحذفها . وليس هذا بجيد فى القياس ، ولا معروف فى اللغة ، ولا جائز عند كثير من النحاة وإنما ذكرناه لأنه شئ قد قيل ، وليس بجائز عندى ؛ لأن حرف الجر لا يحذف ويعمل إلا بعوض » .

(٢) سيبويه : الكتاب : ٣/ ٤٩٨ .

(٣) المفضل الضبى : المفضليات : المفضلية الواحدة والثلاثون ، البيت الرابع ، ص ١٦٠ . البيت من البسيط . معنى الديان : القائم بالأمر القاهر . وخزاه يخزوه إذا ساسه وَدبَّر أمره . والشاعر جاهلى اشتهر بالفروسية وسداد الرأى وينتسب إلى بنى عَدْوان واسمه (حرثان) .

مجروراً بعد حذف لامين من (لله) : لام الجر الدالة على معنى التعجب ولام التعريف .

ويرى الخليل بن أحمد أن تركيب الجملة فى مثل « لاهِ أنت » أى (للهِ أنت) قد استعمل فى العصر الجاهلى ولما جاء الإسلام كُرِه استعماله ، يقول الخليل فى ذلك : « وقولهم فى الجاهلية الجهلاء : لاهِ أنت ، أى للهِ أنت ... وكُرِه ذلك فى الإسلام[1] » .

الخصيصة الثالثة : إضافة كلّ ما قُصِر من الاسم المختص بالقسم (ايمن) إلى لفظ (الله) :

يضاف الاسم المختص بالقسم (ايمن) الموصول الهمزة إلى لفظ (الله) غالباً ، وإلى الكعبة وكاف الخطاب والذى قليلا[2] .

أما كلُّ ما قُصِر من كلمة « ايمن »[3] فلا يضاف إلاّ إلى لفظ (الله) فقط ولا يضاف إلى غيره[4] .

ومن ذلك قول زهير بن ذؤيب العدوى لفرسان من قومه بنى تميم حين حاصرهم عبدُ الله بن حازم وجيشه بخراسان فى سنة ست وستين للهجرة :

---

(١) الخليل بن أحمد : كتاب العين : مادة (أله) ، جـ ٤ / ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) يوضح ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣/ ٢٠١ ، ٢٠٢) أن « (ايمن) الموصول الهمزة لزم الإضافة إلى الله غالباً وقد يضاف إلى الكعبة والكاف والذى ... لكن إضافته إلى غير الله قليلة ، وإضافته إلى ضمير المخاطب وإلى الذى أقل من إضافته إلى الكعبة » .

(٣) ما قُصِر من (ايمن) تسع كلمات فى اللغة ذكرها ابن مالك (فى شرح التسهيل :٣/ ٢٠١ ، ٢٠٣) ، هى : ايمُ الله ، بفتح الهمزة وكسرها ، وامْ الله ، ومُنُ الله ومَن الله ، ومِن الله ، ومْ الله ومَ الله ومِ الله .

(٤) يشير الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٣٥) إلى أن « كل ما قصر من (ايمن) لا يستعمل إلا مع لفظة (الله) ولا يستعمل مع الكعبة كما استعمل (ايمن) معها » .

« وايم اللهِ لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم[1] » .

وقول زهير أيضاً لعبد الله بن خازم بعد استسلام الفرسان ووقوع زهير في الأسر : « إن لى حاجة لا تقتلنى ويخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام . فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين ، وايم اللهِ لو فعلوا لأذعروا بُنَيَّك هذا (يعنى موسى بن عبد الله بن خازم) وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه ، فأبوا ، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل[2] » .

فى هذين النصين وردت كلمة « ايم » مضافة إلى لفظ (الله) ، وهى مقصورة من الاسم المختص بالقسم فى العربية « ايمن » .

ثالثاً : الخصيصة الدلالية للفظ (اللهمَّ) :

تتعلق هذه الخصيصة بأوجه استعمال لفظ (اللهمَّ) فى سياقات النصوص العربية ، فيرد على ثلاثة أوجه : الأول : النداء ، والثانى : الإيذان بندرة المستثنى ، والثالث : توكيد الجواب .

وإذا تتبعنا آراء علماء العربية القدامى فى أوجه استعمال لفظ (اللهمَّ) وجدنا أن أبا العباس المبرد يذهب إلى أن لفظ (اللهمَّ) لا يرد إلا للنداء ، يقول : « قولك : اللهمَّ لا يكون إلا فى النداء . لا تقول : غفر اللهمَّ لزيد ، ولا سخط اللهمَّ على زيد، كما تقول: سخط الله على زيد، وغفر الله لزيد ، وإنما تقول : اللهمَّ اغفر لنا[3] » .

ويضيف ابن حجر العسقلانى وجهاً ثانياً لاستعمال لفظ (اللهمَّ) وهو توكيد

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٣/ ٣٧٧ .

(٢) الكتاب السابق : ٣/ ٣٧٧ .

(٣) ابن السراج : الأصول فى النحو : ١/ ٣٣٨ .

صدق المجيب ، وذلك حين شرح قول النبى ﷺ : « اللهمَّ نعم[١] » ، يقول العسقلانى : « قوله (اللهمَّ نعم) الجواب حصل بنعم ، وإنما ذكر اللهمَّ ... تأكيداً لصدقه[٢] » .

أما شهاب الدين الخفاجى فيشير إلى أن اللهمَّ « تستعمل على ثلاثة أنحاء : الأول : النداء المحض وهو ظاهر . الثانى : الإيذان بندرة المستثنى كما تقول : اللهمَّ إلا أن يكون كذا . الثالث : الدلالة على تيقن المجيب للجواب المقترن به ، وقد وقع فى حديث البخارى : اللهمَّ نعم وذكر ذلك شراحه ، وليس هذا الاستعمال بمولد[٣] » .

ويشاركهم أيضاً وليم رايت فى الرأى ، فيقول : « إن (اللهمَّ) تستعمل بوصفها كلمةً مقحمة مؤكدة[٤] فى تعبيرين ، هما : اللهمَّ إلاَّ واللهمَّ نعم[٥] » .

وفيما يلى بيان أوجه استعمال لفظ (اللهم) فى سياقات النصوص العربية ودراستها :

الوجه الأول : النداء :

يرد لفظ (اللهمَّ) للنداء فى مثل قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾[٦] .

وهذا هو الاستعمال الأصلى للفظ اللهمّ والأكثر شيوعاً فى سياقات النصوص العربية .

(١) سيرد نص الحديث فى البحث عند دراسة الوجه الثالث لاستعمال لفظ اللهم .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١/١٥١ .

(٣) شهاب الدين الخفاجى : كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل : ٢٠ .

(٤) As acorroborative interjection.

(٥) Wright, W. : Agrammar of the arabic language, II, § 38, p. 89.

(٦) سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

الوجه الثانى : الإيذان بندرة المستثنى :

وذلك إذا وقع لفظ (اللهمَّ) قبل حرف الاستثناء (إلا) ، فيرد للإيذان بندرة المستثنى أو ما يقع موقعه ويمثل لذلك بقول شخص لآخر :

« لا يحقُّ لك الإنكار فى شئ رآه الجميع اللهمَّ إلاَّ إذا أردت إخفاء ضوء الشمس المنتشر » .

الوجه الثالث : توكيد الجواب :

يرد لفظ (اللهمَّ) لتوكيد الجواب فى موضعين :

أولهما : قبل حرف الجواب (نعم) :

ويمثل له بحديث رسول الله ﷺ ، لما « دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله . . . فقال الرجلُ للنبى ﷺ : إنى سائلُكَ فمشدِّدٌ عليك فى المسألة . . . أسألك بربِّك وربِّ من قَبْلك : آللهُ أرسلك إلى الناس كلِّهم ؟ فقال : اللهمَّ نعم . قال : أنشُدُكَ بالله ، آللهُ أمَرَكَ أن نصلىَ الصلوات الخمسَ فى اليوم والليلة ؟ قال : اللهمَّ نَعَم . قال : أنشُدُكَ بالله ، آللهُ أمركَ أن نصوم هذا الشهرَ من السنة ؟ قال : اللهمَّ نَعَم . قال : أنشُدُكَ بالله ، آللهُ أمركَ أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبى ﷺ : اللهمَّ نعم . فقال الرجل : آمنتُ بما جئت به . وأنا رسولُ من ورائى من قومى ، وأنا ضِمامُ بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر[1] » .

قد ورد لفظ (اللهمَّ) فى هذا الحديث الشريف أربع مرات قبل حرف جواب الاستفهام (نعم) لتوكيد الجواب المثبت ، وذلك لإقناع السائل ضِمام بن ثعلبة الذى كانت أسئلته للنبى ﷺ ، مسبوقة بالتشديد فى المسألة ، وبالقسم

(1) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى : جـ ١ ، ص ١٤٨ ، باب العلم ، رواه أنس عن النبى ﷺ .

الطلبى[1] متمثلاً فى قول ضمام : « أسالك بربِّك » و « أنشدك بالله » ، فكان من المنطقى أن تناسب هذه الأسئلة المؤكدة أجوبةٌ مؤكدة .

ثانيهما : قبل حرف الجواب (لا) :

ويمثل له بما رواه المِسْور بن مخرمة من أن كعب الأحبار دخل على الخليفة عمر بن الخطاب ، ﷺ ، « فقال : يا أمير المؤمنين ، اعهد ، فإنك ميّتٌ فى ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجدُه فى كتاب اللهِ ، عزَّ وجلَّ ، التوراة ، قال عمرُ : آلله[2] إنك لتجدُ عمرَ بن الخطاب فى التوراة ؟ قال : اللهمَّ لا ، ولكنى أجدُ صفتك وحِلْيَتَكَ وأنه قد فنى أجلُك . . . ودخل أبو لؤلؤة فى الناس . . . فضرب عمر ست ضربات . . . فدعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : إنى أريد أن أعهد إليك[3] ، فقال : ياأمير المؤمنين : نعم إن أشرت علىَّ قبلت منك ، قال : وما تريد ؟ قال : أنشدك الله ، أتشير علىَّ بذلك ؟ قال : اللهمَّ لا ، قال : واللهِ لا أدخل فيه أبداً[4] » .

ورد لفظ (اللهمَّ) فى هذا النص مرتين قبل حرف الجواب (لا) لتوكيد الجواب المنفى ، وذلك لإقناع السائلين اللذين سُبق سؤالاهما بالقسم الطلبى المتمثل فى قول عمر بن الخطاب، ﷺ «آلله» ، وقول عبد الرحمن بن عوف

(١) يقول ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣/١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩) : « من القسم غير الصريح نشدتك وعمّرتك ، فللناطق بهما ان يقصد القسم والا يقصده ، فليس بمجرد النطق يدل على كونه قسماً ، لكن يعلم كونه قسماً باءيلائه «الله» نحو : نشدتك الله أو بالله ، وعمّرتك الله ، ولا يستعملان إلا فى قسم فيه طلب نحو : نشدتك الله إلا أعنتنى ، وعمّرتك الله لا تطع هواك . . . ومعنى قول القائل : نشدتك الله : سألتك مذكراً الله ، ومعنى عمّرتك الله : سألت الله تعميرك ، ثم ضُمّنا معنى القسم الطلبى . . . ولا يستعمل فى القسم الطلبى من حروف الجر إلا الباء معلقة بظاهر » .

(٢) ضبطهما محقق كتاب تاريخ الطبرى (٤/ ١٩١) بالفتح ، وأرى أنها بالكسر ؛ لأن همزة الاستفهام فى (آلله) عوض من حرف القسم الباء .

(٣) أى بالخلافة .

(٤) الطبرى : تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) : ٤/ ١٩١ .

ﷺ : « أنشدك الله » ، فكان الجوابان المؤكَّدان بلفظ (اللهم) مناسبين للسؤالين المؤكدين بالقسم الطلبى .

إن ما ورد فى هذه الخصيصة الدلالية من أن لفظ (اللهمَّ) يستعمل فى بعض النصوص العربية لتوكيد الجواب إذا وقع قبل (نعم) أو (لا) ، تنبنى عليه نتيجة ، وهى إضافة صورة جديدة ثالثة ، وهى التوكيد بلفظ (اللهمَّ) ، إلى صورتى النوع الخاص بالتوكيد بغير الأداة الذى ذكره الدكتور مهدى المخزومى ، فقد حصر الصور التعبيرية للتوكيد فى نوعين[1] :

الأول : التوكيد بالأداة : وصوره هى :

(١) ما يختص بالأسماء : وهو إنَّ ، ولام التوكيد ، أو اللام ولفظ القسم .

(٢) ما يختص بالأفعال : وهو نون التوكيد ، وهى مشددة ومخففة .

(٣) ما يتصل بالأسماء والأفعال : وهو أداتا القصر ، وهما (إنما) و (ما وإلا) والقصر بالتعريف . ومن الأدوات التى تستخدم لتوكيد الكلام وتقويته : الباء ، ومن ، وإنْ ، وتأديتها التوكيد إنما تقوم على زيادتها بعد أدوات النفى غالباً .

والآخر : التوكيد بغير الأداة : ومن صور التوكيد بغير الأداة :

(١) التوكيد بالتقديم : وهو مبنى على أن من أسلوب العرب فى كلامهم : أنهم إذا خصوا شيئاً باهتمامهم قدموه .

(٢) التوكيد بالتكرار : وله فى العربية طريقان :

أولهما : إعادة اللفظ الذى يراد تثبيته ، بتكرار اللفظ نفسه .

ثانيتهما : بإيلائه كلمات تؤدى ما يؤديه تكرار اللفظ نفسه ، وذلك فى توكيد

---

(١) مهدى المخزومى : فى النحو العربى نقد وتوجيه (بتصرف) : ٢٣٧ - ٢٤٤ .

الضمير المتصل ، أو المستتر بالضمـير المنفصل ، أو فى إيراد ألفاظ التوكيد المعروفـة ، وهى : النفـس والعين وكلا وكـلتا وجمـيع وغيرهـن مما هو معـروف . ومن التوكـيد بالتـكرار ما كان قـائماً علـى تكرار المعـنى دون اللفظ .

وتضاف إلى صـورتى النوع الآخر الخاص بـالتوكيد بغـير الأداة الذى ذكره الدكتـور مهدى المخزومى آنـفاً صورةٌ ثالـثة مستعـملة فى العـربية لتـوكيد الجواب ، وهى إيراد لـفظ (اللهم) متـقدماً على حرف الجـواب (نعم) أو حرف الجواب (لا) .

خاتمة البحث

توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة متنوعة ، يصنِّف أهمها فى النقاط التالية :

أولاً : من النتائج العامة التى توصلت إليها الدراسة :

(١) أن أصل لفظ (الله) هو (الإله) وحذفت منه الهمزة للاختصاص بالعلمية على المولى ، عزَّ وجلَّ ، وأن اللفظ عربى من أصل سامى ، فهو من السامية الأم وليس عربياً فقط ؛ فإنه ، كما اتضح من دراسة تأصيله فى اللغات السامية ، من الألفاظ المشتركة التى شاعت أيضاً فى العبرية والآرامية والسريانية والعربية الجنوبية .

(٢) أن الألفاظ المتناظرة الدالة على معنى (الله) أو (إله) فى اللغات السامية تكون إما ذوات أصول ثنائية صامتة (الهمزة واللام) وإما ذوات أصول ثلاثية صامتة (الهمزة واللام والهاء) ، ولعل هذا يؤكد أن الهمزة فى اللفظ (إله) أصلية فى العربية كما يرى ابن فارس (فى مجمل اللغة : ١/ ١٠١) ، وأنها ليست منقلبة عن الواو فى (ولاه) كما يرى الخليل بن أحمد (ينظر : الصحاح للجوهرى : ٦/ ٢٢٢٤) .

ثانياً : من النتائج التى تمثل جدَّةً فى الدراسة والتى أرى أنها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمى بذلك :

(١) أن الميم المشددة فى اللفظ المركب (اللهمَّ) الذى كان فى الأصل (لاهمَّ) قبل دخول الألف واللام عليه فى مرحلة تاريخية متأخرة من اللغة (فى العصر الإسلامى كما يرى الخليل بن أحمد فى كتاب العين : ٤/ ٩٠ ، ٩١) ، أن هذه الميم المشددة قد تكون منقولة من اللغة الآشورية ، حيث استعملت فيها هذه الميم المشددة ضمن المركب ilum - ma (بمعنى اللهمَّ أو

يا ألله) ، وهو مكون من لفظ ilu (بمعنى الله) وميم التمييم m واللاحقة الدالة على معنى النداء ma-. ويبدو أن هذه اللاحقة مختصة أيضاً فى الآشورية بلفظ ilum . مثل ذلك Anāku - ilum - ma (بمعنى : أنا (ها) هو يا ألله) فى الآشورية . فالميم المشددة التى لحقت بالمركب (لاهمَّ) هى عبارة عن ميم التمييم واللاحقة الدالة على معنى النداء ma - ، وقد بقيت هذه الميم المشددة فى المركب نفسه بعد أن دخلت عليه الألف واللام وأصبح (اللهمَّ) .

(٢) أن اللفظ (إلّ) بمعنى الله فى العربية يشبه اللفظ Ellil فى الأكادية ، وهو بمعنى الله العلىّ فى اللغة الأدبية البابلية ، يشبهه فى المعنى وفى البدء بهمزة مكسورة ولام مشددة ، وفى الجذر الثنائى (الهمزة واللام) ، وإن كانت اللام الأولى فى اللفظ الأكادى مبدلة من النون فى اللفظ الأكادى الأقدم Enlil .

(٣) أن لفظ (اللات) في العربية يشبه اللفظ الأكادى Ellilītu بمعنى الإلاهة العَلِيَّة (لدى الأكاديين) ، وهو مؤنث Ellil بمعنى الله العَلِىّ فى اللغة الأدبية البابلية ، يشبهه فى البدء بهمزة تعقبها لام مشددة ثم تاء فى آخره .

ثالثاً : من النتائج التى تمثل إضافة جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما ورد فى الخصيصة الدلالية للفظ (اللهمَّ) من أن هذا اللفظ يستعمل فى بعض النصوص العربية لتوكيد الجواب إذا وقع قبل (نعم) أو (لا) ، وبذلك تُضاف صورة جديدة ثالثة ، وهى التوكيد بلفظ (اللهمَّ) إلى صورتى النوع الخاص بالتوكيد بغير الأداة الذى ذكره الدكتور مهدى المخزومى ، حين حصر الصور التعبيرية للتوكيد فى العربية (وذلك فى كتابه : فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٢٣٧ - ٢٤٤) .

رابعاً : وصل البحث إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الدارس، ومن ذلك :

(١) ما رآه كل من الجوهرى (فى الصحاح : ١٦٢٦/٤ مادة (ألل)) وابن سيده (فى اللسان : مادة (ألل)) من أن لفظ (إلّ) يرد فى العربية بمعنى (الله) ، وما ورد فى البحث من نصوص عربية استعمل فيها اللفظ نفسه بهذا المعنى . إن ذلك كله ينفى ما رآه الفراء (فى اللسان : مادة (ألل)) من أن هذا اللفظ ليس من أسماء (الله) ، عز وجل ، يقول الفراء : « الإل : القرابة والذمة والعهد . وقيل : هو من أسماء الله عز وجل ، قال : وهذا ليس بالوجه ؛ لأن أسماء الله تعالى معروفة كما جاءت فى القرآن ، وتليت فى الأخبار. قال : ولم نسمع الداعى يقول فى الدعاء : يا إلّ ، كما يقول : يالله ويارحمن ويارحيم يامؤمن ، يامهيمن » .

فليس عدم ورود لفظ (إلّ) فى القرآن والأخبار بمعنى (الله) وعدم استعماله فى الدعاء دليلين على عدم وجوده بهذا المعنى فى النصوص العربية الأخرى وفى أساليب أخرى غير الدعاء .

(٢) ما اتضح من دراسة الخصيصة الأولى من الخصائص التركيبية للفظ (الله) من أن كثيراً من النحاة العرب ، ومنهم سيبويه والكوفيون ، يجيزون جر المقسم به لفظ (الله) مع حذف حرف القسم بلا عوض ، غير أن سيبويه قد قصر الجر على لفظ (الله) بعد حذف حرف القسم . إن ما اتضح ينفى ما رآه المبرد (فى المقتضب : ٣٣٦/٢) من أن جر المقسم به (الله) بعد حذف حرف القسم غير جائز عند كثير من النحويين .

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- ترجمة الكتاب المقدس (كتب العَهْد القديم والعَهْد الجديد) .. دار الكتاب المقدس ، دار حلمى للطباعة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيبانى) :
- الكامل فى التاريخ ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

أحمد ارحيّم هبو (دكتور) :
- المدخل إلى اللغة السريانية ، منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب ، حلب ١٩٧٥ - ١٩٧٦ م .

الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن) :
- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

برجشتراسر :
- التطور النحوى للغة العربية (سلسلة محاضرات) ، عنى بطبعها محمد حمدى البكرى ، مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ م .

ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :
- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- المنصف : شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٤ م .

الجوهرى (أبو نصر إسماعيل بن حماد) :

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الخفاجى (شهاب الدين أحمد) :

- كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، طبع بمطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

الخليل بن أحمد (أبو عبد الرحمن الفراهيدى) :

- كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدى المخزومى والدكتور إبراهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال ، بغداد بدون تاريخ .

الرازى (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب) :

- شرح أسماء الله الحسنى ، وهو الكتاب المسمى : لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد) :

- المفردات فى غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ .

رمضان عبد التواب (دكتور) :

- فى قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨١ م .
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) :

- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل ، تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر ، دار المصحف ، شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل) :

- الأصول فى النحو ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :

- الكتاب : كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جـ ٢ الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٩ ، جـ ٣ القاهرة - بيروت (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) .

السيوطى (جلال الدين) :

- الأشباه والنظائر فى النحو ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :

- تاريخ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٧ م .

- جامع البيان فى تفسير القرآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

العسقلانى (الإمام أحمد بن على بن حجر) :
- فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٩ هـ .

أبو العلاء المعرى :
- الفصول والغايات ، تحقيق محمود حسن زناتى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت بدون تاريخ .

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) :
- مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائى الجيّانى الأندلسى) :
- شرح التسهيل، تحقيق دكتور عبد الرحمن السيد ودكتور محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، الجيزة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) :
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

مجمع اللغة العربية :
- المعجم الكبير ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ .

محمود أحمد حسن المراغى (دكتور) :
- مدخل إلى اللغة العبرية ، دار العلوم العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى) :
- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٢ م .

المفضل الضبىّ :
- المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٢م .

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) :
- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٠ م .

مهدى المخزومى (دكتور) :
- فى النحو العربى نقد وتوجيه ، دار الرائد العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة بدون تاريخ .

يحزقيل قوجمان :
- قاموس عبرى - عربى ، مكتبة المحتسب ، توزيع دار الجبل ، بيروت ١٩٧٠ م .

ثانيا : المصادر والمراجع الأوربية :

Beeston, A. F. L. and others :
- Sabaic Dictionary (English - French - Arabic), publication of the university of Sanaa, yar. Editions peeters. Louvain - La - Neuve. Librairie du liban. Beyrouth 1982.

Dillmann, August :

- Ethiopic Grammer, Second Edition Enlarged and Improved by Carl Bezold, London, 1907.
- Lexicon linguae Aethiopicae, T. O. Weigel, lipsiae MDCCCLXV (1865).

Fischer, A. :

- Zur Aussprache des Namens Allāh. In : Islamica, Volume 1, S. 544 - 547, Verlag der Asia Major, leipzig 1924 - 1925.

Gesenius, Wilhelm :

- Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament. Bearbeitet von Dr. Frants Buhl. Unveränderter Neudruck der 1915 erschienenen 17. Auflage. Springer - Verlag. Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962.

Gordon , Cyrus H. :

- Ugaritic textbook, pontifical biblical institute. Rome 1965.

Grebau, Sylvain :

- Livre de Mysteis du Ciel et de la Terre, Parologia Orientalis, Tomus Sextus, Paris, 1911.

Grohmann, Adolf :

- Kulturgeschichte des alten Orients (Arabien). C. H. Beck'sche Verlagsbuchhandlung. München 1963.

Kramer, Friedrich Oswald :

- Deutsch - hebräischer und - aramäischer Index, für die sechszehnte Auflage durchgesehen von Dr. A. Walther. Der Anhang im : Wilhelm Gesenius' hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das alte Testament (S. 933 - 1013). Springer - Verlag. Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962.

Leslau, Wolf :

- Comparative Dictionary of Ge^{c}ez (Classical Ethiopic). Ge^{c}ez - English / English - Ge^{c}ez with an index of the Semitic roots, Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1991.

Segert, Stanislav :

- Altaramäische Grammatik, mit bibliographie, chrestomathie und Glossar. VEB Verlag. Enzyklopädie. Leipzig 1975.

Smith, W. Robertson :

- Die Religion der Semiten, mit einem Vorwort von Emil Kautzsch und einem Anhang, Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1967.

Socin, A. :

- Arabische Grammatik. Dritte Vemehrte und verbesserte Auflage. Verlag von Reuther und Reichard, Berlin 1894.

Ungnad, Arthur :

- Grammatik des Akkadischen, Völlig neubearbeitet von lubor Matouš, vierte Auflage der Babylonisch - Assyrischen Grammatik Arthur Ungnads. Verlag C. H. BECK. München 1964.

Von Soden , Wolfram :

- Akkadisches Handwörterbuch, Band I, Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1965.

- Grundriss der akkadischen Grammatik . 2. unveränderte Auflage. Pontificium Institutum Biblicum. Roma 1969.

Wright, W. :

- A grammar of the arabic language. II. Cambridge at the university press 1951.

دور السياق فى تقدير مرجع
الضمير فى الدراسات اللغوية والقرآنية

د. محمد احمد خضير
كلية الآداب - جامعة القاهرة

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مرجع الضمير فى القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالسياقين اللغوى وغير اللغوى فى الدراسات اللغوية والقرآنية ، ولقد سبقت هذا البحث دراسات فى عودة الضمير لكنها لم تبحث هذه العلاقة ولم تتبين ذلك فى أقوال النحاة والمفسرين ، أهمها دراسة للدكتور طه حسين بعنوان (استخدام ضمير الغائب فى القرآن كاسم إشارة) وقد نشرت هذه الدراسة لأول مرة فى باريس سنة ١٩٢٨ ، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت سنة ١٩٩٠ ضمن كتاب بعنوان (من الشاطئ الآخر) ، وقد جعل الدكتور طه حسين كل ضمائر الغائب التى تخالف قاعدة الضمير أسماء إشارة منكراً لما ذهب إليه النحاة والمفسرون ، وهو بحث قيم سيفيد منه الباحث على كل حال.

وكذلك كتاب مرجع الضمير فى القرآن تأليف الدكتور / محمد صبرة المنشور فى دار الثقافة العربية ، فإنه لايفى بهدفنا من هذا البحث .

لقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشى حين قال إن « المضمر لايكون إلا بعد الظاهر لفظًا ومرتبة ، إلا فى أبواب ضمير الشأن

والقصة ، وباب نعـم وبئس ، كقـوله تعالى ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ البقـرة ٢٧١ ، و ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ ﴾ الأعراف ١٧٧ ، والضـمير فى « رُبَّهُ رجـلاً » ، وباب الإعمال ، إذا أعمـلت الثانى ، والأول يطلـب عمدة ، فمذهب سيـبويه أنك تضمـر فى الأول ، فتقول : « ضـربونى وضربت الـزيدين » [1] وكذلك قالوا بوجوب مطابقة الضمير للمرجع فى النوع والعدد [2] .

وقد جـاء فى القـرآن الكريم مـا يخالف تـلك القـواعد ، فانـبرى النـحاة والمفسرون يبـررون ذلك ويفسرونه معتمـدين على السياق اللغـوى والمقامى فى البحث عن مرجع الضمير ، وعن مطابقته له فى النوع والعدد .

ولاشك أن النص القرآنى لا تفسر الجملـة منه ، أو اللفظة منفردة ، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآنى كله ، وهو ما نسميه السياق اللغوى ، وقد يفسرها ما هو خارج عن النص القرآنى من مثل السنة المـطهرة أو أسباب النزول وكل مـا يعرف به ظروف الخطاب الـقرآنى من متكلم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص .

فهل أسهمت تلـك الظروف فى تفسير مرجع الضمـير فى القرآن الكريم ؟ وما مدى تأثيرها ؟ وهل تنبه النحاة والمفسرون إلى ذلك وما استغلوه على أكمل وجه ؟ أم أن نـظرتهم كـانت قاصرة ؟ كـل هذه تساؤلات يـحاول هذا البـحث الإجابة عليها أو على بعضها .

---

(١) البرهان فى عـلوم القرآن ٤/ ٤١ ، ٤٢ ، وراجع أيضًا : المـقتضب ٣/ ١٨٦ ، مغنى الـلبيب ٥٨٠ وقد حدد المواضع التى يعود الضمير فيها على ما تأخر لفظا ورتبة ٦٣٥ وما بعدها ، النحو الوافى ١/ ٢٥٥ وما بعدها .

وراجع فى ضـمير الشأن ، و (ربَّهُ رجلاً) المـقتضب ٣/ ٦٧ ، شرح المفصل لابـن يعيش ٣/ ١١٤ ، ١١٨ ، همع الهوامع ١/ ٢٦٦ وما بعدها ، النحو الوافى ١/ ٢٥٠ .

(٢) راجع : النحو الوافى ١/ ٢٦٢ وما بعدها ، من الشاطئ الآخر ١٢٩ .

لقد ذهب الدكتور طه حسين فى حله لهذه المشكلة إلى جعل كل ضمير للغائب يخالف القاعدة اسم إشارة [1] وارتاح لهذا الحل وبرهن عليه ، لكن اسم الإشارة يُبحثُ له - منطقيًا عن مرجع أو عائد أيضًا ، فنحن مضطرون إلى البحث عن عائد لاسم الإشارة .

لقد بحث النحاة والمفسرون عن مرجع للضمير ، ولما لم يجدوا المرجع ظاهرًا قدروه مفهومًا من السياق ، من ذلك تقديرهم للمصدر مرجعًا للضمير فى مثل قوله تعالى ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الأنعام ١٢١ حيث قدرها الفراء « أكلكم ما لم يذكر اسم الله عليه فسق ، أى كفر وكنى عن الأكل »[2] وقال الزمخشرى « (وإنه لفسق) الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى ، يعنى وإن الأكل فيه فسق »[3] وقال أبو حيان بذلك وعرض أقوالاً أخرى فى عودة هذا الضمير [4] .

ومثل ذلك عند الفراء أيضًا ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ آل عمران ١٨٠ ، فمعناه عنده « فلا تحسبن الباخلون البخل هو خيرًا لهم . فاكتفى بذكر يبخلون من البخل ، كما تقول فى الكلام : قدم فلان فسررت به ، وأنت تريد : سررت بقدومه ، وقال الشاعر :

إذا نهى السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفيه »[5] ، ومثل ذلك جاء أيضًا عند سيبويه والأخفش والمبرد

---

(١) راجع تلك القاعدة فى : من الشاطئ الآخر ١٣٢ .

(٢) معانى القرآن ١/ ٣٥٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧ .

(٤) البحر المحيط ٤/ ٢١٣ .

(٥) معانى القرآن ١/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وراجع ١/ ٣١٢ ، ٤٣ .

والزجاج والنحاس [1] . وقد قالوا ذلك فى آيات كثيرة أخرى [2] .

والمصدر الذى يجعلونه مرجعًا للضمير فى تلك الآيات يفهم من الفعل المذكور فى الجملة ويكون من لفظه . وقد يفهم من وصف مذكور أيضًا مثل اسم الفاعل (ملاقو) فى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ٤٦ أى إلى اللقاء [3] .

وقد يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على المصدر المؤول المذكور فى الجملة أو على المصدر الصريح مثل ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ﴾ الأنفال ٦٠ فالضمير فى (ترهبون به) راجع إلى (ما استطعتم) عند الزمخشرى أو على (ما) أو الإعداد المفهوم من (أعدوا) ، أو القوة أو رباط الخيل عند أبى حيان [4] ولاشك ان الضمير يحتمل أن يعود على كل ذلك لأن الإعداد هو نفسه الاستطاعة وهو الذى يستطاع وهو القوة وهو رباط الخيل وإرهاب الأعداء مطلوب بكل ذلك ، ومهما قدر المرجع هنا فالمعنى يحتمله إلا أن عودة الضمير إلى المذكور أولى سواء كان المصدر المؤول (ما استطعتم) أو الاسم الموصول (ما) الذى لا يستغنى عنه صلته (استطعتم) ، أو القوة والرباط معًا ، ولا داعى لتقدير مصدر (أعدوا) وإن كان المعنى يحتمله .

---

(١) الكتاب ٣٨٩/٢ ، معانى القرآن للأخفش ١٠٣/١ ، ٢٢٤ ، المقتضب ٥٢/٤ ، معانى القرآن وإعرابه ١٢١/١ ، إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/١ ، ٥/ ٣٠ ، الحجة للفارسى ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ .

(٢) راجع : دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث / الجزء الأول ٢٦ وما بعدها ، البرهان فى علوم القرآن ٢٦/٤ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٨٤٥/ .

(٣) البحر المحيط ١٨٧/١ ، وراجع التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/ ٦٠ .

(٤) راجع : الكشاف ١٦٦/٢ ، البحر المحيط ٥١٢/٤ .

ومثل ذلك يقال فى قوله تعالى ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ يوسف ٩ فالضمير فى (بعده) قد يعود إلى يوسف أو مصدر (اقتلوه) أو (اطرحوه) (١) ، أى من بعد يوسف أو قتله أو طرحه أرضًا ، وكل ذلك يحتمله المعنى .

وقد يحتمل أن يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على مرادف للفظة فى الجملة كما يحتمل أن يكون جاريًا مجرى اسم الإشارة فى مثل قوله تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ النساء ٤ ، فالضمير فى (منه) يحتمل أن يكون جاريًا مجرى اسم الإشارة أو راجعًا إلى ما هو فى معنى الصدقات وهو الصداق - عند الزمخشرى - أو على ما تدل عليه الصدقات وهو المال ، أو على مصدر الفعل (آتوا) وهو الإتيان - عند أبى حيان (٢) .

وقد يعود الضمير على لفظة فى الجملة أو مفهوما من المعنى العام للآيات وهذا ما نجده عند أبى حيان فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ البقرة ٧٢ حيث قال : « الضمير فى (فيها) عائد على النفس وهو ظاهر ، وقيل على القِتْلة ، فيعود على المصدر المفهوم من الفعل ، وقيل على التهمة فيعود على ما دل عليه معنى الكلام » (٣) .

وهكذا يتحكم المعنى فى مرجع الضمير ، بل إن الضمير قد يعود على لفظ فى الجملة ، لكنهم يقدرون معناه مرجعًا للضمير ، فيقولون إن الضمير عائد على معنى اللفظ فى مثل قوله تعالى ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا

---

(١) راجع : الكشاف ٣/٣٠٥ ، البحر المحيط ٥/٢٨٤ .

(٢) راجع : الكشاف ١/٤٩٨ ، البحر المحيط ٣/١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) البحر المحيط ١/٢٥٩ .

قُلتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ آل عمران ١٦٥ ، قال أبو حيان « الإضمار فى (هو) راجع إلى المصيبة على المعنى لا على اللفظ » (١) .

وقد يعود الضمير إلى اللفظ فيقولون إنه عائد إلى ذلك اللفظ دون معناه لأن المعنى المقصود غير هذا اللفظ ، ومن أمثلة ذلك الضمير فى (عمره) من قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ فاطر ١١ قال الفراء « ولا ينقص من عمره ، يريد آخر غير الأول ، ثم كنَّى عنه بالهاء كأنه الأول . ومثله فى الكلام : عندى درهم ونصف يعنى نصف آخر . فجاز أن يكنى عنه بالهاء ؛ لأن لفظ الثانى قد يظهر كلفظ الأول فكنَّى عنه ككناية الأول » (٢) .

ومثل ذلك ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة ٢٧١ فالضمير فى (تخفوها) - عند أبى حيان - عائد على معنى الصدقات وهو التطوع « فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظًا لا معنى ، فيصير نظير : عندى درهم ونصفه ، أى نصف درهم آخر ؛ لأن قائل ذلك يريد : أن عنده درهمًا ونصف هذا الدرهم الذى عنده » (٣) .

وإذا كان المعنى فى الآية على أن الصدقات المظهرة غير تلك المضمرة ، فإننا لا نسبغ هذا التكلف فى إعادة الضمير ، فالضمير عائد إلى جنس الصدقات سواء أكانت ظاهرة أو خفية ، وهو ما قال به ابن عباس وغيره فى مثل هذه الآية (٤) .

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٠٧ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٦٨ ، راجع البحر المحيط ٧/ ٣٠٤ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٣٢٤ وفى مثل ذلك راجع أيضًا : دراسات لأسلوب القرآن ٣/ ١/ ٥٧ .

(٤) راجع : البحر المحيط ٧/ ٣٠٤ .

وقد يذكر اسمان في السياق اللغوى ويعود الضمير على أحدهما ، وقد جاء ذلك في القرآن كثيراً ، ورده النحاة والمفسرون إلى أسباب دلالية أو نحوية ومن أمثلة ذلك الضمير في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ يونس ٥ قال الفراء « ولم يقل : وقدرهما . فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ؛ إنّ به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعًا ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر :

رماني بأمر كنتُ منه ووالدى بريئًا ومن جُول الطوىّ رماني

وهو مثل قوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ التوبة ٦٢ ولم يقل أن يرضوهما [1] ، وقد جعل الزمخشرى الضمير عائدًا إلى القمر ، وقال أبو حيان إن الضمير عاد عليه وحده ؛ لأنه هو المراعى في عدد السنين والحساب ، عند العرب ، بينما يقول ابن عطية إنه يحتمل أن يريدهما معًا بحسب أنهما مصرَّفان في معرفة عدد السنين والحساب ، لكنه اجترئ بذكر أحدهما [2] . وخلافهم هنا يرتبط بالسياق الخارجى فمنهم من جعل القمر وحده هو المراعى في عدد السنين والحساب فعليه يعود الضمير ، ومنهم من جعل الشمس أيضًا كذلك فالضمير يمكن أن يعود إليهما معًا لكنه اجتزئ بأحدهما من الآخر .

ومثل ذلك الضمير في ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة ٣٤ . قال الفراء « ولم يقل : ينفقونهما فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك . وإن شئت اكتفيت بذكر

---

(١٩) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٥٨ .

(٢٠) راجع : الكشاف ٢/ ٢٢٥ ، البحر المحيط ٥/ ١٢٥ .

احدهمـا من صاحبه ، كـما قال ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انـفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الجمعة ١١ ، فجعله للتجارة ، وقوله ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ النساء ١١٢ فجعله والله أعلم - للإثم ، وقال الشاعر :

نحـن بما عنـدنا وأنـت بمـا عندك راض والرأى مختلف

ولم تقل : راضيان . وقال الآخر :

إنى ضمنت لمن أتانى ما جنى وأبى وكان وكنت غير غـدور

ولـم يقل : غدورين ، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد . وقوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ التوبة ٦٢ ، « إن شئت جعلته من ذلك : مما اكـتفى ببـعض من بعـض ، وإن شئت جـعلت الله تبـارك وتعالى فـى هذا الموضع ذكر لتعظيمه ، والمعنى للرسول ﷺ » [١] .

وإذا كان الفراء فى هذا النص يعتمد المعنى لتفسير عودة الضمير ، فإننا نجد أبا عبيدة يرد ذلك إلى الاعتماد على مـعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه فى الفعل ثم يقول إن العرب تفعل ذلك ويستشهد بأشعارهم [٢] .

كذلك قال الزجاج « ولم يقل يرضوهـما ، لأن المعنى يدل عليه ، فحذف استخفافًا » [٣] وقال الزمخشرى وأبو حـيان إن ﷻ ورضى الرسول ﷺ فى حكم مرضى واحد ، وقال العكبرى إن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى وخرّج أبو حيان آيات أخرى على ذلك [٤] .

---

(١) مـعانى الـقــرآن للـفراء ١/ ٤٣٤ ، راجع ١/ ٤٤٥ ، الكـشاف ٢/ ١٨٧ ، إعراب القـرآن للنـحاس ٢/ ٢١٢، الكتاب ١/ ٧٥ ، المقتضب ٣/ ١١٢ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢/ ٢٥٨ معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٩٢، ٤٩٣ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٥٠٧ .

(٤) الكشاف ٢/ ١٩٩ ، التبيان فـى إعراب القرآن ٢/ ٦٤٨ ، البحر المحيط٥/ ٦٤ ، وراجع آيات أخرى فى دراسات لأسلوب القرآن ٣/ ١/ ٦١ ، ٦٢ .

وهم فى كل ذلك يحكمون المعنى فى عودة الضمير ثم يقفون عند أحقية ما يعود عليه الضمير ، هل هو الأول أم الآخر ؟ والقياس عند الأخفش - أن يعود الضمير على كلا الاسمين إذا كان العطف بالواو فنقول زيد وعمرو ذاهبان، وليس ذاهب ، أما إذا كان العطف بأو فلك أن تحمله على الأول أو على الآخر ، والأقيس حمله على الآخر [1] ، وكذلك يقول الفراء إن الأجود فى العربية أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين ، إلا إذا كان الأول أهم كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الجمعة ١١ وهو قول أبى عبيدة أيضًا [1] .

وكان لسياق الحال دوره فى تحديد المرجع ، وأول ما يبدو من ذلك الدلالة العامة فى مثل الضمير فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الأعراف ١٤٨ قال الزجاج « ومعنى من بعده أى من بعد ما جاء الميقات ، وخلفه هارون فى قومه » [1] . ومثل ذلك الضمير فى قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فصلت ١٤ قال الفراء « أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول : وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم فى (خلفهم) للرسل ، وتكون لهم تجعل من خلفهم لما معهم » [1] .

وفى هاتين الآيتين عودة إلى التفسير العام للآية حتى تفهم ويفهم ما يعود

---

(٢٥) راجع : معانى القرآن للأخفش ١/٨١ ، ٨٢ .

(٢٦) معانى القرآن للفراء ٣/١٥٧ . ، مجاز القرآن ١/٣٩ .

(٢٧) معانى القرآن وإعرابه ٢/٤١٦ .

(٢٨) معانى القرآن للفراء ٣/١٣ .

عليه الضـمير ، ففى الآية الأولى يعـود الزجاج إلى قصة موسى عـليه السلام والميقات ليحدد مرجع الضمير ، وفى الآية الـثانية نجد الضمير فى (خلفهم) قد يعود إلـى الرسل فيـكون المعنى أتـتهم رسل من خـلف رسل ، أو يعـود على الناس فتكـون رسل لهم ولمن بعدهم وهكـذا يعود الفراء إلى التفسـير أو المعنى العام ليحدد المرجع .

وقد حاول النحاة والمفسرون تحديد المرجع إلى شخص أو أشخاص بعينهم، وأول ما يلفتنا تلك الضمائر التـى تعود إلى شخص النبى ﷺ فـ « هو المعنى عندما يورد القرآن الآراء العدائية التى يبديها خصومه بشأنه » والنبى ﷺ هو من يتحدث الله عنه ليشجعه أو ليـثنى عليه أو يعاتبه أحيانًا [١] ، وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة من مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الأنعام ٣٧ ، و ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الرعد ٧ و ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ النحل ١٠٣ و ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ يس ٦٩ و ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ الجن ٢٨ قال الفراء « (ليعلم) يعنى محـمدًا ﷺ » [٢] ، و ﴿ فَالَّذِيـنَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ الأعراف ١٥٧، قال الزجاج « أى بمـحمد ﷺ » [٣] و ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ التوبة ٤٠ قال النحاس « الهاء تعود على النبى » [٤] ﷺ .

وقد جاءت بعـض الضمـائر تحتمـل العودة إلى النبـى ﷺ أو إلى غيره ، من ذلك الهاء فـى ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ التوبة ٤٠ ، قـال الزجـاج

---

(١) من الشاطئ الآخر ١٣٥ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ١٩٦ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٦ .

« يجوز أن تكون الهاء التى فى (عليه) لأبى بكر ، وجائز أن تكون ترجع على النبى ﷺ ؛ لأن الله - جل ثناؤه - ألقى فى قلبه ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين » [1] ، أما النحاس فيستعين بسياق الحال حيث يقول « القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة إن المعنى : فأنزل الله سكينته على أبى بكر لأن النبى ﷺ قد علم أنه معصوم ، والله جل وعز أمره بالخروج ، وأنه ينجيه ، والدليل على هذا أنه قال لأبى بكر ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة ٤٠ فسكن أبو بكر رضي الله عنه » [2] .

وقد جعل الفراء الضمير المستتر فى (أو تحلّ) فى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ الرعد ٣١ عائدًا على النبى ﷺ ، قال (أو تحُلُّ أنت يا محمد بعساكرك (قريبًا من دارهم) [3] والأولى أن يعود الضمير على القارعة وهى فى السياق اللغوى فيكون التقدير تصيبهم القارعة أو تحلُّ (القارعة) قريبًا من دارهم .

وقد اختلف فى مرجع ضمير المخاطب فى قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ ق ٢٢ على ثلاثة أقوال : الأول على أن المخاطبة للنبى ﷺ ، وقد اعترض على ذلك ، والثانى : أنها مخاطبة للكفار أو المشتركين ، أما الثالث : فهو أن المخاطبة للبر والفاجر أى أن الخطاب عام ، وهو ما نميل إليه لأنه لايقطع السياق اللغوى وهو رأى أبى جعفر النحاس الذى عرض الأقوال الثلاثة ثم قال « أما قول زيد بن أسلم (وهو عودة الضمير على النبى ﷺ) فتأويله على أن الكلام تم عند قوله جل وعز ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٢١٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٥ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٦٤ .

﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ ق ٢١ ثم ابتدأ يا محمد لقد كنت فى غفلة من هذا الدين ، وبما أوحى إليك من قبل أن تبعث إذ كنت فى الجاهلية . . . وأولى ما قيل فى الآية أنها على العموم للبر والفاجر يدل على ذلك ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ق ١٦ فهذا عام لجميع الناس برهم وفاجرهم . فقد علم أن معنى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ق ١٩ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت ، ثم جرى الخطاب على هذا فى (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى : لقد كنت أيها الإنسان فى غفلة مما عاينت ، فإن كان محسنًا ندم إذ لم يزدد ، وإن كان مسيئًا ندم إذ لم يقلع هذا لما كشف عنهما الغطاء »[1] والنحاس فى كل ذلك يحكم السياق اللغوى في الاستدلال على رأيه فسياق الآيات يبدأ بالحديث عن الإنسان عمومًا ويستمر فى ذلك فلماذا نقطعه .

واختلف المفسرون فى ضمائر سورة النجم فى الآيات الأولى من ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النجم ٣ فالضمير المستتر فى (ينطق) للنبى ﷺ ، أو للقرآن الكريم[2] والضمير فى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ النجم ٨ يعود إلى جبريل عليه السلام أو إلى الله عز وجل أما الضمير فى (عبده) فى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ النجم ١٠ فيعود إلى الله عز وجل ، أى فأوحى إلى عبدالله[3] وعلى ذلك يكون الضمير فى (أوحى) عائدًا على الله سبحانه وتعالى أيضًا ، أى : فأوحى الله إلى عبده ويكون الكلام منفصلاً عما قبله ، لأن الحديث قبله عن جبريل عليه السلام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ النجم ٨ ، ٩ والإيحاء يكون من الله سبحانه ، وناقل الوحى هو جبريل عليه السلام.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) راجع : البحر المحيط ٨/١٥٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٦٥ ، الكشاف ٤/٢٨ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٣/٩٥ ، وراجع البحر المحيط ٨/١٥٨ .

وقد عرض النحاس قولين هذا احدهما والآخر أن المعنى فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ عبد الله واختار هذا القـول ، قال « وهذا أشبه بسياق الكلام لأن ما قبله وما بعده أخبار عن جبريل علـيه السلام ومحمد ﷺ فلا يخرج عنهما إلى أحد إلا بحجة يجب الـتسليم بها »[1] والنحاس بذلك يحكـم السياق اللغوى فى تفسير المرجع ، لكن القول الأول محتمل أيضًا .

وقدر الزمخشـرى (إلى عبده) إلى عبدالله ، قال وإن لم يـجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يـلبس[2] اما أبو حيـان فقد عرض لنا الأقـوال فى عودة هذا الضمـير حيث قال « فأوحـى : أى الله إلى عبده أى الرسول ﷺ قـاله ابن عباس ، وقيل إلى عـبده جبريل . . . وقال الحسن فأوحى جـبريل إلى عبدالله محمد ﷺ مـا أوحى . . . وقال ابن زيد فأوحـى جبريل إلى عـبدالله محمد ﷺ ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام »[3] .

ثم يأتى الضمير فى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ النجم ١٣ ، قال البعض إن الضمـير فى (رآه) يعود عـلى الله سبحانه ، وفـى ذلك يكون الـنبى ﷺ قد رأى الله سبحانه وتعالى فـى الدنيا ، لكن الضمير عند أكثر الـمفسرين يعود إلى جبريل علـيه السلام ، يقول النحاس « أحـسن ما قيل فيه وأصحـه أن الضمير يعود علـى شديد القوى » ثم يروى عـن عائشة رضي الله عنها أنها قـالت « من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله جل وعز الـفرية والله جـل ثناؤه يقـول ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الشورى ٥١ ، والله يقول ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ الأنعام ١٠٣ » ، فيقول لها الراوى : يا أم

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٦٧ .

(٢) الكشاف ٤/٢٩ .

(٣) البحر المحيط ٨/١٥٨ .

المؤمنين : ألم يقل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ النجم ١٣ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ التكوير ٢٣ ، قالت : أنا سألت عن ذلك نبى الله ﷺ فقال : « رأيت جبريل عليه السلام نزل ساداً الأفق على خلقه وهيبته أو خلقه وصورته » (١) .

وعرض أبو حيان القولين ونسبهما حيث قال « ولقد رآه الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع نزلة أخرى أى نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها . . . وقال ابن عباس وكعب الأحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما إن رسول الله ﷺ رأى ربه مرتين » (٢) .

وعلى قول عائشة رضي الله عنها تكون الضمائر فى (دنا) إلى (رآه) عائدة إلى جبريل عليه السلام ، وهو ما يعطى للسياق الحالى مكانته فى تحليل عودة الضمير ، بناء على نفى رؤية النبى ﷺ لله فى الدنيا ، لكن هذه الضمائر عند آخرين تعود إلى الله سبحانه وتعالى .

ومن الضمائر ما يعود على القرآن الكريم بدلالة السياق وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة (٣) ، ومن أمثلة ذلك ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَه ﴾ الأعراف ٥٣ ، قال الفراء : « الهاء فى تأويله للكتاب »(٤) ، و ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ المدثر ٥٤ قال الأخفش : « أى : إن القرآن تذكرة » (٥) ، ومن ذلك ما يعود على القرآن

(١) راجع : إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٥/١٦٢ .

(٢) البحر المحيط ٨/١٥٩ ، وراجع ٨/١٥٨ .

(٣) راجع : من الشاطئ الآخر ١٣٥ هامش ١ .

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٨٠ ، ٣/٣٤ .

(٥) معانى القرآن للأخفش ٢/٥١٦ ، وراجع أيضاً : مجاز القرآن ٢/٢٦٨ ، ٢٨٦ معانى القرآن وإعرابه ٢/٦٦ ، ١٩٧. ، ٢٦١ ، ٢٧٥ ، ٣٠٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/٩٤ ، ٥/١٨ .

او على النبى ﷺ من مثل ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الأنعام ٩٢ قال الفراء « الهاء تكون لمحمد ﷺ وللتنزيل » [١] .

ومن ذلك ما عاد إلى عيسى عليه السلام واحتمل العودة إلى شىء آخر مثل : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ النساء ١٥٩ . قال الفراء «جاء التفسير بوجهين ؛ أحدهما أن تكون الهاء فى موته لعيسى، يقول : يؤمنون إذا أنزل قبل موته ، وتكون الملة والدين واحدًا . ويقال : يؤمن كل يهودى بعيسى عند موته . وتحقيق ذلك فى قراءة أبى (إلا ليؤمن به قبل موتهم) » [٢] فيكون الضمير فى (موته) إما أن يعود إلى عيسى عليه السلام أو إلى كل يهودى . ومثل ذلك الهاء فى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ قال الفراء الهاء للعلم كما تقول قتلته علمًا[٣] ومثل ذلك ما يعود إلى موسى أو يوسف عليهما السلام أو السامرى [٤] .

ومن ذلك ما يعود على الكفار والمشركين والمنافقين واليهود مما يدل عليه الحديث الشريف أو السيرة المطهرة[٥] ومن أمثلة ذلك ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف ٢٠٢ قال الفراء «يعنى المشركين شياطينهم»[٦] . ومثل ذلك أيضًا الضمير فى ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ آل عمران ١٨٨ قال النحاس « يراد بهذا اليهود . . . وقال ابن زيد : هم المنافقون كانوا

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٤ .

(٢) نفسه ١/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) نفسه ١/ ٢٩٤ ، وراجع تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٢ .

(٤) راجع : الحجة فى علل القراءات السبع للفارسى ٢/ ١٤٩

(٥) راجع : من الشاطئ الآخر ١٣٢ - ١٣٤ ، والآيات ٧٥ ، ١٠٢ ، ١٧٠ ، ١٨٩ من سورة البقرة ، والإتقان فى علوم القرآن ٢/ ١٦٩ - ١٧٧ .

(٦) معانى القرآن ١/ ٤٠٢ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٣٩٧ .

يقولون للنبى ﷺ : نخرج ونحارب معك ثم يتخلفون ويعتذرون ويفرحون بما فعلوا لأنهم يرون أنهم قد تمت لهم الحيلة »(١) . ويتضح من هذا النص لجوء المفسرين إلى السياق الحالى (الخارجى) المتمثل فى أسباب النزول .

وقد يعود الضمير إلى شيء سبق ذكره فى السياق اللغوى من مثل الضمير فى ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ الأنفال ١١ ، قال الزجاج « أى : يثبت بالماء الذى أنزله على الرمل حتى استوى ، وجائز أن يكون زيَّن به للربط على قلوبهم »(٢) واختلفوا فى بعض الضمائر وإن اتفق المعنى الذى يقصدونه فى مثل ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾ الأنفال ١٠ قال الفراء « هذه الهاء للإرداف »(٣) ، وقال الزجاج « وما جعل الله المدد إلا بشرى »(٤) والمدد والإرداف يفهمان من الآية السابقة لهذه الآية . ومثل ذلك ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ آل عمران ١٠٣ قال النحاس « (فأنقذكم منها) الهاء تعود على النار لأنها المقصود أو على الحفرة »(٥) .

ولقد أثرت القراءات كذلك فى تقدير مرجع الضمير من ذلك القراءات فى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ القلم ٤٢ فقد قرئت (يُكشفُ) و (تكشِفُ) وضمير الفاعل فى القراءة الثانية هو القيامة أو الساعة ، وكذلك قراءة ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الانشقاق ١٩ فقد قرئت (لتركَبُنَّ) يعنى : الناس عامة ، و (لتركَبَنَّ) أى أنت يا محمد ﷺ سماء بعد سماء ، أو (ليركبن)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٢٥ ، وراجع ٥/ ٢٩ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٤ ، وراجع إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٩ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٨ ، إعراب ثلاثين سورة ١٥٦ .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢/ ٢١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٩٨ .

... إلخ [١] ومثل ﴿ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ الطور ٣٤ فالهاء على قراءة الجماعة تعود على القرآن ، وقد قرأها الجحدرى (بحديثِ مثله) وفى هذه القراءة تعود إلى النبى ﷺ [٢] وهناك ضمائر تعود إلى الذات العلية بدلالة سياق الحال منها الهاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ الطارق ٨ ، قال ابن خالويه [٣] « الهاء كناية عن الله ، أى : إن الله تعالى قادر على رجع الماء ورده فى الإحليل » .

ومن ذلك أيضًا ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ الفجر ٢٥ ، قال أبو عبيدة « يومئذ لايعذب عذاب الله أحد فى الدنيا » وإن كان بعضهم قدرها لايعذب عذاب الكافر أحد بإضافة المصدر إلى المفعول لا إلى الفاعل وبناء الجملة للمفعول أى يعذَّب عذابه [٤] .

وقد يعود الضمير على شىء لم يذكر فى السياق اللغوى لكنه يفهم معناه من سياق الحال وأشهر الأمثلة على عود الضمير دون ذكر المرجع قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص ٣٢ وقد عرض الفراء الموقف الذى تتحدث عنه الآية فقال : إن سليمان عليه السلام كان قد غنم تلك الخيل فلما صلى الظهر دعا بها ، فلم يزل يعرضها حتى غابت الشمس ولم يصل العصر [٥] وعلى ذلك

---

(١) راجع : معانى القرآن للفراء ٣/ ١٧٧ ، ٢٥٢ ، معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٢٣٣ عند الآية ١٦ من سورة الأنعام (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤ ، ١٥ ، معجم القراءات ٧/ ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٨/ ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) المحتسب ٢/ ٢٩٢ ، وراجع : معجم القراءات ٦/ ٢٦١ .

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٨ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٤ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٥) معانى القرآن للفراء ٢/ ٤٠٤ .

يقدر أبو عبيدة الضمير المستتر فى توارت فيقول إن « المعنى للشمس وهى مضمرة »[1] ويعيب الزجاج على اللغويين قولهم إن الشمس لم يجر لها ذكر ، قال لأن فى الآية دليلاً يدل على الشمس ، وهو قوله : إذ عرض عليه بالعشى، والعشى فى معنى بعد زوال الشمس حتى توارت بالحجاب ، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزلة الذكر » [2] .

لكن أبا حيان يقول « الظاهر أن الضمير فى توارت عائد على الصافنات أى دخلت اصطبلاتها فهى الحجاب ، وقيل حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر ، وقيل الضمير للشمس وإن لم يجر لها ذلك لدلالة العشى عليها »[3] ، والأولى - فى رأى - أن الضمير يعود على الصافنات وهى المذكورة فى السياق اللغوى وعودة الضمير على ما ذكر أولى من أن يعود على ما لم يجر له ذكر كما يقول النحاس [4] .

والأمثلة على ما لم يجر له ذكر فى الكلام كثيرة والمرجع دائمًا شيء مشهور أو معروف ، من ذلك مثلا ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ فاطر ٤٥ قال الأخفش « فأضمر (الأرض) من غير أن يكون ذكرها لأن هذا الكلام قد كثر حتى عرف معناه ، تقول : أخبرك ما على ظهرها أحد أحبُّ إلىَّ منك ، و : ما بها أحدٌ آثرُ عندى منك » [5] .

ومثل ذلك ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ الحاقة ١٧ « أى على أرجاء

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٨٢ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣١ .

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٦ .

(٤) إعراب القرآن ٥/ ٢٩ .

(٥) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٤٤٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٩

السماء » و ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ المعارج ٦ أى : البعث ، و ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ المدثر ٣٥ الهاء كناية عن جهنم [١] ، ومثل ذلك ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ الشمس ٣ قال الفراء « جلى الظلمة ، فجاز الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر لأن معناها معروف ، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة وأمست باردة ، وهبت شمالاً ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر ؛ لأن معناها معروف »[٢] . ومثل ذلك ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ العاديات ٤ ، قال الفراء « الهاء كناية عن الوادى ولم يتقدم له ذكر ؛ لأنه عُرف المعنى »[٣] وكذلك الضمير فى ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ هود ٧٠ قال الفراء « أى إلى الطعام » [٤] .

ومثل ذلك الهاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر ١ ، قال ابن خالويه « فإن سأل سائل فقال : المكنى لايكون إلا بعد ظاهر ، وهذه أول سورة ، فلِمَ كنَّى عن شىء لم يتقدم ذكره ؟ فالجواب فى ذلك أن العرب قد تكنى عن الشىء وإن لم يتقدم ذكره إذا كان المعنى مفهومًا ، كقولهم : ما عليها أعلم من فلان يعنون الأرض » [٥] .

ومن ذلك ما كان شيئًا عامًا يعود على النفس من مثل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس ١٠ قال الفراء « قد أفلحت نفس زكاها

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢ ، ٧١ ، معانى القرآن للفراء ٣/ ١٨٤ ، ٢٠٥ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٦٦ .

(٣) نفسه ١/ ٤٠٤ ، والآية السابقة هى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٣ .

(٥) إعراب ثلاثين سورة ١٤٢ .

الله ، وقد خابت نفس دساها ، ويقال : قد أفلح من زكّى نفسه بالطاعة والصدقة ، وقد خاب من دسّى نفسه ، فأحملها بترك الصدقة والطاعة[1] والفراء هنا يعرض رأيين والهاء فيهما تعود على النفس ولايهمنا ما يتفرع على الرأيين .

وقد يعود الضمير على الإنسان ؛ من مثل ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ ق ١٨ قال النحاس « الضمير الذى فيه يعود على الإنسان ؛ أى : ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به إلا عند لفظ به »[2] .

ومن ذلك أيضًا عودة الضمير على الثقلين الإنس والجن فى قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ٥٥ قال أبو عبيدة « (تكذبان) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان »[3] .

من كل ما سبق يتبين لنا أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى فى تقدير مرجع الضمير ، وقد تبين لنا السياق اللغوى فى عودة الضمير إلى المصدر المأخوذ من لفظ الفعل المذكور فى الجملة ، أو اعتبار المرجع لفظة سابقة أو عودة الضمير على مرادفها ، كما تبين لنا سياق الحال فى اعتبار المعنى أساسًا للمرجع ويرز ذلك فى استخدام المعنى العام للآيات ، وأقوال المفسرين والعودة إلى الحديث الشريف والسيرة العطرة وربط ذلك بأسباب النزول ، وتبين لنا كيف تنبه النحاة إلى ذلك وحاولوا باستخدام سياق الحال إعادة الضمير إلى شخص أو أشخاص أو أشياء محددة .

والحق أن الدكتور طه حسين رغم قوله بأن تلك الضمائر أسماء إشارة إلا

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/٢٦٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

أنه قد تنبه إلى أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى ، لكنه عرف السياق اللغوى وحده ثم قال إنه لايكفى وحده للكشف عن مرجع الضمير ، وينبغى أن تضاف إليه عوامل أخرى مثل الإشارات والإيماءات فى المقاطع الخطابية ، والمعارف التى قد تتوافر لدى السامع أو القارئ[1] وهذه الأشياء التى أشار إليها ليست إلا عناصر لسياق الحال أشار إليها ابن جنى فى خصائصه[2] كما اهتم البلاغيون والأصوليون والمفسرون من قبل ، كما عرفتها مدرسة السياق عند فيرث [3] .

وإذا كنا قد تناولنا فيما سبق البحث عن مرجع الضمير ، فلابد أن نشير هنا أيضًا إلى مرجع اسم الإشارة ، وهو ما وجدناه عند النحاة والمفسرين أيضًا وهو ما جعلنا نقول من قبل إن جعل الضمير بمعنى اسم الإشارة لايحل مشكلة المرجع .

ولا نبعد إذا قلنا إن النحاة والمفسرين قد فعلوا ما فعلوه فى البحث عن مرجع الضمير ، فوجدنا مثلاً أسماء إشارة مرجعها المصدر المفهوم من السياق ، من مثل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٩ ، قال الفراء « للاختلاف والرحمة » [4] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٦١ ، قال الزجاج « معنى ذلك والله أعلم - الغضب حل بهم بكفرهم » . ومثل ذلك ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ آل عمران ٨٢ قال ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق » [5] .

---

(١) راجع : من الشاطئ الآخر ١٤١ .

(٢) راجع : الخصائص ١/ ٢٤٥ وما بعدها ، فقه اللغة فى الكتب العربية ١٦٧ وما بعدها .

(٣) راجع : الدلالة والتركيب ١١٨ وما بعدها .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣١ .

(٥) معانى القرآن وإعرابه ١/ ١٤٥ ، ١٠٢ ، ٣٠٠ ، ٤٢٦ .

وكذلك قال النحاس فى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ آل عمران ٧٥ « أى فعلهم ذلك وامرهم ذلك »[١] ، وفى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى ﴾ ق ٣٧ قال « أى إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها وقصصنا خبرها »[٢] .

ومن ذلك ما جاء إشارة إلى القرآن من مثل ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ هود ٤٩ ، قال الفراء « (من قبل هذا) يعنى القرآن »[٣] ومثل ذلك ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ الجاثية ٢٠ قال أبو عبيدة « مجازها : هذا القرآن بصائر للناس »[٤] .

وهم فى كل ذلك يعتمدون على السياق فى تقدير مرجع اسم الإشارة . كذلك كان للسياقين اللغوى وغير اللغوى دورهما فى حل مشكلة مخالفة المطابقة بين الضمير والمرجع ، وقد تكون تلك المخالفة فى مطابقة العدد من حيث التعبير بالمفرد عن المثنى أو العكس ، والتعبير بالجمع عن المفرد أو العكس، والتعبير بالمثنى عن الجمع أو العكس ، وكان للسياق أثره فى تفسير كل ذلك عند اللغويين والمفسرين[٥] .

وقد تكون المخالفة فى مطابقة النوع ؛ فقد يكون الضمير عائدًا على لفظة فى السياق اللغوى فى مثل ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ البقرة ١٤٣ قال الأخفش

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٨٨ .

(٢) نفسه ٤/ ٢٣١ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ١٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢١٠ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٩٧ .

(٥) راجع : العلاقة بين المطابقة العددية والسياق / مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ٦٠ ص ٧ وما بعدها .

« يعنى القبلة، ولذلك أنث »[1]، و ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ البقرة ١٣٢، قال الزجاج « قوله (بها) هذه الهاء ترجع على الملة ؛ لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ البقرة ١٣٠ قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ البقرة ١٣٢[2] ومعنى ذلك أن تقدير رجوع الهاء إلى الملة جاء من وجود ألفاظ فى السياق اللغوى فى الآية ١٣٢ تدل عليها هى (إن الله اصطفى لكم الدين) .

وقد جاءت ضمائر تعود على مرجعين فى السياق اللغوى أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، وكذلك عادت مرة بالتأنيث وأخرى بالتذكير ، ومن ذلك (السقاية) و (الصواع) فى سورة يوسف الآيات من ٧٠ إلى ٧٦ ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ يوسف ٧٠ وقال عز من قائل ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ يوسف ٧٢ ، و ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ يوسف ٧٥ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا ﴾ يوسف ٧٦ ، فجاء الضمير مؤنثًا فى الآية الأخيرة وهو يعود على الصواع ، وهنا نجد الفراء يقول « ذهب إلى تأنيث السرقة . وإن يكن الصُّوَاع ، فى معنى الصَّاع فلعلَّ هذا التأنيث من ذلك . وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية »[3] .

ويمكننا أن نفهم كلام الفراء هذا من أقوال الزمخشرى الذى فسر (السقاية) بأنها مشربة يُسقى بها وهى الصواع ، ثم تساءل لم ذكَّر ضمير الصواع مرات ثم أنثه ؟ ثم قال « قالوا : رجع بالتأنيث على السقاية ، أو أنث الصواع لأنه يذكر

---

(١) معانى القرآن للأخفش ١/ ١٥١ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ١/ ٢١١ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٥٢ .

ويؤنث ، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيدة صواعًا ، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية ، وفيما يتصل بهم منه صواعًا »[1] ، فهذه الضمائر بعضها يعود للسقاية وبعضها يعود للصواع ، أو إن الصواع يذكر ويؤنث ، ويضاف إلى ذلك عند الفراء عودة الضمير إلى (السرقة) المتحدث عنها فى الآيات وإن لم تذكر لفظًا .

وكلام الفراء هذا يأخذنا إلى ما فعلوه من جلب كلمة يدل عليها المعنى وإرجاع الضمير إليها ، وهذا ما نجده أيضًا عند الأخفش فى قوله تعالى ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل ٦٧ حيث قال « ولم يقل (منها) لأنه أضمر الشيء ، كأنه قال : ومنها شيء تتخذون منه سكرًا »[2] .

وقد يعود الضمير على لفظة فى السياق اللغوى مما يذكر ويؤنث ، ومن ذلك كلمة (الفلك) التى جاءت فى القرآن مذكرة فى (الفلك المشحون - الشعراء ١١٩ ، يس ٤١ ، الصافات ١٤٠) ، وجاءت مؤنثة فى آيات مثل ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ البقرة ١٦٤ و ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يونس ٢٢ ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ إبراهيم ٣٢ إلى غير ذلك من الآيات . قال الفراء عند آية يونس « قوله : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ يونس ٢٢ يعنى الفلك ، فقال جاءتها ، وقد قال فى أول الكلام (وجرين بهم) ، ولم يقل : وجرت ، وكل صواب ، تقول النساء قد ذهبت ، وذهبن . والفلك تؤنث وتذكر ، وتكون واحدة وتكون جمعًا . وقال فى (يس) ﴿ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ يس ٤١

---

(١) راجع : الكشاف ٢/ ٣٣٤ ، ٣٣٥

(٢) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣٨٣ .

فذكَّر الفلك ، وقال ها هنا جاءتها ، فأنث . فإن شئت جعلتها ها هنا واحدة ، وإن شئت جماعًا »[1] . ومن ذلك (النخل) فقد قال الفراء عند قول الله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الحشر ٥ إن من قرأ (أصوله) ذهب إلى الجمع فى اللين كله ، ومن قال : أصولها ذهب إلى تأنيث النخل ، لأنه يذكر ويؤنث »[2] ، وكذلك كلمة (الشجر) فى ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ الواقعة ٥٢ ، ٥٣ [3].

وقد جاء الضمير مؤنثا فى قراءة ومذكراً فى أخرى ، فلجأ المفسرون إلى المعنى أيضًا فى تفسير ذلك . ومن أمثلة ذلك ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ﴾ غافر ١٥ قال الفراء : إن من قرأ بهذه القراءة « ذهب إلى الرجال وفى حرف عبدالله (برسولها) ، وكل صواب » [4] أى أن الضمير فى قراءة التذكير يعود على رجال الأمة وعلى قراءة التأنيث يعود على الأمة .

وقد يعود الضمير على شىء يفهم من سياق الحال لكنه يكون مرة بالتأنيث ومرة بالتذكير ، فيقدر المرجع تبعًا لذلك ومن أمثلة ذلك ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ عبس ١١ ، ١٢ قال الفراء « هذه السورة تذكرة ، وإن شئت جعلت الهاء عماداً لتأنيث التذكرة » فضمير المؤنث عنده إما أن يعود إلى السورة أو أن يكون ضمير فصل يعود على التذكرة . أما الضمير الثانى المذكرة

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٦٠ .

(٢) نفسه ٣/ ١٤٤ ، وراجع : معجم القراءات ٧/ ١١٣ .

(٣) نفسه ٣/ ١٢٧ .

(٤) نفسه ٣/ ٥ ، وراجع أيضًا ٣/ ٣٧ ، ٥٥ ، ٢١٣ ، ١/ ٢٤٠ ، ٢/ ٥٨ ، ٥٩ ، معجم القراءات ٦/ ٣٦ .

فى (ذكره) فيعود عنده على القرآن[1] . وقدر الزجاج الضمير المؤنث للموعظة ، والمذكر للوعظ[2] . وقد جاءت الآيتان فى سورة المدثر بالتذكير هكذا ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ المدثر ٥٤ ، ٥٥ وهنا يقول الفراء « يعنى هذا القرآن ، ولو قيل : (إنها تذكرة) لكان صوابًا ، كما قال فى عبس ، فمن قال : (إنها) أراد السورة ، ومن قال : (إنه) أراد القرآن » [3].

وكذلك جاء اسم الإشارة فى مثل هذه الآيات فقدر المرجع من سياق الحال، من مثل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ﴾ الإنسان ٢٩ قال الفراء « يقول : هذه السورة تذكرة وعظة »[4] ، وقال النحاس « قيل : أى هذه الأمثال والقصص وقدرها فى آية المزمل (إن هذه تذكرة - المزمل ١٩) فقال « أى هذه الأشياء التى تكون فى القيامة عظة ؛ وقال قتادة : يعنى القرآن » [5] ومعنى ذلك أن اسم الإشارة هنا قد يرجع إلى السورة أو إلى الأمثال والقصص والمواعظ وكلها مؤنثة ، وقد يرجع إلى القرآن وهو مذكر على قول قتادة .

وقد يعود ضمير العاقل على غير العاقل ، وبالتالى يكون مذكرًا . ومما ورد في القرآن عودة الضمير على ما يعبد من دون الله من مثل ﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف ٤٥ قال الفراء « قال : (يعبدون) للآلهة ،

---

(١) نفسه ٣/ ٢٣٦ .

(٢) راجع : معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٤ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦ وراجع : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٤ ، أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٤) نفسه ٣/ ٢٢٠ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٦٢ .

ولم يقل : تعبد ولا يُعبَدن ، وذلك ان الآلهة تُكلَّم ويدعَى لها وتعظَّم ، فأجريت مُجرى الملوك والأمراء وما أشبههم »[1] .

ومثل ذلك الضمير ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء ٦٣ ، قال الأخفش « فذكَّر الأصنام وهى من الموات ، لأنها كانت عندهم ممن يعقل أو ينطق »[2] .

ومثل ذلك ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ يس ٧٥ ، قال النحاس : « (لا يستطيعون نصرهم) يعنى الآلهة ، وجُمعوا على جمع الآدميين ؛ لأنه أخبرهم بخبرهم (وهم) يعنى الكفار (لهم) الآلهة »[3] .

ومن ذلك ما يعود على الحيوان من مثل ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ النمل ١٨ قال أبو عبيدة « هذا من الحيوان الذى خرج مخرج الآدميين » ، والعرب قد تفعل ذلك قال :

شربتُ إذا ما الديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوَّبوا[4]

ومثل ذلك ما يعود على الأجرام الكونية[5] .

وقال الخليل بجواز ذلك من حيث صارت الأشياء عندهم تؤمر وتطيع ، وتفهم الكلام وتَعبُد ، بمنزلة الآدميين »[6] .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/ ٣٤ ، وراجع أيضًا ٣/ ٤٩ .

(٢) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٤١١ ، وراجع : مجاز القرآن ٢/ ٤٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٩٣ ، والبيت للنابغة الجعدى راجع مجاز القرآن هامش ٢٦٧ ، الكتاب ٢/ ٤٧ .

(٥) نفسه ٢/ ١٦٢ .

(٦) راجع : الكتاب ٢/ ٤٧ ، ٤٨ .

خاتمة :

اتضح من ثنايا هذا البحث استغلال النحاة والمفسرين للسياقين اللغوى والحالى فى تفسير مرجع الضمير وتحديده ؛ فأسهم السياق اللغوى فى ذلك وتمثل فى عودة الضمير إلى المصدر المفهوم من فعل مذكور فى السياق ، أو من وصف سابق لذلك الضمير ، أو العودة إلى كلمة سبق ذكرها فى آية من آيات السورة أو فى موضع آخر من القرآن ، أو على مرادف لكلمة فى السياق أو على لفظ تلك الكلمة دون معناها .

وتحكم المعنى كثيرًا فى عودة الضمير حتى إنه قد يعود الضمير إلى كلمة فى السياق ويقدرون المرجع له من المعنى ، لكنهم اختلفوا حول المرجع باختلافهم حول المعنى وتعددت المراجع للضمير الواحد حسب فهم النحاة للمعنى بل إنهم قد يعددون مرجع الضمير بمراجع تدور حول معنى واحد فى أصله ، من مثل ما قالوه حول آية الأنفال (٦٠) وآية يوسف (٩) .

وقد يذكر اسمان فى السياق اللغوى ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية فى تحديد مرجع الضمير ، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآنى هى سياق الحال فيحكمونها فى المرجع .

وأول ما بدا من لجوئهم إلى سياق الحال اهتمامهم بالتفسير العام أو الدلالة العامة لتحديد المرجع ، ثم محاولة إعادة الضمير إلى شخص أو شىء بعينه ، أو مجموعة من الأشخاص أو الأشياء ، واختلفوا فى تحديد تلك المراجع الخارجية وتعددت أقوالهم . وربما لجئوا إلى المرجع الخارجى والمرجع ظاهر فى لفظ الآيات . وربما كان ما يعود عليه الضمير شيئًا عامًا لاتحتاج إلى تقديره .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى جعل تلك الضمائر أسماء إشارة، فإننا نجد اسم الإشارة يحتاج إلى مرجع أيضًا بحث عنه النحاة واستعانوا فى ذلك بالسياقين اللغوى والحالى .

وكان للسياقين اللغوى والحالى دورهما فى حل مشكلة مخالفة مطابقة الضمير لما يعود عليه فى العدد والنوع ، وكذلك عودة ضمير العاقل إلى غير العاقل وقد أوضح البحث أقوال المفسرين فى ذلك وخلافاتهم .

وكان للقراءات أيضًا دورها فى تفسير مرجع الضمير ، ومطابقته وقد بين البحث ذلك فى موضعه .

ومما سبق يتبين أن هذه الدراسة قد وصلت إلى هدفها وأجابت عن الأسئلة التى بدأت بها فكشفت عن دور السياقين اللغوى والحالى فى تقدير مرجع الضمير .

والله ولى التوفيق

المصادر والمراجع :

١ - أحمد مختار عمر (دكتور) ، وعبد العال سالم مكرم (دكتور) .

- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط ١ ٨٢/ ١٩٨٥ م.

٢ - الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت ٢١١ هـ) .

- معانى القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩ م ط ١ .

٣ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) .

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت ط ٢ (د. ت) .

- المحتسب فى تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م .

٤ - حسن طبل (دكتور)

- أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠ م.

٥ - أبو حيان الغرناطى (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ) .

- البحر المحيط ، دار الفكر ١٩٨٣ م ط ٢ .

٦ - ابن خالويه (أبو عبدالله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) .

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، مصدر عن طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .

٧ - الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت ٣١١ هـ) .

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ١٩٨٢ م ط ٢ .

- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى ، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨ م ط ١ .

٨ - الزركشى (بدر الدين محمد بن عبدالله ٧٩٤ هـ) .

- البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ م .

٩ - الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) .

- الكشاف عن حقائق التنزيل ، البابى الحلبى ١٩٧٢ م .

١٠ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ) .

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ٦٦/١٩٧٧ م

١١ - السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١ هـ) .

- الإتقان فى علوم القرآن ، البابى الحلبى (د. ت) .

- همع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧/ ١٩٨٠ م .

١٢ - طه حسين (دكتور) .

- من الشاطئ الآخر ، ترجمة عبد الرشيد الصادق محمودى ، بيروت ١٩٩٠ م ط ١ .

١٣ - عباس حسن .

- النحو الوافى ، دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .

١٤ - عبده الراجحى (دكتور) .

- فقه اللغة فى الكتب العربية ، توزيع دار المعرفة الجامعية ١٩٧٢ م .

١٥ - أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) .

- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد شركين ، الخانجى ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .

١٦ - العكبرى (أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله ت ٦١٦ هـ) .

- التبيان فى إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، عيسى البابى (د. ت) .

١٧ - الفارسى (أبو على الحسن بن احمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧ هـ) .

- الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ جزءان .

١٨ - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى ت ٢٠٧ هـ) .

- معانى القرآن ،

- الجزء الأول تحقيق احمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، هيئة الكتاب ١٩٨٠ م .

- الجزء الثانى تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت) .

- الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م .

١٩ - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ) .

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١ م ط ٣ .

٢٠ - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) .

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩ م ط ٢ .

٢١ - محمد أحمد خضير (دكتور) .

- الدلالة والتركيب ، دار الزهراء للنشر ١٩٩٣ م .

- العلاقة بين المطابقة العددية والسياق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٣ م العدد ٦٠ .

٢٢ - محمد عبد الخالق عضيمة .

- دراسات لأسلوب القرآن ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د. ت) .

٢٣ - محمد حسنين صبرة (دكتور) .

- مرجع الضمير فى القرآن الكريم ، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٩٩٢ م .

٢٤ - النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) .

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م ط ٢ .

٢٥ - ابن هشام .

- مغنى اللبيب ، تحقيق د. مازن المبارك ، ومحمد على الحمد ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٠ م ط ٦ .

٢٦ - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ت ٦٤٣ هـ) .

- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى بالقاهرة (د. ت).

أثر التغير الدلالى فى
ظهور الترادف

د. طيبة صالح الشذر
جامعة الكويت

(١)

مقدمة فى التغير الدلالى :

يمثل الترادف مشكلة كانت وماتزال موضع خلاف طويل ومثار جدل كثير بين الدارسين فقد ذهب اللغويون فى أمرها مذاهب شتى وتعددت آراؤهم فى النظر إلى هذه الظاهرة من حيث تعريفها وتفسيرها ومن حيث الجواز والإنكار فى وقوعها وما ترتب عليهما ، فالذين يقولون منهم بالترادف يرونه فضيلة للعربية تفخر بها على غيرها ، ودليلاً على سعتها وغناها وثراء مفرداتها فى الإبانة والتعبير . فى حين يعده آخرون مجالاً لثلب العربية والطعن فيها ، فيتهمونها بالإسراف فى المفردات ويغمزونها بإفراط لا ضرورة له ، حتى ذهب بعضهم إلى وصم العربية بأنها لغة لا تعرف تحديد الألفاظ ولا الصفات . وقال آخرون إن هذه الظاهرة تنافى حكمة الوضع فى اللغات فشددوا النكير عليها . وما أكثر التهم والأقاويل التى وجهت إلى العربية بسبب وقوع الترادف وكثرته فيها . شُغِل الدارسون كثيراً بالتصنيف فى الألفاظ المترادفة والتسابق إلى جمعها ، وغلب عليهم القول بالجواز والإنكار دون تحليل هذه الظاهرة أو استقصاء معالمها ومعرفة حقيقتها . وبعد فليس الغرض من هذا البحث إثبات

الترادف أو نفيه بقدر مـاهو دراسة لغوية تعتمد على التحـليل الدلالى ، وتقوم علـى التتبـع والاستـقصاء مـن أجل وضـوح غوامض هـذه الظاهـرة اللغـوية والكشف عن طبيعتها وبيان حقيقتها فى ضوء فكرة التغير الدلالى .

الترادف ظاهـرة دلالية تتعلـق بالمعنى وما يـكتنفه من أشـكال وغموض ، والمعنى هو المشكلة المركزية فى اللغة كما هو معروف عند الباحثين إذ أنه يصعب فى كثير من الأحيـان توجيه دلالات الألفاظ وتحديد ما تشير إليـه بدقة ، لتعلق ذلك بالـعوامل الاجتـماعية والثـقافية والـنفسيـة وبسبب تغـير المعنـى وتطوره باختلاف الـزمان والمكان وتبعـا للاستعمال ، فى ضـوء متابعة التـطور الدلالى للألفاظ والكشف عما يعتريها من تغيـر دلالى ونعنى به تغير معانى الكلمات فى نمو اللغة وأطوارها التاريخية[1] ويشبه بـعض الدارسين المحدثين اللـغة فى هذه الناحية بـالكائن الحى فى نشأتـه ونموه وتطوره[2] فاللغـة كأية ظاهرة اجتـماعية عرضة لـلتطور فـى مختلف عـناصرها : أصواتـها وقواعدهـا ودلالاتها ، وإن تطورها هذا يجرى وفـق اتجاهات عامة وفى نماذج رئيسية ، وليـس تبعا للأهواء والمصادفات وليس فـى قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما ، أو يجـعلوها تجمد على وضع خاص[3] ذلك أن اللغة ليست جامـدة بحال من الأحوال على الرغم من أن تطـورها قد يبدو بـطيئاً فى بـعض الأحيان ، وتغـير المعنى لـيس سوى جانب مـن جوانب التـطور اللغـوى الذى يتم ضـمن طبيـعة اللغـة الخاصة . فلاشئ ثابت أو مستـقر فيها بصورة تامة ، فكل صوت وكل كـلمة أو تعبير أو أسلوب يكـون شكلا أو صورة متغـيرة ببطء ، بقوة غـير مرئية أو مجـهولة ، وتلك هى حياة اللغة[4] .

(١) دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ص ١٢٣ .

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى ، د. رمضان عبد التواب ص ٣٠ .

(٣) اللغة والمجتمع : د. وافى ص ٩١ .

(٤) دور الكلمة فى اللغة ، استيفن أولمان ص ١٥٣ .

وليست سنة التطور اللغوى مقصورة على أصوات المفردة أو أبنيتها أو على العناصر النحوية ، بل يلحق معانيها أيضاً . فقد أثبت علم اللغة الحديث أن اللغة فى تطورها الدلالى كما هى عليه فى تطورها الصوتى تسير وفق اتجاهات عامة فى نماذج رئيسية تمكن الدارسون من تحديد معالمها وتعريف مظاهرها، حتى انتهوا إلى ماسموه (بقوانين المعنى) وإن كانت هذه القوانين ومايزال بها حاجة إلى مزيد من البحوث قبل الحكم على صحتها ومدى أطرادها حكماً سليما[1] .

إن التغير فى معنى الكلمات غالباً ما يحدث بالتدرج بحيث لا يمكن للمرء أن يكتشف أو يتبين الخطوات المختلفة لعملية التغير . وسبب تغير المعنى يماثل التغيرات الصوتية ، وهذا بسبب الاستعمال للغة من الماضى إلى الحاضر ، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل يعد من العوامل المهمة فى تغير المعنى وتطوره، وتيسير حدوثه[2] هذا ومن الواضح أن أسباب تغير المعنى كثيرة وغير محددة ، ولقد ميز باحث من المتخصصين بعلم الدلالة ما لا يقل عن واحد وثلاثين احتمالاً مسبباً لتغير المعنى ، ثم ذكر من بعد ذلك أن عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة وبعضها فريد من نوعه ، إذ يعتمد على النظر إلى الأصل التاريخى للكلمة ، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة أسباب مهمة لتغير المعنى وتتمثل هذه الأسباب فى أسباب لغوية وتاريخية واجتماعية ونفسية وفى التأثير الأجنبى والحاجة إلى اسم جديد[3] .

ولقد أورد المحدثون أمثلة كثيرة لتطور الدلالة فى مختلف اللغات ، ولاحظوا أن هذا التطور غالباً ما يكون فى الانتقال من المعانى المادية الحسية إلى

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٨٢ - ١٨٧ وينظر لحن العامة فى ضوء الدراسات الحديثة د. عبد العزيز مطر ٢٧٩ .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص ١٩٣ .

(٣) دور الكلمة فى اللغة ص ١٩٧ - ٢١٠ .

المعنوية المجردة . ومما لاشك فيه أن التغير الدلالى قد وقع فى اللغة العربية قديماً وحديثا كما وقع فى غيرها من اللغات ، فمعانى الألفاظ التى كانت مستخدمة فى العصر الجاهلى لم تبق جامدة على حالها بعد الإسلام . بل لحقها تغير قليل أو كثير . . . وهذا ما حدث فى العصور التى تلت بعد ذلك أيضاً ، نتيجة تطور المجتمعات والحاجة ، وإضفاء معان جديدة على كلمات قديمة ، وفاءً بحاجات الحياة المتطورة[1] . ولعل من الأمثلة الواضحة على التطور الدلالى فى العربية ما أصاب ألفاظاً من تغيير فى معانيها بعد ظهور الإسلام وما اكتسبته من معان جديدة ، ومن ذلك ألفاظ الصلاة والصوم والحج والزكاة والكفر والمسلم والمؤمن والمنافق والشرك وغيرها[2] .

وهناك ألفاظ أخرى انتقلت دلالتها من المجال المادى إلى المجال المعنوى المجرد كالشرف والعقل والمجد والبحث والاقتباس والإدراك والوعى والروح والفضل[3] . فكل هذه الألفاظ فى الأصل تدل على معان حسية ومدلولات مادية . هذا وقد أشار اللغويون القدامى إلى التغير الدلالى الذى لحق طائفة من الألفاظ ونصوا عليه صراحة ، إلا أنهم فى تعليلهم لحدوث هذه الظاهرة عدّوا ماحدث بعد عصور الاحتجاج مولداً ، أو لحناً مع أن الظاهرة واحدة ومن الألفاظ التى تطورت دلالتها ونص على ذلك القدماء ، ومن ذلك ماذكره الجوهرى : (والحميم الماء الحار والحميمة مثله ، وقد استحممت إذا اغتسلت به ، هذا هو الأصل، ثم صار كل اغتسال استحماماً بأى ماء كان)[4] ومنه أن : (أصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف ، وهو قائم . . . ثم اتسع فى

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٧٩ .

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة ، ابن فارس : ص ٧٨ - ٨١ ، وانظر : المزهر للسيوطى : جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك : ص ٢٢١ - ص ٢٢٢ .

(٤) الصحاح مادة (حمم) : جـ ٥ ص ١٩٠٥ .

العقر حتى استعمل فى القتل والهلاك)[1] . وعن ابن الإعرابى أنه (إذا كانت فى السرة نفخة فهى بجرة ، وإذا كانت فى الظهر فهى عجرة ، قال : ثم ينقلان إلى الهموم والأحزان)[2] . وقال ابن الأثير : (الرمة بالضم : قطعة حبل يشد بها الأسير أو القاتل الذى يقاد إلى القصاص أى يسلم إليهم بالحبل الذى شد به تمكينا لهم منه لئلا يهرب ، ثم اتسعوا فيه حتى قالوا أخذت الشئ برمته أى كله[3] . وقال الجوهرى فيه (أصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيراً بحبل فى عنقه ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بحملته)[4] . ومن ذلك ما نص عليه ابن دريد فى جملة الفاظ منها (النجعه طلب الغيث ثم كثر فصار كل طلب انتجاعاً ، والمنيحة أصلها أن يعطى الرجل الناقة أو الشاة فيشرب لبنها ويجتز وبرها وصوفها ثم صارت كل عطية منيحة . . . والوغى اختلاط الأصوات فى الحرب ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى . . .)[5] ومثل هذا كثير من الألفاظ التى نص القدامى على تطور معانيها واتساع دلالتها نتيجة كثرة الاستخدام اللغوى . وقد عقدوا له بعض الأبواب والفصول من كتبهم ، وقد تعرض ابن دريد لهذا الموضوع فى : (باب الاستعارات)[6] ، وجعله ابن فارس فى : باب القول فى أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها[7] .

وعلى الرغم من اعتراف القدامى بهذا التغير الدلالى ، فإنهم قصروه على حقبة بعينها ، ورفضوا كل تغير فى المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف

---

(١) اللسان مادة (عقر) : جـ ٤ ص ٥٩٣ – انظر الترتيب الهجائى .

(٢) اللسان مادة (بجر) : جـ ص مادة بجر .

(٣) اللسان مادة (رمم) .

(٤) الصحاح مادة (رمم) .

(٥) جمهرة اللغة ، ابن دريد : جـ ٣ ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(٦) جمهرة اللغة ، ابن دريد : جـ ٣ ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(٧) الصاحبى : ص ٩٥ .

معظمهم من هذا التغير موقفاً معارضاً وشددوا على إنكار هذا التجديد فى المعنى بدافع الحرص على سلامة اللغة والحفاظ عليها ، ومن أجل تنقيتها لئلا تفسد ، ومراعاة لمبدأ الصحة اللغوية والفصاحة فيها ، ولم يكن لهذا الموقف أن يؤثر فى الحركة الدائبة لتطور دلالة الألفاظ[1] .

وقد استوجبت هذه النظرة أن يتمسك هؤلاء اللغويون فى الغالب بالدلالة القديمة للكلمة أو المعانى الأصلية للألفاظ كما سجلتها المعجمات أول مرة فى عهد فيما تعارفوا عليه بعصور الاحتجاج اللغوى . فقد ذهب ابن فارس إلى أن أى تغير يحدث فهو موقوف على ماسمع ، إذ عقب على طائفة من الألفاظ التى تغيرت معانيها والتى سبق ذكر طائفة منها فيما تقدم بقوله : (وكل ذلك عندنا توقف على ما احتججنا له ، وقول هؤلاء : « إنه كثر حتى صار كذا » فعلى ما فسرناه من أن الفرع موقف عليه ، كما أن الأصل موقف عليه)[2] . ولاشك أن هذا الموقف كان بسبب تلك الحدود الزمانية والمكانية التى وضعوها فى أخذ اللغة والتى ينتهى عندها قبول الاستعمال الجديد ، وهو مما يتفق مع نظرية التوقيف التى قال بها ابن فارس فى نشأة اللغة ؛ تلك النظرية التى تتعارض مع مبدأ نظرية التغير الدلالى أساساً ، وقد أدت هذه النظرة بالقدامى إلى قصر دلالة الألفاظ على حقبة معينة لم يتعدوها إلى سواها ، فكان الواحد منهم ينقل عن الآخر تلك المعانى على تفاوت الزمان والمكان ، لا كما هى مستعملة فى عصره . ولم يهتموا بما طرأ على دلالة الألفاظ من تطور ولم يعترفوا به بعد هذه الحقبة من الزمن ، بل انكروا ذلك أحياناً ورفضوا الأخذ به فى أغلب الأحيان ، وما حركة تنقية اللغة وما عرف عن أصحابها من تشدد إلا تعبير واضح عن هذا الموقف إزاء ظاهرة التغير الدلالى والوقوف بوجهها بجانب

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٧٩ .

(٢) الصاحبى : ص ٩٦ .

ما كان من موقف أصحاب كتب لحن العامة الذين رفضوا هذا التطور أيضاً وراحوا يستنكرونه ويصوبونه معولين فى ذلك على الدلالة الأصلية للألفاظ . وقد ذهب هؤلاء إلى أن يصفوا هذا التغير الدلالى باللحن والخطأ ، أو المولد والمحدث ، أو الحروف التى يتكلم بها فى غير موضعها أو مما يصفه الناس غير موضعه أو بالمزال والمفسد وما إلى ذلك من التسميات التى أطلقوها عليه . وقد أحصى الدكتور عبد العزيز مطر فى كتاب أدب الكاتب اثنين وثلاثين استعمالاً تغير مجال استعمالها عما ورد عن العرب وذكر ابن قتيبة معانيها الأصلية[1] . وجمع أيضاً من خلال المواد المختلفة فى كتاب « تقويم اللسان » تسعاً وخمسين مادة ذكرها ابن الجوزى من أخطاء العامة فى دلالة الألفاظ وبعد تصنيفها تبين له أن التغير فى المعنى قد تم فى أحد الاتجاهات الثلاثة تخصيص العام وتعميم الخاص ، وتغير مجال الدلالة[2] ، وهذه الاتجاهات من أهم مظاهر التغير الدلالى . إن نظرة القدامى إلى اللغة بتلك الحدود القائمة على أساس الزمان المعين والمكان المخصوص ، هى إحدى الأسباب التى نجم عنها فقدان تدوين الألفاظ والدلالات المتطورة لهذه الألفاظ وعدم تتبع ظاهرة التغير الدلالى للألفاظ .

والمحدثون من اللغويين العرب لهم ملاحظات حول موقف القدامى فى نظرتهم إلى اللغة وتحديد زمان الاحتجاج ومكانه ، وأيضاً موقفهم من ظاهرة التغير الدلالى . هذا ما بينه بعضهم حين عرض لمبدأ التطور فى اللغة وموقف الأقدمين من هذه الحقبة اللغوية . فقد ذكر د. إبراهيم السامرائى كثيراً من المآخذ المهمة والنتائج التى نجمت عن موقفهم هذا بسبب إنكارهم لتطور اللغة

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٦٣ .

(٢) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١٩٦ - ١٩٩ وينظر تقويم اللسان لابن الجوزى : ص ٦٥ مقدمة المحقق .

وما ترك من آثار ومصاعب فى الدراسة اللغوية التاريخية وفى تتبع مراحل تطورها . حيث يقول : (ومن نقص الأدوات عندنا لمعرفة اللغة معرفة علمية ، أن كتب اللغة لا تشير إلى اللفظة المفردة وطرائق استعمالها عبر العصور ، وذلك أن أصحابها مقلدون فى بحثهم اللغوى للفكرة الأولى التى قيدت الفصاحة والبلاغة بحقبة معينة لا تتعداها إلى غيرها[1] . ويرى د. إبراهيم أنيس أن اللغويين الأقدمين قصروا السليقة اللغوية على قوم معينين ، وقصروها على زمن معين ، وقصروها على بيئة معينة ، فنشأ فى مخيلاتهم ما يمكن أن يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان[2] . ويقول تمام حسان إن نظرة القدماء فى حصر اللغة بزمان ومكان معينين وما كان من إنكارهم للتطور اللغوى ، قد قادت التفكير اللغوى فيما بعد إلى المعيارية ، ذلك أن مثل هذه النظرة قد فرضت قاعدة من مرحلة معينة على مثال مرحلة أخرى[3] وقد أدت هذه النظرة المحافظة إلى ضياع كثير من الأسباب لمعرفة تطور دلالة الألفاظ بحسب تباين الزمان والمكان وذلك باستثناء تلك الحقبة المعهودة التى قيدوا بها دلالة الألفاظ ووقفوا عندها ، وعلى الرغم من هذه النظرة وهذا المنهج المتشدد نجد أحياناً من أشار إلى هذا التطور اللغوى بشكل ما أو اضطر إلى الاعتراف به على جهة التأويل أو محاولة تخريجه والتماس سبب له .

وعلى أية حال إن هذا الذى عدوه لحنا ماهو إلا تطور لغوى من وجهة نظر علم اللغة الحديث ، وهذا التطور لا يحدث اتفاقاً ولا يتم بطريقة عشوائية ، بل ينجم عن عوامل ما تزال بكل لغة حتى تخرج بها من حال إلى حال[4] .

---

(١) التطور اللغوى التاريخى د. إبراهم السامرائى ص ٢٩ .

(٢) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ٣٦ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان ١٩٠ .

(٤) لحن العامة والتطور اللغوى ص ٣٣ .

هذا وقد درس المحدثون أسباب التطور اللغوى وبينوا عوامله وذكروا ملامحه ومظاهره والذى يعيننا من هذا التطور كله ، التغير الدلالى خاصة لتعلقه بظاهرة الترادف .

يرى علماء اللغة المحدثون أن الألفاظ تتطور فتكتسب من المعانى أشباهاً جديدة لم تكن لها من قبل ، وأن اللفظة تحيا حياة متجددة ، وهى أبداً فى تغير فى دلالاتها وفى طرائق استعمالها . وقد استطاع اللغويون المحدثون بعد طول نظر فى ما يطرأ على المعانى من تغيرات أن يحصروا التطور الدلالى فى مظاهر رئيسة تصدق ، على جميع اللغات أهمها[1] :

١ - تخصيص العام أو التضييق فى المعنى : وهو أن تقصر الدلالة العامة للفظ على بعض أجزائها فيضيق شمولها بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء أقل عدداً مما كانت عليه الكلمة فى الأصل . وذلك نحو كلمة meat الانكليزية التى كانت تعنى « الطعام » ثم تخصصت فى الدلالة على اللحم[2] ومثل هذه في العربية كلمة « السبت » التى كانت فى أصل معناها تعنى الدهر ، ثم تخصيص معناها بأحد أيام الأسبوع[3] . ونحوها ألفاظ الصلاة والحج التى تخصصت دلالتها بعد ظهور الإسلام بعد أن كانت تدل على معان عامة . وقد أفرد السيوطى لهذا الضرب من التغير الدلالى فصلاً لما وضع فى الأصل عاماً ثم خص فى الاستعمال ببعض أفراده ، وضرب له الأمثلة[4] . وقد يقع التخصيص نتيجة حذف المضاف

---

(١) ينظر دلالة الألفاظ ص ١٥٢ - ١٦٧ وعلم اللغة للسعران : ص ٣٠٥ - ٣١١ ولحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨١ - ٢٨٨ ودور الكلمة فى اللغة ١٦٢ ودلالة الألفاظ العربية وتطورها د. مراد كامل ٢٥ - ٢٨ واللغة لفندريس ٢٥٦ .

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٥٤ .

(٣) المزهر جـ ١ ٤٢٧ .

(٤) المزهر جـ ١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

إليه أو الصفة ومثاله لفظ « الدنيا » وأصله الحياة الدنيا . والتخصيص يعد أوسع من التعميم وأكثر وروداً فى تغير دلالة الألفاظ .

٢ - تعميم الخاص أو توسيع المعنى : وهو بأن يتوسع فى معنى اللفظ ومفهومه فينقل من معناه الخاص الذى يدلّ عليه إلى معنى عام شامل ، فتنقل دلالة الكلمة من معناها الخاص إلى معنى أشمل وأعم من ذلك ، وتعميم الدلالة أقل شيوعاً فى اللغات من تخصيصها ، وأقل أثراً فى تطور الدلالات وتغيرا . ويمثل ستيفن أولمان لهذا الضرب من التطور الدلالى بالكلمة الانكليزية (arrive) التى كانت تعنى الوصول إلى الميناء أو الشاطئ، ثم صارت تعنى مجرد الوصول بأية وسيلة[١] . ومثلها الكلمة الانكليزية (barn) التى كانت تدل فيما مضى على « مخزن الشعير » فاصبحت تدل الآن على كل مخزن من أى نوع من أنواع الحبوب ، وعلى مخزن ماسوى الحبوب أيضا[٢] ومن أمثلة التعميم فى العربية أن كلمة البأس فى أصل معناها كانت خاصة بالحرب ثم صارت تطلق على كل شدة[٣] ، وأن أصل الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شئ وردا[٤] . والنجعة أصلها طلب الغيث ، ثم عممت فى كل طلب[٥] وقد عقد السيوطى لهذا الضرب من الألفاظ فصلا خاصاً سماه « فيما وضع فى الأصل خاصاً ثم استعمل عاما »[٦] ورد فيه الكثير من الأمثلة على ذلك .

٣ - تغير مجال الدلالة : وهو أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١٦٢ .

(٢) علم اللغة للسعران ٣٠٩ .

(٣) المزهر جـ ١ ٤٣١ .

(٤) الصاحبى ص ٩٦ .

(٥) المزهر جـ ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٢ .

(٦) المزهر جـ ١ ٤٢٩ - ٤٣٣ .

أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين . ويجرى هذا النوع من التغير الدلالى على سبيلين هما :[1]

أ - الاستعارة : وذلك بأن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين وقد وضحه ستيفن أولمان بقوله : (إننا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالا مجازياً . أما الذى سوغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله)[2] .

والاستعارة من سنن العرب كما يقول ابن فارس[3] . وقد حفل بها وبغيرها من ألوان المجاز شعرهم ونثرهم ، حتى قال ابن جنى (اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)[4] . ومن أمثلتها استعمال أهل الأندلس كلمة القلادة فى معنى الحزام ، وهى ما يحيط بالعنق ، وبين المدلولين تشابه، فالحزام يحيط بالوسط، كما يحيط القلادة بالعنق[5].

ب - المجاز المرسل : وهو أن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين[6] . وأهم علاقات المجاز المرسل هى السببية والحالية والمحلية والمجاورة والزمانية والمكانية والجزئية والكلية واعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك . هذا وقد مثل ستيفن أولمان لهذا النوع من التغير الدلالى . بأن الكلمة (bureau) مكتب ، قد يكون معناها اليوم

(١) دلالة الألفاظ ص ١٢٧ / ١٣٣ / ١٦٠ وينظر لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص ١٦٥ .

(٣) الصاحبى ص ٢٠٤ .

(٤) الخصائص لابن جنى جـ ٢ ص ٤٤٧ .

(٥) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ .

(٦) دور الكلمة فى اللغة ص ١٦٩ .

المكتب الذى يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه ، أو المصلحة الحكومية أو المكان الذى تدار منه الأعمال ، ومن الواضح أنه ليس هناك أية مشابهة بين المدلولين ، ولكن بينها ارتباطاً من نوع آخر ، فالمكتب الذى نكتب عليه يوضع عادة فى الأماكن التى تدار منها الأعمال وعلى هذا فالفكرتان مرتبط بعضهما ببعض فى ذهن المتكلم ، أو قل إنهما تنتميان إلى مجال عقلى واحد . هذا هو التفسير لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل[1] .

إن المجاز المرسل واحد من سبل التغير الدلالى المعترف بها ، وله أثر كبير فى مجرى هذا التغير . ومن أمثلته فى العربية انتقال دلالة الوغى من اختلاط الأصوات فى الحرب إلى الدلالة على الحرب نفسها لعلاقة المسببية[2] ومن المجاز المرسل أيضاً أن الظعينة معناها فى الأصل المرأة فى الهودج ، ثم انتقل إلى الدلالة على الهودج نفسه وعلى البعير وعلى المرأة[3] . وذلك لعلاقة الحالية . كذلك يعد من المجاز المرسل انتقال معنى الراوية من البعير الذى يستقى عليه إلى المزادة[4] . وذلك لعلاقة المجاورة بن المدلولين ومنه أيضاً قول عامة الأندلس : يوم شات أى مطير ، للعلاقة الزمانية ، وذلك أن فصل الشتاء هو زمن المطر غالبا[5] .

ومن المجاز المرسل الذى علاقته المحلية استعمال الملة بمعنى الخبز فى قولهم

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٠ .

(٢) جمهرة اللغة جـ ٣ ص ٤٣٢ .

(٣) جمهرة اللغة جـ ٣ ص ٤٣٢ .

(٤) جمهرة اللغة جـ ٣ ص ٤٣٣ .

(٥) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٨٧ .

أكلنا مـلة . والملة فى الأصل : الرمـاد الحار ، وهى موضع الخبـزة ، فسموا الخبزة باسم موضعها ، وهذا من باب التسمية باسم المكان[1] .

وللمجـاز أثر كبير فى التـسمية وإطلاق الألفـاظ على مسمياتـها « والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان مجاوراً لـه أو كان منه بسبب » كمـا يقول ابن قتيبة[2] وهذا من المجاز المرسل .

وهناك عوامـل أخرى للتغير الدلالـى أقل شيوعاً مما ذكرناه ، وهـى تتصل بعوامل نفسيـة واجتماعية كرقى الدلالة ، وانحسارها أو (انـحطاطها) والمحظور وحسن التـعبير ، والتحـول نحو المعانى المـضادة ، وسوء فهم المعـنى ، وتماثل صورة اللفظ ، وتغيّر المعنى تبعاً لتغير اللهجة ، والغموض ، وغير ذلك مما كان له الأثر الكبير فـى تطوّر معانى المفردات وفى تغير مجال الـدلالة وانتقالها[3] ، ويؤدى هذا التغير فى حالات كثيرة إلى وجود ألفاظ مترادفة .

الترادف فى الاصطلاح الـلغوى هو : دلالة عدة كلمات مختـلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة[4] ومثال ذلك أسماء الداهية والعلاقـة بين المعنـى اللغوى للـترادف والمعنـى الاصطلاحى واضـحة ذلك أن ركوب أحد خلف آخر قد قيل له فى اللغة ترادف[5] ثم نقلت دلالة الكلمة من معناها الحقيقى إلى تلك المعانى المجازية المتعددة ، ومنها إطلاقها على الكلمات

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديـثة : ص ٢٨٧ ، وانظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣١٣ .

(٢) ادب الكاتب لابن قتيبة ص ٢١ .

(٣) ينظـر دلالة الألفاظ الـعربية وتـطورها : ص ٢٧ - ٢٨ . ودلالـة الألفاظ : ١٥٦ - ١٦٠ وعلم الـلغة للسعران ص ٣٠٥ - ٣١١ ودور الكلمة فى اللغة : ص ١٧٣ وما بعدها .

(٤) انظر : التعريفات لـلجرجانى ص ٢١٠ ، والمزهر للـسيوطى جـ ١ ص ٤٠٣ ، وكـشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٣ ٥٧٨ ومابعدها .

(٥) لسـان العرب لابن منظور مادة (ردف) جـ ٢ ص ١٤ .

التى تدل على معنى واحد . إن الكلمات قد تترادف على المعنى الواحد أو المسمى الواحد كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة . وقد أشار صاحب التاج إلى هذا المعنى المجازى الجديد ، فقد ذكر الزبيدى أن المترادف هو أن تكون عدة أسماء لشئ واحد وهي مولدة ومشتقة من تراكب الأشياء[1] . وقال الجرجانى فى تعريفه للترادف موضحا الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى للترادف : (المترادف ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك ، أخذاً من الترادف الذى هو ركوب أحد خلف آخر ، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد[2] ومما تقدم يتبين كيف اصطلحوا على تسمية الألفاظ التى تتتابع وتتوالى على معنى واحد أو مسمى واحد بالترادف وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند علماء اللغة والدارسين بهذه التسمية الاصطلاحية . وتعتبر ظاهرة الترادف من الظوار اللغوية القديمة التى انتبه إليها العلماء القدامى فى وقت مبكر ، وهذا ما تشهد به مصنفاتهم التى أوردت الكثير من الملاحظات اللغوية المتضمنة لفكرة الترادف .

ومن أجل الوقوف على هذه الظاهرة وتطور مفهومها لدى علماء اللغة من القدامى والمحدثين لابد من استقراء النصوص اللغوية التى أشارت إلى ظاهرة الترادف من بعيد أو قريب هذا ومن الملاحظ أن مصطلح الترادف قد جاء متأخراً بعض التأخر ، وذلك بعد أن اتضحت معالم هذه الظاهرة واصبحت من المواضيع اللغوية التى يعرض لها العلماء فى كتبهم . ويبدو أن هذا المصطلح اللغوى لم يعرف إلا فى القرن الثالث الهجرى .

وكما هو معروف أن أقدم نص لغوى ورد فيه مصطلح الترادف هو لثعلب المتوفى ٢٩١ هـ ، وذلك فى انكاره للترادف فقد قال التاج السبكى فى شرح

(١) تاج العروس للزبيدى جـ ٦ ص ١١٦ .

(٢) التعريفات للجرجانى ص : ٢١ .

المنهاج : (ذهب بعض الناس إلى انكار الترادف فى اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات . . وقد اختار هذا المذهب أبو الحسن أحمد بن فارس فى كتابه الذى ألفه فى فقه اللغة العربية وسنن العرب وكلامها . ونقله عن شيخه أبى العباس ثعلب[1] . ومما يؤكد هذا القول أيضاً إشارة أحمد بن فارس نفسه إلى مذهب شيخه ثعلب فى الترادف واعترافه بالتعويل عليه[2] . وفى القرن الرابع الهجرى نجد الآثار اللغوية التى وصلت إلينا ماهو معنون بهذه التسمية الاصطلاحية كما فى كتاب : « الألفاظ المترادفة » لعلى بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ إضافة إلى ورودها صراحة فى كتاب الصاحبى[3] . ولكن هذا لا يعنى أن فكرة الترادف قد ظهرت فى هذا الوقت وأنها لم تكن معروفة أو ملحوظة بشكل ما لدى علماء اللغة ورواتها . فقد سبقت ظهور هذا المصطلح عبارات وتسميات عبّرت عن هذه الظاهرة تعبيراً واضحاً . ولعل من أقدم النصوص التى بين يدينا والتى أشارت بوضوح إلى هذه الفكرة فى اللغة ما جاء فى تقسيمات سيبويه (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) للألفاظ فى باب اللفظ للمعانى ، حيث يقول : (أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين . . . فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس ، وذهب . واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضّلة وأشباه كثير[4] . يعنينا من هذا التقسيم ما جاء فيه : « اختلاف اللفظين والمعنى واحد » وقد مثل له بقوله : ذهب وانطلق .

(١) المزهر جـ ١ ص ٤٠٣ .

(٢) الصاحبى : ص ٩٦ .

(٣) الصاحبى : ص ٤١ .

(٤) الكتاب لسيبويه : جـ ١ ص ٧-٨ .

فهذا النوع من الألفاظ هو الذى سمى فيما بعد بالألفاظ المترادفة . ومن الواضح أن الترادف هو من هذا النوع ، ولكن مع ملاحظة السعة فى هذا النص بالقياس إلى المفهوم الدقيق للترادف كما حدده العلماء ، لأنه قد يصدق على ألفاظ مختلفة أخرى معناها واحد أيضاً ولكنها ليست مترادفة .

يعتبر نص سيبويه هذا من النصوص اللغوية المهمة التى أشارت إلى ظهور فكرة الترادف فى اللغة من غير تحديد ، وأصبح ظهور هذه الفكرة أكثر وضوحاً وشهرة فى كتب اللغة لعصر سيبويه . إذ تناقل تقسيم سيبويه هذا كثير من العلماء والدارسين من بعده وذلك بشئ من التصرف والزيادة والشرح . فقد عرض للترادف قطرب ، والمبرد وابن فارس والأنبارى وابن الأثير والسيوطى وغيرهم[1] . ولو أتينا على ذكر جميع العلماء الذين أخذوا بتقسيمات سيبويه للألفاظ وتعمقوا فى دلالتها ، لطال بنا الحديث . ومما يجدر الإشارة له هو أن تقسيمات سيبويه تلك التى أوضح فيها عدة ظواهر لغوية والتى تمثلت عند الباحثين من بعده بالمتباين والمشترك اللفظى والمترادف ، والمهم من هذا كله تلك الألفاظ المختلفة لفظاً والدالة على معنى واحد ، هذا النوع من الألفاظ هو الذى تعارفوا عليه فيما بعد بالترادف ، ولكنهم اختلفوا بشأنه بين قائل به ومنكر له . . . ففيما تؤكد جماعة من اللغويين أن هذه الألفاظ مترادفة ، تذهب جماعة أخرى منهم إلى إنكار ترادفها بالتماس الفروق الدقيقة بين معانيها[2] .

وإذا كان سيبويه قد عبر عن فكرة الترادف باختلاف اللفظين والمعنى واحد، فقد تمثلت عند الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ باسم « ما اختلفت

(١) انظر المزهر : جـ ١ ص ٢٨٨ ، ٣٩٩ والأضداد للأنبارى جـ ٦ ص ٧ ، والأضداد لقطرب ص ٤٣ .

(٢) الفروق اللغوية للعسكرى : ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٢٥٢ ومابعدها ، وانظر الصاحبى لابن فارس ص ٩٦ ، ٩٧ .

ألفاظه واتفقت معانيه » الذى عنون به أحد كتبه ، ونجد هذا أيضاً فى كتاب الألفاظ المترادفة عند الرمانى وابن جنى[1] .

يضاف إلى هذا ما نجده فى كتب النوادر من مترادفات لا تحصى ولا تعد ، وقد أصاب د. حسين نصار فى وصفه هذه الكتب بأنها كانت مولعة بإيراد المترادفات[2] ولا تنحصر الألفاظ المترادفة على كتب الموضوعات والنوادر ، بل نجد منها الكثير فى كتب الأمالى فهذه الكتب مليئة بالألفاظ المختلفة التى وقعت على معنى واحد . وقد اقتبس السيوطى منها طائفة كبيرة وساقها أمثلة للترادف فى مزهره .

وهكذا يتضح لنا أن العلماء والرواة القدامى قد فطنوا إلى فكرة الترادف فى اللغة . معبرين عنها بتسميات وعبارات متقاربة ، بالإضافة إلى تمثلها فى تصانيفهم ، وفى هذا يقول الشلقانى : « الرواة الذين جمعوا اللغة وعنوا بالمعانى ، جمعوا الأسماء المترادفة كهذه التى يعنيها ابن جنى إلى جانب أخواتها مما كان صفة للشئ أو معنى مجازياً له[3] ولقد كان الرواة والعلماء القدامى يخلطون فى أحيان كثيرة بين المترادف الحقيقى وما هو غير ذلك ، قبل أن تحدد هذه الظاهرة وتتضح شروطها ومعالمها بشكل أكثر وضوحاً ، فليس كل ما أوردوه ترادفاً ، بل اشتمل على الترادف وغيره . ويمكن القول بأن القدامى بطريقتهم هذه لم يجمعوا المترادف فقط ، بل أكدوا هذه الظاهرة اللغوية ، وكانوا من الأسباب فى كثرة المترادفات والمبالغة فيها ، بما جمعوه ورووه من كثرة الألفاظ للمعنى الواحد . ويؤكد لنا هذا القول أن الكثير من العلماء والرواة

---

(١) فى أصول اللغة والنحو د. فؤاد حنا ترزى ص ٥٤ ، وانظر الألفاظ المترادفة للرمانى ص ٨ ، ١٤ والخصائص لابن جنى : جـ ٢ ص ١١٤ ومابعدها .

(٢) المعجم العربى د. حسين نصار : جـ ١ ص ١٤٧ .

(٣) رواية اللغة - عبد الحميد الشلقانى - للشلقانى : ٣٢٧ .

الذين ذهبوا فى كل صوب فى الجزيرة العربية من أجل جمع اللغة وتدوين مفرداتها ، عن طريق مشافهة الإعراب ، نجد هؤلاء العلماء من اللغويين والرواة قد سجلوا فى عمل لغوى ميدانى عدة ألفاظ مترادفة . قال ابو زيد : قلت لإعرابى : ما المتكاكى ؟ قال : المتآزّف ، قلت : وما المتآزف ؟ قال : المحبنطئ ، قلت : وما المحبنطئ ؟ قال : أنت أحمق وتركنى ومضى ، وذلك كله قصير[1] . وجاء تعليق الدكتور إبراهيم أنيس على هذا النص بقوله : إنّ عالماً جليلاً كأبى زيد الأنصارى كان لا يرى غضاضة فى أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ ، بل كان فيما يظهر يؤمن أن الأعرابى قد يحتفظ فى ذاكرته بألفاظ عدة للتعبير عن معنى واحد[2] وفى آثار الأقدمين الشئ الكثير من هذه الروايات والنصوص التى تشهد على إمكانية تعدد الألفاظ المختلفة للمعنى الواحد ، فى طرائق الاستخدام اللغوى ، وتدل على التفات العلماء نحوها وإدراكهم لجوازها فى العرف اللغوى . لقد كانت ظاهرة الترادف من الوضوح فى أذهان علماء اللغة القدامى مما جعل عالماً كالأصمعى يفتخر أمام الرشيد بأنه يحفظ للحجر سبعين اسماً[3] أما الخلاف فى هذه الظاهرة فيرجع إلى القرن الثالث الهجرى على وجه التحديد . فكل الدلائل تشير إلى أن علماء اللغة كانوا يسلمون بالترادف ولا يرونه محل نزاع فى القرن الهجرى . . . وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور صبحى الصالح فقد بدءا بذكر ثعلب فى إنكار الترادف والقول بالتباين فى المترادفات[4] . هكذا بدأ النظر فى ظاهرة الترادف بتلك الملاحظات اللغوية البسيطة ، ثم تطور شيئاً فشيئاً حتى إذا ما حل

(١) الجمهرة لابن دريد : جـ ٣ ص ٢٧١-٢٧٢ ، وانظر المزهر : جـ ١ ص ٤١٣ ، واخبار النحويين البصريين للسيرافى : ص ٥٦ .

(٢) فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس : ص ١٦٢ .

(٣) الصاحبى لابن فارس : ص ٤٤ .

(٤) فى اللهجات العربية ص ١٦٢ ، وانظر دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٣٤٣ .

القرن الرابع الهجري ، اتسع البحث فيها وتشعب القول وكثر الجدل إزاء هذه الظاهرة . ومازال الباحثون على هذه الحال حتى وقتنا الحاضر .

اختلف مفهوم الترادف بمرور الزمن نتيجة توفر العلماء على التأمل فى هذه الظاهرة وبسبب تباين مناهجهم ومذاهبهم فى النظر إلى هذه الظاهرة اللغوية . . فقد شارك فى هذا كثير من علماء اللغة والأصول والفقه والمنطق القدامى ومن علماء اللغة المحدثين فمازال العلماء منذ ملاحظتهم المبكرة لهذه الظاهرة ، دائبين على البحث فيها بغية الوصول إلى مفهوم دقيق لها ، مدلين بأقوالهم ووجهات نظرهم المتفاوتة التى جعلت هذه الظاهرة تختلف ضيقاً واتساعاً لديهم. وما زال الحال على هذا النحو حتى وصل الأمر إلى المحدثين من علماء اللغة الذين حددوا الترادف وقيدوه بصورة أكثر ضبطاً . ولهذا ما كان لمفهوم الترادف أن يكون متطابقاً عند جميع العلماء وعلى اختلاف العصور . ولما كان الأمر كذلك ، فمن الضرورى فى هذا البحث قبل كل شئ ، ضرورة تحديد فكرة الترادف وبيان المقصود منها على وجه الدقة وذلك كما أثبتها العلماء الباحثون فى هذه الظاهرة .

لقد تمثلت فكرة الترادف عندهم أول الأمر فى اختلاف الألفاظ والمعنى واحد ، وقد حاول العلماء بعد ذلك أن يفصلوا هذه الفكرة الشاملة ، وأن يضعوا لها بعض الاعتبارات اللغوية . فهم لم يرتضوا فى الترادف مجرد دلالة عدة كلمات مختلفة على معنى واحد أو انصراف عدة أسماء إلى مسمى واحد ، بل يرون أنه لابد من تحقق اعتبارات لغوية معينة حين النظر إلى هذه الظاهرة لتمييزها عن غيرها وإخراج ما ليس منها حقيقة . وبهذا أصبحت ظاهرة الترادف عند العلماء أكثر وضوحاً وتحديداً بعد تطور البحث اللغوى واتساعه ، وهذا ما يتمثل فى تعريف التهانوى للترادف الذى نقله عنهم فقال « الترادف لغة ركوب أحد خلف آخر ، وعند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين

مفردين أو ألفاظ كذلك فى الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة . تلك الألفاظ تسمى مترادفة . . . ويقابل الترادف التباين[1] ، وهكذا ضيقوا من مفهوم الترادف وحدوه لئلا يختلط به غيره . فقد ميزوه من الظواهر اللغوية الأخرى كالإتباع ، كذلك أخرجوا منه التوكيد بنوعيه اللفظى والمعنوى . كما أخرجوا منه الألفاظ الدالة على معنى واحد مجازاً والتى يدل بعضها مجازاً وبعضها حقيقة . وليس عندهم من الترادف أيضاً تلك العبارات والجمل التى تواردت فى الدلالة على معنى واحد من جهة واحدة : الإنسان قاعد والبشر جالس ، فمثل هذه وإن كانت سواء فى معناها إلا أنها ليست من الترادف فى شئ بسبب اشتراطهم الانفراد فى الكلمات المترادفة[2] . وهذه من قبيل التراكيب . يضاف إلى هذا أن طبيعة الخلاف والجدل الذى نشب بين العلماء حول الترادف فى اللغة ، لم يتناول الجمل والعبارات ، وإنما كان يتصل بالألفاظ وهى منفردة ، بل لانكاد نجد خلافاً حول إمكانية التعبير عن المعنى الواحد بعدة جمل وتعابير مختلفة . ونجد أيضاً من العلماء القائلين بوقوع الترادف من يقسم هذه الظاهرة قسمين ، حيث نقل السيوطى عن بعضهم (قال الكيا فى تعليقه فى الأصول : الألفاظ التى بمعنى تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمر عقاراً وصهباء وقهوة ، والسبع أسداً وليثاً وضرغاماً . والمترادفة هى التى يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ولم الشعث ، ورتق الفتق ، وشعب الصّدع)[3] إن الكيا فى تقسيمه هذا قد عكس الأمر ، إذ إنه اعتبر الترادف فى العبارات والجمل وجعل التوارد فى الألفاظ المفردة المترادفة وهذا خلاف ما ذهب إليه معظم العلماء ، حيث اختلفوا فى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ ٣ ص ٥٧٨ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٤٠٢ ص ٤٠٣ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٥ ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، وانظر المزهر : جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٣) المزهر : جـ ١ ص ٤٠٦ ص ٤٠٧ .

الألفاظ المفردة الدالـة على معنى واحد ، أى المترادفة ، أمـا العبارات والجمل المتواردة على مـعنى واحد فهذه ليسـت موضع خلاف فى اللغة ، ولـقد انفرد الكـيا فى تقـسيمه ، وقـد عقّب السيـوطى علـى هذا بقولـه : (وهذا تقسـيم غريب)[1] .

وهذا ممـا يؤكد أن لا ترادف فـى الجمل والعبارات بالمـعنى الاصطـلاحى اللغوى لمـفهوم الترادف الصـحيح . لقد قرر الـعلماء أن الترادف إنمـا هو من خواص المفردات . وهذا ما أكده د. إبراهيم أنيس بـأنه لا يعنينا هنا إلا البحث فى الكلمات التى اصطلح معظم العلماء على تسميتها بالمترادفات[2] .

بهذه الحـدود حصر العلمـاء القدامى ظاهرة الـترادف ، فصار أكثر ضـبطاً وتحديداً من ذى قبل ، إلا أنـه على الرغم من الجهود الكثيرة الـتى بذلوها فى هذا الأمر ، فقـد بقى مفهوم الـترادف عندهم يتـسع لكثير مـن الألفاظ ، وقد أدى هذا إلى جدل كثير حـول جواز الترادف فى ألفاظ كثيرة حتى عـند القائلين بالترادف . إذ إن المتأمل للمترادفات التى أوردوها فى كتاباتهم قد تكون خارجة عن الحد الـذى شرطوه للـترادف كما هـو الحال فى متـرادفات الفيـروز آبادى وأمثلة السيوطى وغيرها .

شارك الأصوليون والفقهاء والمناطقة علماء اللغة فى البحث عن العديد من المسائل اللغوية المهمة ، فقد نظروا فى كثـير من الظواهر اللغوية وناقشوها فيما يسمى عندهـم بمباحث الألفاظ والتصورات ، ومن ذلك ظـاهرة الترادف . فقد قـسموا الألفاظ بـحسب دلالـتها عـلى أقسام كـثيرة مـتشعـبة ، ووضعوا لـها الاصطلاحـات المختلفة . لقـد عرض علماء الأصـول والمنطق لظاهـرة الترادف

---

(١) المزهر : جـ ١ ص ٤٠٧ .

(٢) فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص ١٦٣ .

وتحدثوا عنها كثيراً فـى مباحثهم وفى تقسيماتهم للأسماء وأنـواعها ناظرين إليها فى أكثر الأحيان وفق مناهجهم العقلية والمنطقية .

لقد ناقـش الأصوليون الترادف ، وحـدوه بقولهم : (هو الألـفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد)[1] . وقد فرقوا بينه وبـين الإتباع والتوكيد وأخرجوهما منه ، وقد ذهب الجمهور منهم إلى القول بوقوعه وبإثباته فى اللغة وعجبوا من نسبة المنع إلى بعض اللغويين . يقول الآمدى فى الرد على المانعين له مبينـاً كيفية وقوعه : (ذهب شـذوذ من الناس إلى امتناع وقـوع الترادف فى اللـغة ، مصـيراً منهـم إلى أن الأصل عـند تعـدد الأسماء تعـدد المسمـيات ، واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر . . . وجوابـه أن يقال لا سبيل إلى إنكار الجواز الـعقلى فانه لا يمتنع عـقلاً أن يضع واحد لفظين عـلى مسمى واحد ، ثم يتفق الكـل عليه . أو أن تضع إحدى القبيلتـين أحد الاسمين على مسـمى ، وتضـع الأخرى له اسـماً آخر ، من غـير شعـور كل قبـيلة بـوضع الأخرى ثم يـشيع الوضـعان بعد ذلك . كـيف ، وإن ذلك جائـز ، بل واقع بالنظر إلى لـغتين ضرورة ، فكان جائزاً بالنظر إلـى قبيلتين)[2] . لقد فـسر أهل الأصول وقوع الترادف فى اللغة بتعدد الوضع ، وذلك إما أن يكون على سبيل لغات الـقبائل المختـلفة ، وهو السبـب الأكثر لديهـم ، وهذا مبنى عـلى كون اللغات اصطلاحية ، أو أن يكون من واضع واحد وهو الأقل [3] ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن من الأصوليين من جاء بتقسيم غريب - على حد قول السيوطى - للألفاظ التى هى بمعنى واحد حيث قسـمها الكيا الهراسى إلى الفاظ متواردة وألفاظ مـترادفة جاعلاً الـترادف فى العبـارات والجمل[4] . أما المـناطقة فـقد

(١) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٢) الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى جـ ١ ص ٣٠-٣١ تحقيق احمد محمد شاكر .

(٣) المزهر جـ ١ ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٤) المزهر جـ ١ ص ٤٠٧ .

عرضوا للترادف أيضاً فى مباحثهم للألفاظ وفى تصنيفهم للأسماء من حيث الدلالة . وإذا كان الأصوليون قد اعتمدوا الأدلة العقلية فى إثبات الترادف ، فإن المناطقة قد اعتمدوا فى ذلك كثيراً على الواقع اللغوى واقتبسوا منه عدة أمثلة فقد سجلوا لنا كلمات مترادفة مما جرى فى الاستعمال بين الناس ، كما ورد فى تقسيمات ابن حزم للأسماء حيث يقول : (أن يكون المسمى يوافق المسمى فى حده ، ويخالفه فى اسمه ، مثل قولنا : سنور وضيون وهر ، فإن هذه الألفاظ مختلفة ، وهى كلها واقعة وقوعاً واحداً على كل شخص من أشخاص النوع المتخذ فى البيوت لصيد الفأر الذى يلح فى السؤال عند الأكل ، وتشبه الأسد فى خلقه ، وهذا النوع من الأسماء يسمى المترادفة)[1] ومن الجدير بالذكر أن فكرة الترادف قد أشار إليها أرسطو واضع علم المنطق من قبل ، وذكرها فى تقسيماته للأسماء وفى باب الحدود وكذلك فى مباحث التصورات التى تتصل بكثير من المسائل اللغوية . فقد لاحظ أرسطو تعدد الأسماء الكثيرة للمعنى الواحد وقرر أنه يمكن أن يقال الشئ بعينه متى كانت الأسماء له كثيرة والمعنى واحد بعينه وذلك بمنزلة الثوب والرداء[2] وعنده أن كلمات مثل الفرح والطرب والسرور كلها أسماء لمعنى واحد هو اللذة[3] وأيضاً من أنواع التعريف عند المناطقة هو التعريف بالمرادف حيث اتخذوه سبيلاً لتعريف الشئ وحده ، وذلك بأن نعرف المجهول أو الغامض بما هو معلوم أو بما هو أوضح منه بذكر مرادفه كتعريف الغضنفر بالأسد والبنان بالإصبع واليراع بالقلم . وقد سمى المناطقة هذا النوع من التعريفات «التعريف اللفظى» . وهم يرون فى هذا التعريف أن المرادف قد استخدم ليرمز بدقة للمعرف، بحيث يمكن استبدال أحدهما بالآخر ، فهما متكافئان ومتساويان منطقاً ودلالة ، ولا فرق

---

(١) التعريف لحد المنطق والمدخل إليه - ابن حزم ص ٣٧ تحقيق د. إحسان عباس .

(٢) منطق ارسطو جـ ٢ ص ٤٧٩ تحقيق د. عبد الرحمن بدوى .

(٣) منطق أرسطو جـ ٢ ص ٥١٨ .

بينهما إلا من جهة كون المرادف أشهر وأوضح[1] . وعلى هذا الأساس أجازوا منطقاً أن تعرف الكلمة بذكر مرادفها وجعلوه احدى طرائقهم فى التعريف .

أما اللغويون المحدثون فقد نظروا إلى ظاهرة الترادف نظرة تتصف بالدقة والموضوعية قياساً إلى النظرة اللغوية القديمة التى كثيراً ما كانت تتصف بالسعة والشمول . إن نظرة المحدثين إلى الترادف تتمثل فى تلك الشروط اللغوية التى وضعوها لتحديد مفهوم الترادف فى الألفاظ وبغير هذه الشروط لا يمكن ذلك[2] ويشترط المحدثون فى الاتفاق التام فى المعنى ويرون أن مقياس الترادف فى ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ استبدال الكلمة بما يرادفها فى النص اللغوى دون أى تغير فى المعنى . وكذلك الاتحاد فى البيئة اللغوية ، أى أن تنتمى الكلمتان إلى لهجة واحدة أو مجموعة لهجات منسجمة ، وايضاً الاتحاد فى العصر أى أن المترادفات تقع فى عصر خاص وزمن معين ، وأن لا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر .

يتضح لنا من هذه الشروط الفرق بين فهم المحدثين للترادف وبين إسراف معظم القدامى فى القول بترادف الكثير من الألفاظ ، فقد كانت فكرة الترادف تتسع عند القدامى لكثير من الألفاظ إلى الحد الذى سمحوا فيه لمئات الكلمات بأن تترادف على المعنى الواحد أحياناً ، بل إنهم قد تسامحوا فى ظاهرة الترادف حتى شملت كثيراً من الكلمات المتقاربة فى المعنى وتضمنت أسماء الشئ الواحد ذات الاعتبارات المتباينة فى الدلالة عليه . وعلى الرغم من محاولة القدامى تحديد مفهوم الترادف ، ووضعهم لشروط تحققه فى اللغة إلا أنهم عدوا كثيراً

---

(١) المنطق ومناهج البحث محمد الشنيطى ص ٧١ .

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٦٦-١٦٧ ، وقد أشار إلى بعض هذه الشروط ايضاً فندريس فى كتابه اللغة ص ٢٤٧ ، ص ٢٧٥ ص ٢٧٦ ص ٢٨٦ ، وانظر دور الكلمة فى اللغة ستيفن اولمان ص ١٠٨ ص ١٠٩ .

من الألفاظ مترادفة ، وقد أدت هذه النظرة المتساهلة إلى كثرة المترادفات فى اللغة العربية . ولهذا نرى أن شروط المحدثين فى جوهرها إنما هى الحد من كثرة المترادفات حتى صارت بقدر مقبول . ومع هذا لاينكر فضل العلماء القدامى فى هذه القضية ، إذ نجد منهم من اهتم ببعض هذه الشروط وأشار إليها على وجه من الوجوه . فقد كان حمزه الأصفهانى ينكر الترادف فى اللهجة الواحدة ويعترف به فى لهجتين مختلفتين . وهذا ما يراه د. إبراهيم أنيس من علماء اللغة المحدثين الذى أعجب بهذا الرأى[1] . ومن علماء اللغة القدامى ابن جنى اقترب كثيراً من المفهوم الحديث للترادف ، وذلك فى قوله : وإذ كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة إنسان واحد[2] . فهذا القول يكاد يتفق مع نظرة المحدثين إلى ظاهرة الترادف . هذا وقد أكد القدامى على اتفاق المعنى فى المترادفات وضرورة دلالتها على المسمى الواحد باعتبار واحد . نستنتج من هذا أن شروط المحدثين لم تكن جديدة كلها ولعل الجديد منها هو الاتحاد فى العصر على أنها واقعة فى عصر خاص وزمن معين ويعبرون عن هذه النظرة بالوصفية ، وليس على أساس النظرة التاريخية . ومن الجديد أيضاً الا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر ، ولهذا أخرج المحدثون من الترادف كل الكلمات التى حدث فيها تطور صوتى وصارت تنطق بعدة صور .

ولعل الجديد فى النظر إلى ظاهرة الترادف ما ذكره أستاذنا الدكتور محمود فهمى حجازى بأنه فى ظل مبدأ نسبية الدلالة لا يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق فى ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً ، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر ولا أقل . فالألفاظ المترادفة هى بهذا المعنى الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة ،

---

(١) فى اللهجات العربية ص ١٦٣ ، ص ١٦٦ .

(٢) الخصائص لابن جنى جـ ١ ص ٣٧٣ .

وليس هنا اتفاق المعنى[1] . وهذا الرأى هو الذى ذهب إليه أكثر الأدباء والنقاد المحدثين[2] الذين أنكروا الترادف التام ، وقد كانوا أكثر تعلقاً بهذا الرأى لاتفاقه مع نظرتهم إلى دلالة الألفاظ ، تلك النظرة التى تستشف إيحاءات الكلمة من ظلال وألوان ومشاعر وانطباعات وجدانية ، وما تثيره فى النفس من تداعى المعانى المختلفة . ولهذا لا يجوز عندهم وجود كلمتين بمعنى واحد تتفقان من حيث الظلال والإثارة والإيحاء اتفاقاً كاملاً لأن دلالة الكلمة تختلف من شخص إلى آخر . وهذا هو سبب إنكار الغالبية من الأدباء والنقاد للترادف بمعناه التام .

أما مواقف الباحثين الغربيين بشأن وقوع الترادف فى اللغة والخلاف فيه فقد تناوله ستيفن أولمان بالتفصيل فى كتابه دور الكلمة فى اللغة ، أفرد فصلاً خاصاً بعنوان الترادف أورد فيه آراء طائفة من علماء اللغة حول هذه الظاهرة ثم ناقشهم فى ذلك[3] . وخلاصة قوله أن أغلب الباحثين الأجانب يستبعدون كثيراً وقوع الترادف التام فى اللغة ، ويرونه فى الألفاظ المتقاربة فى الدلالة ، على حين يرى بعضهم أن الترادف التام واقع فى اللغة ولكنه نادر الحدوث .

(٢)

يهدف هذا البحث إلى تفسير حدوث الترادف فى كثير من الألفاظ بسبب التغير الدلالى الذى يحدث للألفاظ فى أطوار حياتها . وذلك أن ظاهرة الترادف فى جوهرها مسألة دلالية قبل كل شئ ، وهى غالباً ما تكون نتيجة التغير فى دلالة الألفاظ فهى تؤلف موضوعاً لغوياً تاريخياً من حيث علم الدلالة

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٩٧ ، ص ٩٨ .

(٢) فى الأدب والنقد د. محمد مندور : ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، وفى النقد الأدبى د. شوقى ضيف ص ١٢٩ ، والتفسير البيانى للقرآن الكريم د. بنت الشاطئ ص ٥ ، ص ٦ ، وفى اللهجات العربية ص ١٦٩ ، ودلالة الألفاظ إبراهيم أنيس ص ٢١١ .

(٣) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٩٧ ومابعدها .

التاريخى . وبهذا التفسير يمكن أن نرد كثيراً من المترادفات إلى هذه الحقيقة فى التغير والاستعمال ، وهنا تكون الحاجة إلى ضرورة تتبع الاستخدام اللغوى لهذه الألفاظ من أجل معرفة تغيرها الدلالى الذى جعلها مترادفة ، مع الأخذ بعين الاعتبار تفاوت الزمان والمكان والبيئة فى مثل هذا التغير .

ومن أجل ذلك سنجد كثيراً من ألفاظ اللغة قد ترادفت بسبب التغير الدلالى ، ولا سيما الألفاظ المتقاربة فى المعنى ، والألفاظ التى تدل على معان كلية أو عامة . والألفاظ التى تدل على معنى خاص أو جزئى . وقد تصبح مثل هذه الألفاظ مترادفة نتيجة تغيرها الدلالى . إذ كثيراً ما يحدث أن يتخصص العام أو أن يعمم الخاص ، أو أن يتغير مجال الدلالة بفعل الاستخدام اللغوى ، فيختفى ذلك التباين بالتدريج ، ثم تصبح دالة على معنى واحد ، بمرور الزمن . وهكذا يحدث الترادف فى مثل هذه الألفاظ بسبب تغير الدلالة فيها ضيقاً واتساعاً وبتغير مجالها الدلالى من مجال إلى آخر . حتى إن أحد اللغويين المحدثين قد نظر إلى الكلمات التى تشترك معانيها فى بعض الأجزاء وتختلف فى بعضها الأخر فتشبهها بدوائر متحدة المركز مختلفة فى جزء من سطوحها ، أو مشتركة فى جزء من السطح فقط ، فإذا مر عليها زمن طويل ودعت عوامل تغير المعانى إلى أن تنطبق الدوائر بعضها على بعض صارت تلك الكلمات مترادفة . لأن المعانى لا تبقى على حال واحدة ، فقد يصبح الخاص عاماً أو يصبح العام خاصاً[1] .

ومما يساعد على هذا الأمر توافر تلك الألفاظ ذات المعانى المتقاربة والمعانى العامة والخاصة للشئ الواحد . وقد عقد أصحاب اللغة من اللغويين القدامى لألفاظ العموم والخصوص والألفاظ المتقاربة فى المعنى أبواباً جمعوا فيها الكثير

---

(١) فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص ١٧١ .

من هذا القبيل[1] . وهذا ما يدل على مدى التقارب الدلالى بين هذه الألفاظ ، حتى أصبح من الضرورى التفرقة بينها لئلا تختلط وتصبح بمعنى ، أو تحسب كذلك . ولهذا السبب كثيراً ما نلاحظ حدوث الترادف فى هذه الألفاظ المتقاربة فى المعنى ، لأنها عرضة لاحتمالات التغير الدلالى أكثر من غيرها ، ومن ثم ترجع إلى معنى واحد بفعل الاستخدام اللغوى . وهذا ما جعل بعض العلماء يصنفون فى مثل هذه الألفاظ التى صارت مترادفة أو كادت ، ويعنون بالفروق بينها . ولعل أشهر هؤلاء أبو هلال العسكرى الذى صرح فى مقدمة كتابه بأن هذا السبب هو الذى دعاه إلى القول بالفروق اللغوية بين المعانى المتقاربة أو التى صارت بمعنى ، فهو يقول : « ثم إنى ما رأيت نوعاً من العلوم وفناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه إلا الكلام فى الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة والغضب والسخط ، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ، والسنة والعام »[2] .

من الملاحظ أن مجمل الفروق التى ذكرها العسكرى ، إنما هى فى حقيقة الأمر ترجع إلى هذا التقارب فى المعنى أصلاً ، ثم شرع الناس يستعملونها فيما بعد بمعنى واحد . فأخذ العسكرى يبين الفروق بينها ، معتمداً على معانيها الأصلية ودلالاتها القديمة كما وردت عن فصحاء العرب القدامى ، وذلك خشية الأشكال والخلط فيها . ويؤكد هذا أن العسكرى كثيراً ما يفرق بين هذه المعانى المتقاربة ، بحسب الأصل ، ثم يذكر بعد ذلك أنها استعملت بمعنى واحد ، مشيراً إلى التوسع فيها . واعتمد العسكرى أسساً فى تفريقه بين الألفاظ تتمثل

(1) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ، فصل فى العموم والخصوص ص ٣١١-٣١٢ وانظر المزهر ، معرفة العام والخاص فيه خمسة فصول جـ ١ ص ٤٢٦ ومابعدها .

(2) الفروق فى اللغة ، أبو هلال العسكرى ص ٧ .

فى نقاط أساسية منها فى اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما ، أو فى اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، أو اعتبار النقيض ، أو فيما توجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه ، أو فى اعتبار حقيقة اللفظين أو إحداهما فى أصل اللغة[1] . ويتضح من هذه الاعتبارات أن العسكرى قد اعتمد كثيراً على الدلالة الأصلية للألفاظ ، مهتدياً إلى ذلك بالاشتقاق ، وأصل الوضع وأمور أخرى ، كما تجاوز الدلالة إلى عوامل أخرى نحوية وصرفية ومنطقية وعقلية . ومن تقسيم العسكرى لكتابه إلى أبواب يحتوى كل باب على طائفة من الألفاظ المتقاربة فى المعنى فى موضوع معين وقد قاربت على الثلاثين باباً ، فكان يذكر الفروق بين ألفاظ الباب الواحد تبعاً لدلالتها الأصلية فى اللغة ، ويشير بعد ذلك فى أحيان كثيرة إلى التوسع الذى حدث فى دلالتها نتيجة استخدامها اللغوى . . وأن تلك الألفاظ صارت تدل على معنى واحداً وأن الكلمة صارت توضع موضع الأخرى[2] .

إن دراسة الألفاظ المترادفة على أساس تغير الدلالة وملاحظة استخداماتها من الناحية التاريخية ، يثبت أن التغيير الدلالى هو سبب ترادف الكثير من الألفاظ ، ولاسيما تلك الألفاظ المتقاربة فى المعنى . ففى اللغة العربية كثير من الأمثلة ، ومن ذلك ، أن أصل الورد هو إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل شئ ورداً . وقد جاءت الكلمة فى القرآن الكريم بهذا المعنى الأخير فى قوله تعالى ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[4] وفى قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5] . وإن أصل القرب هو طلب الماء ، ولما كثر استعماله صار يقال

(١) الفروق فى اللغة ص ١٤ .

(٢) الفروق فى اللغة ص ١٦ .

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد جـ ٣ ص ٤٣٣ ، والمزهر جـ ١ ص ٤٢٩ .

(٤) سورة هود : آية ٩٨ .　(٥) سورة الأنبياء : آية ٩٩ .

ذلك لكل طلب فيقال : هو يقرب كذا ، أى يطلبه ، ولا تقرب كذا . وفى اللسان عن الخطابى : (نقرب أى نطلب والأصل فيه طلب الماء ، ومنه ليلة القرب . . . ثم اتسع فيه فقيل : فلان يقرب حاجته ، أى يطلبها)[١] . العقيرة فى الأصل هى الساق المقطوعة ، ثم قالوا : رفع عقيرته أى صوته ، وسبب ذلك أن رجلاً عقرت رجله فرفعها وصاح فقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته : رفع عقيرته[٢] . والنجعة معناها فى الأصل طلب الغيث ولكثرة الاستعمال صار كل طلب انتجاعاً. والمنيحه أصلها أن يعطى الرجل الناقة أو الشاة فيشرب لبنها، ثم صارت كل عطية منيحه ، والوغى كان يعنى اختلاط الأصوات فى الحرب ، وليس الحرب نفسها ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صارت الحرب وغى وكذلك الواغية . والراوية كانت تعنى فى الأصل البعير الذى يستقى عليه ، ثم استعملت بعد ذلك بمعنى المزادة فصارت المزادة راوية[٣] . والألب فى اللغة كان لا يعنى العطش ، وإنما هو الحوم حول الماء دون القدرة على الوصول إليه . ثم صار فيما بعد يعنى العطش نفسه . فيقال : الألب : العطش . وقد سجل صاحب اللسان المعنيين عن الفارسى[٤] . فى حين اقتصر ابن السكيت على ذكر المعنى الأول عن الفراء[٥] . وهذا من باب تسمية الشئ بسببه ، ذلك أن سبب الحوم حول الماء هو العطش . وهو من صور التغير الدلالى على سبيل المجاز المرسل الذى علاقته السببية .

ومن الأمثلة الأخرى على حدوث الترادف فى الألفاظ بسبب التغير الدلالى على جهة التعميم والتوسع فى المعنى أن كلمة الحوة فى اللغة العربية كانت

(١) اللسان مادة (قرب) : جـ ٢ ص ٦٦٧ .

(٢) اللسان مادة (عقر) : جـ ٢ ص ٥٩٣ .

(٣) اللسان مادة (روى) : جـ ١ ص ٣٤٦ .

(٤) اللسان مادة (الب) : جـ ١ ص ٢١٦ .

(٥) اصلاح المنطق ص ٩٠ .

تعنى شية من شيات الخيل ، وهى بين الدهمة والكمته ، وقد كثر هذا فى كلامهم وتوسعوا فى معناها حتى سموا كل أسود أحوى ، فقالوا : ليل أحوى وشعر أحوى . وبهذا صارت الكلمتان بمعنى[1] .

ومن هذا القبيل أن أصل البشم فى اللغة هو : التخمة للبهائم خاصة ، ثم كثر حتى استعمل فى الناس أيضاً ، وبذلك أصبحت الكلمتان مترادفتين نتيجة هذا التوسع فى الدلالة الذى جرى على سبيل تعميم الخاص ، وهذا واحد من مظاهر التغير الدلالى . ومن هذا أيضاً أن كلمة الخارب فى اللغة ، كانت تطلق على سارق الإبل خاصة ، ثم عمموا بها حتى صارت تقال لكل من سرق بعيراً كان أو غيره ، جاء فى اللسان : (والخارب : سارق الإبل خاصة ، ثم نُقِل إلى غيرها اتساعا . والخارب : اللص ، ولم يخصص به سارق الإبل ولا غيرها . . . يقال : خَرِب فلان اى صار لصا)[2] وبهذا أصبحت لفظتا الخارب والسارق مترادفتين بسبب هذا التعميم فى الدلالة[3] . مما تقدم نتبين كيفية ترادف هذه الألفاظ ، وكانت فى الأصل تدل على معنى واحد بسبب التغير الدلالى الذى حدث فيها لكثرة الاستخدام اللغوى .

ويظهر دور المجاز بارزاً فى التغير الدلالى للألفاظ كما فى ترادف الراوية والمزادة ، والألب والعطش ، والوغى والحرب وغيرها من الأمثلة التى سبق ذكرها ، ويلاحظ أن تغير الدلالة من الخاص إلى العام وبالعكس ، أو على سبيل المجاز ، هو من أهم وجود التغير الدلالى . وقد أشار اللغويون القدامى صراحة إلى هذا النوع من التغير الدلالى واعترفوا به ، كما تبين فى تلك الأمثلة التى نصوا فيها على اتساع الدلالة بسبب كثر الاستخدام وانتشاره ، ومع

(١) جمهرة اللغة جـ ٣ ص ٤٣٤ .

(٢) اللسان مادة (خرب) جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٣) المزهر جـ ١ ص ٤٢٩ ، الصاحبى لابن فارس ص ٩٥ .

اعتراف اللغويين القدامى بالتغير الدلالى فقد قصروه على حقبة معينة ووقفوا به عند عصور محددة .

وفى ضوء ما تقدم كان من الممكن أن نفس حدوث الترادف فى كثير من الألفاظ. وللتحقق من صحة ذلك وبيان ماله من أثر تعرض الدراسة أمثلة أخرى ، فمن ذلك أن « الباس » فى أصل معناها كانت خاصة بالحرب ، ثم صارت تطلق على كل شدة[1] . وقد جاءت بهذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾[2] ، أورده السيوطى فيما سماه : (فيما وضع فى الأصل خاصاً ثم استعمل عاما)[3] . ويجوز حمله على المجاز المرسل ، إذ إن العلاقة المجازية واضحة بين المدلولين وهى التى سوغت إطلاق البأس بمعنى الحرب على كل شدة وذلك لعلاقة السببية ، ومن ذلك أيضاً أن المجد فى الأصل هو : امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم قالوا : مجد فلان فهو ماجد ، إذا امتلأ كرما . والأفن : قلة اللبن - قلة لبن الناقة وهذا هو الأصل ، ثم قالوا : أفن الرجل إذا كان ناقص العقل ، فهو أفين ومأفون[5] ، وبهذا أصبحت من أسماء الأحمق . ومما تقدم يلاحظ فى المثالين الأخيرين انتقال المعنى من الدلالة المادية إلى المعنوية . وكذلك من أمثلة وقوع الترادف بسبب التعميم فى الدلالة ، اطلاق اسم الورد على كل زهر ، وهو فى اللغة خاص بالأحمر[6] . وحول اطلاق اسم الوردة يطلق على الزهرة عموماً ، ذكر فندريس أمثلة متعددة من لغات مختلفة ، وفيها صار اسم الوردة يطلق على كل زهرة أياً كانت ، واضطرت إلى أن توجد للوردة اسما جديدا[7] . ومنها

(١) الجمهرة جـ ٣ ص ٢٠٦ ، وانظر المزهر : جـ ١ ص ٤٣١ .

(٢) سورة غافر آية : ٢٩ .

(٣) المزهر جـ ١ ص ٤٢٩ ، ص٤٣١ .

(٤) الجمهرة جـ ٣ ص ٤٣٣ .

(٥) المزهر جـ ١ ص ٤٣١ .

(٦) اللسان مادة (ورد) جـ ٣ ص ٤٥٦ .

(٧) اللغة ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

استعمال الحفان والتولب بمعنى واحد ، حيث استعملها الشعراء زمن ابن السكيت للصفار مطلقاً ، والأول فى الأصل لصغار النعام والثانى لولد الأتان من الوحش إذا استكمل الحول[1] . إلا أن ابن السكيت عدّ هذا الاستعمال من الحروف التى يتكلم بها فى غير موضعها . ويمكن تفسير استعمالهما مترادفين بسبب تعميم الدلالة ، وإلى مثل هذا أشار محقق كتاب ابن السكيت[2] ومنها اطلاق الاستحمام على الاغتسال سواء كان بالماء الحار أم البارد واستعمالهما بمعنى ، وليس الأصل كذلك لأن الاستحمام أصله الاغتسال بالحميم أى الماء الحار . ثم عمموه بعد ذلك فشمل كل اغتسال بأى ماء كان . وقد اعترف الجوهرى بهذا الاستخدام نتيجة هذا التغير الدلالى وسجله بقوله : (والحميم : الماء الحار ، والحميمة مثله، وقد استحممت إذا اغتسلت به، هذا هو الأصل ، ثم صار كل اغتسال استحماماً ، بأى ماء كان[3] . ذكر أبو بكر الزبيدى[4] إن أهل الأندلس وصقلية يستعملون الاستحمام بمعنى الاغتسال دون أى تفرقة بينهما ، إلا أنه قد حكم بالخطأ على هذا الاستعمال وعدّه لحناً ، وذلك لتمسكه بالدلالة القديمة وهى الاستحمام خاص بالماء الحار ، ومن وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة فهو تغير دلالى قد جرى على سبيل تعميم الدلالة[5] .

ومثل هذا كثير من الألفاظ التى تغيرت دلالتها على وجه تعميم الخاص فصارت مترادفة فى طرائق الاستخدام اللغوى من غير مراعاة التباين التى كانت عليه ، ولا يعنينا هنا الموقف الرافض لبعض اللغويين الذين أنكروا هذا التغير الدلالى وعدّوه لحناً ، نتيجة محافظتهم الشديدة على الدلالة القديمة للكلمة

---

(١) اللسان مادة تلب جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٢) الحروف التى يتكلم بها فى غير موضعها لابن السكيت ص ٢٧ تحقيق د. رمضان عبد التواب .

(٣) الصحاح مادة (حمم) جـ ٥ ص ١٩٠٥ .

(٤) لحن العوام للزبيدى ص ٢٥٦ .

(٥) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١١١ ، ١٦١ .

وهو موقف مخالف للدراسات اللغوية الحديثة التى تناولت ظاهرة لحن العامة ، لتعارضه مع مفهوم التطور اللغوى عامة ومبادئ علم الدلالة الحديث خاصة .

(٣)

وهناك نوع آخر من التغير الـدلالى لحدوث الترادف ، وذلك بأن تخصص الدلالـة فى الاستـعمال بـعد أن كانـت عامة ، وهـو ما يعـبر عنـه اللغـويون بتخصـيص العام أو تضيـيق المعنى ، وهذا النـوع من التغير الـدلالى يؤدى إلى حدوث الترادف فى الألفـاظ أيضاً . وأمثلة ذلك تخصيص الغـنم باسم الضأن واستخدامهما بمعنى، والغنم فى الأصل اسم عام يقع على الضأن والمعز جميعاً ، ولكن الاستعمال قصره بعد ذلك على الضأن خاصة، يقول ابن مكى الصقلى: (ومـــن ذلك الغنـم ، لا يعرفونـها إلاّ الضأن خـاصـة ، دون المعـز ، وليس كذلك ، إنّما الغنم اسم للضأن والمعز جميعاً[1]) . ذكر ابن مكى الصقلى هذا فى كتابه كما يجـرى بها الاستخدام اللغوى فعلاً ، ولكنه عدّهـا لحناً بحجة أنها بخلاف الأصـل ، ووضعها فى بـاب (ما جاء لشيئـين أو لأشياء فقصـروه على واحد)[2] . وهذه الظـاهرة فى حقـيقتها هـى تغير دلالـى قد جرى علـى جهة تخصص العام . ويعزز هذا القول ماذهب إليه الدكتور مطر[3] وعلى هذا يجوز تفسير تـرادف هذه الألفاظ على أساس المجاز الـذى أصبح حقيقة بسـبب كثرة الاستعمال وذلك لعلاقة المشابهة بين مدلولات هذه الألفاظ التى سوغت لانتقال مجال الدلالة على سبيل الاستعارة .

ومن الألفاظ التى ترادفت بسبب التغـير الدلالى على هذا الوجه ، اليقطين والقرع . إذ إن اليقطين فى اللغة هو كـل شجر ينبسط على الأرض ، ولا يقوم

(١) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٢٠٩ تحقيق د. عبد العزيز مطر .

(٢) تثقيف اللسان ص ٢١٠ .

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ص ١٦١ .

على ساق كالقرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك[1] إلا أن الاستعمال قد خص اليقطين بالقرع وحده دون سواه ، فأصبحت الكلمتان نتيجة هذا التخصيص الدلالى بمعنى واحد . وهذا ما يؤيده الاستخدام اللغوى كما سجل ذلك أصحاب كتب لحن العامة ، الذين أنكروا هذا التغير الدلالى كعادتهم وخطأوا الاستعمال ، لأنه جرى بخلاف الأصل[2] والغريب هنا متابعة عبد اللطيف البغدادى لهم فى تخطئة هذا الاستخدام الذى سببه تخصيص العام . إذ عده مما يضعه الناس غير موضعه، مستشهداً على ذلك بقول سعيد بن جبير القائل : (كل شئ ينبت ثم يموت عامة ، فهو يقطين)[3] ، فسلك مذهباً متشدداً فى ذلك ، وهذا لا يتفق تماماً مع قوله : هذا كله عام ، يجوز أن يخصص ، وتخصيص العام ليس غلطاً[4] لأنه ليس من الصواب أن نعتمد الكلمة فيما كانت عليه من دلالة فى الماضى ، ولا ننظر إلى ما أصبحت عليه من دلالة جديدة بحكم التغير الدلالى ، ثم نخطئ الاستخدام اللغوى العام ونقول بالتفرقة تبعاً لذلك . وكما هو واضح أن هذه التفرقة القائمة على الدلالة القديمة للكلمة تبتعد عن واقع الاستخدام اللغوى ، وذلك أن الدلالة القديمة للكلمة قد صارت شيئاً تاريخياً منسياً فى حياة الكلمة بسبب ما أصابها من تغير دلالى . إذ هجرها الاستعمال أو تناساها بل إن الاستخدام العام يجعل مثل تلك الدلالة التاريخية القديمة ولا يعنيه من الألفاظ إلا دلالتها الحالية المتداولة والمستعملة فعلاً .

---

(١) اللسان مادة (قطن) جـ ٣ ص ٣٤٥ .

(٢) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص ١٢ ، وانظر لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١٩٦ ، ٢٨١ .

(٣) اللسان مادة قطن جـ ٣ ص ٣٤٥ .

(٤) ذيل فصيح ثعلب ص ٦ ص ٧ تعليق محمد عبد المنعم خفاجى ضمن فصيح ثعلب والشرح عليه وانظر لحن العامة والتطور اللغوى ص ٢٥٨ .

ومن ذلك أيضاً قصر دلالة الهلاك على الموت وحده ، فى العربية . والهلاك أعم وأشمل من ذلك فى الأصل ، حيث دلت المقارنات السامية على أن كلمة (هلك) تعنى الذهاب مطلقاً ، فهى فى العبرية لكل نوع من الذهاب ، فى حين تحدد معناها فى العربية فأصبح مقصوراً على نوع واحد من الذهاب إلى العالم الآخر وهو الموت[1] .

ونختتم هذه الأمثلة بالحديث عن ترادف الريحان والآسى ، فالريحان فى الأصل اسم عام يشمل كل نبت طيب الريح كالورد والنعنع والتمام[2] . ولكن الاستخدام اللغوى اللاحق خص به الآس دون سائر الرياحين ، وعلى وجه التحديد عند أهل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى وعند أهل صقلية فى القرن الخامس الهجرى . وبهذا أصبحت الكلمتان بمعنى واحد بسبب هذا التخصيص الدلالى ، وقد حكم الزبيدى وابن مكى الصقلى بالخطأ على هذا الاستعمال وصوباه بالرجوع إلى الدلالة القديمة[3] ومما تقدم نلاحظ أنه كان ينبغى على الأقل الاعتراف بهذا فى حدود بيئتى الأندلس وصقلية اللغويتين اللتين حدث فيهما هذا التغير الدلالى واستخدم أهل الأندلس وأهل صقلية هذه الألفاظ مترادفة فى ذلك الزمن المعلوم ، كما سجله الزبيدى والصقلى . وفى اللغة العربية كثير من الألفاظ التى صارت تستعمل مترادفة نتيجة التغير الدلالى على سبيل تخصيص العام .

ولقد ذكر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) أن الناس يستعملون ألفاظاً بغير ما عرفت به دون مراعاة للفروق فى استعمالها . إذ لاحظ عدة ألفاظ لا يفرق

(١) علم اللغة العربية ، د. محمود حجازى ص ١٤٨ ، وانظر فى اللهجات العربية ص ١٧١ .

(٢) اللسان مادة (روح) جـ ١ ص ٤٥٨ .

(٣) لحن العوام للزبيدى ص ٢٤١ ، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٢٠٨ ، وينظر لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١١٠ ، ١٦١ .

الناس بينها فى الاستخدام اللغوى ، وهو يرى فروقاً بينها قياساً إلى الاستخدام القرآني . فيقول : (وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها . الا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع إلا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا فى موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . . . والجارى على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال)[1] . والذى نلاحظه فى هذا النص المهم عدة أمور تستوجب الوقوف عندها منها ما يتعلق بموقف الجاحظ نفسه من هذه الظاهرة اللغوية ، فهو لم يخطئ صراحة هذه الاستعمالات اللغوية الدائرة فى عصره كما فعل كثير من القدامى ، بل اكتفى بتسجيلها وتعليل أسبابها ، فكانت ملاحظاته اللغوية هذه وصفية فى مجملها وليست معيارية أما ما يتعلق بحقيقة الفرق بين هذه الألفاظ وفى ذلك نظر بما ذهب إليه الجاحظ فمن السهل تفسير هذه الاستخدامات اللغوية وما آلت إليه بالتغير الدلالى ، فالفرق بين هذه الألفاظ قليل جداً ودلالاتها متقاربة أشد التقارب ، وعندئذ يكون تعليل الجاحظ لعدم تفرقة الناس بينها بسبب خفة اللفظ ، تعليلاً صائباً ووجيهاً إذا ماثبت الفرق بينها .

ولكن هناك ملاحظة على هذا القول إذ إن كلمة « مسغبة » لم ترد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة وذلك فى قوله تعالى : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[2] وقد فسرت بالمجاعة دون فرق ، يقول صاحب الكشاف فى تفسير المسغبة التى وردت فى القرآن الكريم : (والمسغبة والمقربة ، والمتربة ، مفعلات

---

(١) البيان والتبين جـ ١ ص ٢٠ .

(٢) سورة البلد ، آية : ١٤ ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم جـ ١ ص ٣٥١ .

من سغب : إذا جاع)[1] . أما صاحب اللسان فقد ذكر أن سغب الرجل وسغب سغباً ومسغبة : جاع . والسغبة : الجوع ، وقيل : هو الجوع مع التعب . وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ، أى مجاعة . وفى الحديث ما أطعمته إذ كان ساغباً ، أى جائعاً . وفى حديث آخر : أنه قدم خيبر بأصحابه وهم مسغبون ، أى جياع ، ويقال يتيم ذو مسغبة أى ذو حاجة[2] ومما تقدم يتضح أن تفرقة الجاحظ بين هذه الألفاظ جاءت من حيث نظر إليها نظرة بلاغية تتعلق بالاستعمال القرآنى وأسرار تراكيبه البيانية ولم ينظر إليها نظرة دلالية متأنية ، وأياً ما كان الأمر فإن الاستعمال غالباً لا يفرق بينها بشهادة الجاحظ .

وبتأثير التغير الدلالى نجد فى القرن الثالث الهجرى العديد من الألفاظ التى أصبحت مترادفة فى لغة ذلك العصر ، بعد أن مكن الاستخدام اللغوى لها واختفت تلك الفروق الدقيقة بين دلالاتها . فلم يعد الناس فى استخدامهم اللغوى العام يفرقون بينها ، ولا يراعون التباين فى دلالاتها ، بل إنهم أحياناً يجهلون ذلك تماماً . وهذا ما لاحظه وصرح به ابن قتيبة ت سنة ٢٧٦ هـ فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » وجعله من أسباب تأليفه ، فقال : (فما رأيت أحداً منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من الفدع ولا اللمى من اللطع ، فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره ، جعلت له حظا من عنايتى وجزءاً من تأليفى[3]) . . وبهذا كشف

(١) الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٧٥٦ . (٢) اللسان مادة (سغب) جـ ٢ ص ٤٦٨ .

(٣) أدب الكاتب ص ٩ الوكع فى الرجل أن تميل ابهامها على الأصابع حتى يرى أصلها خارجاً ، والكوع فى الكف أن تعوج من قبل الكوع ، والكوع رأس الزند الذى يلى الإبهام ، وقيل الحنف ان يمشى الرجل على ظهر قدمه . والفدع فى الكف زيغ بينها وبين عظم الساعد وفى القدم زيغ بينها وبين عظم الساق . . . . واللمى سمرة فى الشفتين تخالطها حمرة وذلك مما يمدح به ، واللطع بياض الشفتين وذلك مما يذم به . انظر : شرح أدب الكاتب للجواليقى ص ٥٤-٥٥ .

ابن قتيبة عن التغير الدلالي الذى حدث لطائفة من الألفاظ المستخدمة فى عصره ، تلك الألفاظ التى صارت تستعمل بمعنى واحد وامحت الفروق بينها وذلك نتيجة لهذا التغير الدلالى ، وأنها لفائدة عظيمة تلك التى نجدها فى تسجيل ابن قتيبة للألفاظ التى تناولها فى كتاب أدب الكاتب ، وسجل الاستخدام اللغوى الذى ساد فى عصره بعد أن تغيرت دلالة هذه الألفاظ بحسب معانيها التى استخدمت فى عصره وكما يجرى بها الاستعمال فعلاً ، وليس بحسب معانيها النقلية والمروية[1] . وهناك ملاحظة بهذا الخصوص ، فابن قتيبة لم يسلم بهذا التغير الدلالي وذهب إلى استنكاره وتخطئة استعماله ، وأرجع ذلك إلى انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية آنذاك . وهذا عنده ما ينبغي تجنبه والتنبيه عليه . ومن أجل ذلك راح يصوب هذه الألفاظ التى تغيرت دلالاتها بالرجوع إلى معانيها القديمة كما وردت عند الأقدمين ، وهو فى ذلك يحذر من أي معنى جديد عندما يراه مخالفاً لِمَا كانت عليه الكلمة من دلالة سابقة . وقد عقد لهذا الغرض باباً خاصاً سماه : (باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه) وهو الباب الأول من كتاب المعرفة الذى احتواه (أدب الكاتب)[2] ونجد فى هذا الباب مجموعة كبيرة من الألفاظ التى يستعملها الناس بمعنى واحد كما نص على ذلك ابن قتيبة ، وهو يُخَطِّئ هذا . ويقول بالفروق بينها من أجل تصويبها ومراعاة الصحة اللغوية فى استعمالها . ومن هذه الألفاظ التى ترادفت بسبب التغبر الدلالى وخَطَّأها ابن قتيبة معولاً على الاستعمال القديم ، لفظة الطرب ، فقد استعملها الناس فى الفرح دون الجزع ، ولكن ابن قتيبة يذهب إلى أن الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع . ويستشهد على ذلك بقول النابغة الجعدى :

(١) انظر : العربية ، يوهان فك ص ١٣٢ .

(٢) أدب الكاتب ص ٢١ .

وأراني طربا في أثرهم   طرب الواله أو كالمختبل[1]

وهذا صحيح بالنظر إلى الأصل أو بالنسبة إلى ذلك الاستخدام اللغوي القديم ، إلاّ أنّ الاستخدام اللغوي - في عصر ابن قتيبة - اللاحق قد خص الطرب بالفرح وحده ، وجرى بهما مترادفين ، وتخصيص المعنى من أنواع التغير الدلالي كما هو معلوم .

ومن ذلك الخلف والكذب . . يكاد الناس لا يفرقون بينهما في الاستخدام اللغوي على حين ابن قتيبة على التفرقة بينهما ، فيجعل الكذب للماضي والخلف للمستقبل[2] . وقد عقب ابن السِّيد البطليوسي[3] بأنّ الكذب قد جاء مستعملاً في المستقبل في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[4] ولم - يقيد الراغب الأصفهاني الخلف بزمن معين . وأما الكذب فقد ذكر ما يخالف رأي ابن قتيبة حيث قال : (الصدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً وعدا كان أو غيره)[5] وفي اللسان لم يرد هذا القول في التفرقة بينهما[6] .

ويضع الناس الحشمة موضع الاستحياء ، ولا يرى ابن قتيبة ذلك صواباً ، لأنها بمعنى الغضب كما حكى عن بعض فصحاء العرب . واستعمال الحشمة بمعنى الاستيحاء أو الحياء قديم ، بدلالة إنكار الأصمعي له ، كما ذكر ابن قتيبة الذي تابعه في ذلك[7] .

(١) أدب الكاتب ص ٢٢-٢٣ ، وانظر ديوان النابغة الجعدي ص ٩٣ وفيه « فاراني » .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٣ .

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب للبطليوسي ص ١١٣ .

(٤) سورة هود : آية ٦٥ .

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ص ١٥٦ ، ص ٢٧٨ .

(٦) اللسان مادة (كذب) جـ ٢ ص ٧٠٤ .

(٧) أدب الكاتب ص ٢٣ .

وعقّب الجواليقى على هذا الرأى بقوله: (الحشمة فى اللغة لها موضعان ، أحدهما الغضب والآخر الحياء . وقيل للمبرد : الحشمة ، الغضب والحشمة الحياء ، مامعنى ذلك ؟ فقال : الغضب والحياء كلاهما نقصان يلحق النفس ، فكان مخرجهما واحداً)[1] كما ذكر البطليوسى فى رده أن الحشمة تكون بمعنى الاستحياء . وقد استعمل المتنبى الاحتشام بمعنى الاستحياء وذلك أحد مارد عليه من شعره ، فقال :

ضيف ألم براسى غير محتشم والسيف أحسن فعلاً منه باللمم[2]

والحمد والشكر من الألفاظ المتقاربة فى المعنى ، وبسبب هذا التقارب ، اندمجت دلالتهما حتى صارت واحدة ، ولم يعد الناس يتلمسون الفرق بينهما فى زمن ابن قتيبة وفى زمن أبى هلال العسكرى . فقد جرى الاستعمال بهما مترادفين واختفى ذلك الفرق الدقيق بين معنيهما نتيجة تعميم الدلالة ، والحمد فى الأصل أعم من الشكر . وابن قتيبة يلاحظ هذا الاستخدام اللغوى فى عصره ويحكم عليه بالخطأ حيث يقول : ومن ذلك الحمد والشكر لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من حسن ، تقول : حمدت الرجل إذا أثنيت عليه بكرم أو حسب أو شجاعة وأشباه ذلك ، والشكر له : الثناء عليه بمعروف أو لا كما وقد يوضع الحمد موضع الشكر ، فيقال : حمدته على معروفه عندى كما يقال شكرت له ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد ، فيقال شكرت له على شجاعته)[3] . أما أبو هلال العسكرى فقد وَضّح الفرق بين اللفظتين وأسهب فى شرحه فى التفريق بين معنيهما . فهو تارة يرجع الفرق إلى أصل الكلمة فى اللغة وتارة يفرق بينهما من منطلق علم الكلام ،

---

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقى : ص ١٢٣ .

(٢) الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب ص ١٠٨ ص١٠٩ و، انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى جـ٤ ص٣٤.

(٣) ادب الكاتب ص ٣٧ .

وثالثة يفرق بينهما تبعاً للفقه والحكمة والشرع . وأيضاً يتناول الفرق بين اللفظتين من جهة البلاغة[1] . وفى هذا التناول لا يكاد الباحث يقف على أى تفرقة لغوية واضحة فيها ، بل يكاد لا يفهمها إلا بجد ومشقة .

ومما تقدم يتضح إلى أى مدى تكلف القائلين بالفروق اللغوية وعدم اتفاقهم على فرق بعينه ، مع إغفالهم مسألة تطور دلالة الألفاظ . فهم يلتمسون شتى الوسائل ، وإن كانت بعيدة عن اللغة - وذلك من أجل القول بالتباين بين الألفاظ التى أصبحت تستخدم بمعنى واحد فى مستوى الاستخدام اللغوى نتيجة تغيرها الدلالى .

وهكذا يمضى ابن قتيبة فى ملاحظة هذه الظاهرة ، فيعترف صراحة بأن الاستخدام اللغوى فى عصره لم يعد يفرق بين : الظل والفى ، وبين الآل والسراب ، وبين العترة والذرية ، وبين الفقير والمسكين ، والخائن والسارق ، والبخيل واللئيم ، وبين الملة والخبزة ، وبين الفاقرة والداهية ، وبين المزادة والراوية[2]، وإلى غير ذلك من الألفاظ التى صارت متساوية من حيث الدلالة ، ولم يعد الناس يتبينون فروقاً بينها ولا يراعون ذلك التباين فى معانيها . وابن قتيبة يتحدث فى كتابه أدب الكتاب عن مثل هذا ويلاحظه ، وينص عليه ، وتلك الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ نجد ابن قتيبة مهتماً بها أشد الاهتمام متخذاً من الدلالة القديمة لهذه الألفاظ معياراً وحيداً للصحة اللغوية . . . فأنكر أى تغير يحدث بخلاف ذلك بل عدّه لحناً ، وقد يلتمس فروقاً غير لغوية ، أو مما ليس موضع اتفاق لدى اللغويين ، كما فى تفرقته بين الفقير والمسكين[3] ،

---

(١) الفروق فى اللغة ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر : أدب الكاتب ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) هذه المسالة قد اختلف فيها أهل اللغة كثيراً وتنازعوا حول تحديد الفرق الدقيق بين اللفظتين حتى نقض أحدهما قول الآخر ، فمذهب الأصمعى ومن وافقه أن المسكين أحسن حالاً من الفقير . وقد ذكر ابن قتيبة أن الفقير الذى له البلغة من العيش والمسكين الذى لاشئ له ، فغلطه الثعالبى وجعل العكس =

فهى ربما تكـون صحيحة فى نظر بعـض الفقهاء ولا تصح عنـد آخرين من أهل اللغة .

ومهما يكن موقف ابن قتيبة من هذه الظاهرة إلا أنه أفادنا كثيراً فى الوقوف على تغـير المعانى لعدد كـبير من الألفاظ فى الـقرن الثالث الهجـرى ، وبفضل ذكره لدلالة اللفظة المستخدمة فى عصـره ودلالتها القديمة أو الأصلية على سبيل المقارنة ، تتم معرفتنا للتغير الدلالى الذى طرأ على هذه الألفاظ . وبهذا يكون من السهولة أن نقف على السبب فـى ترادف هذه الألفاظ المتقاربة فى المعنى الا وهو التغيـر الدلالى بمختلف أنواعـه . . فأثر التغير الدلالـى واضح فى تداخل معانى هذه الألفاظ ، وبذلك اختفت تلك الفروق التى كانت عليها دلالات هذه الألفاظ .

لقد لاحظ الـلغويون تشدد ابـن قتيبة فى موقـفه اللغوى حول طـائفة من المسائل الـلغوية التى ذكـرها فى كتابه وجـعلها من باب الـلحن ، متبعـاً طريقة الأصمـعى فى هذا المـنحى المتشدد ، كمـا أثبت هـذا شارح كتـابه ابن السـيد البطليوسى[1] . وكذلك رد عـليه الجواليـقى الذى شرح كـتابه أيضاً فـى بعض المسائل[2] . وأشار إلـى ذلك من المحدثـين الدكتور عـبد العزيـز مطر ، فقـد أحصى اثنين وثلاثين لفظاً تغير مجال استعمالها عما ورد عن العرب ، وكان ابن قتيبة قد جعـلها من باب اللحن فى المعانى وذكر معـانيها الأصلية[3] . وكذلك يوهان فك الذى رأى فى ابن قتيبة ممثلاً عن مبـدأ تنقية اللغة العربية المتشددة ،

= هو الصحيح ، وجوز أن يكون الفقير مثل المسكـين دونه فى القدرة على البلغة . ومن اللغويين من سـوى بينهما . انظر تفصيل ذلك فى أدب الكاتب : ٣٥ وفقه اللغة للثعالبى : ٨٥ واللسان مادة (فقر) جـ ٢ ص ٦٠ وإصلاح المنطق ص ٣٢٦ ، وشرح أدب الكاتب الجواليقى ص ١٤٣ .

(١) الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب ص ١٠٦ .

(٢) شرح أدب الكاتب ص ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٦٣ .

وأشار إلى متابعته للأصمعى بما عرف عنه من تشدد . كما لاحظ أن القواعد التى فرضها لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤدها معاصروه على وجه الدقة ، بل هو نفسه قد اصطدم أحياناً بقواعده ، وحتى الشعر الرفيع فى عصره لم يف بقواعد مبدأ تنقية اللغة[1] .

والمجاز بنوعيه طريق واسع من طرق التغير الدلالى ، وهو من العوامل المهمة التى يتم بها انتقال مجال الدلالة . حيث تنتقل دلالة الكلمة من مجال إلى آخر بطرق أبرزها الاستعارة ، أى المجاز القائم على علاقة المشابهة ، والمجاز المرسل وهو الذى تكون علاقته غير المشابهة ، كالسببية والزمانية والمكانية والمجاورة وباعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك من علاقات المجاز المرسل وفى ضوء المجاز يمكن أن نفسر الكثير من ترادف الألفاظ .

(٤)

لاحظ علماء اللغة أن قضية المجاز وارتباطها بالحقيقة إنما هى مسألة نسبية متغيرة ، وذلك أن الحقيقة والمجاز كثيراً ما يتبادلان هذه الصفة ، فهما فى حركة دائبة وانتقال مستمر . فما كان حقيقة قد يصير مجازاً ، وما كان مجازاً قد يصير حقيقة ، ومقياس ذلك هو الاستعمال والعرف اللغوى . وقد بين ابن جنى انتقال المجاز إلى الحقيقة ، ونص على أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة[2] على الرغم من تعريفه لها فى مكان آخر من كتابه بحسب الوضع فى اللغة[3] . كما نقل السيوطى عن اللغويين قولهم : (إن الحقيقة قد تصير مجازاً وبالعكس فالحقيقة متى قل استعمالها صارت مجازاً عرفاً ، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفا[4]) .

---

(١) العربية يوهان فك ص ١٣٢ ، ١٣٥ .

(٢) الخصائص ابن جنى جـ ٢ ص ٤٤٧ ومابعدها .

(٣) الخصائص جـ ٢ ص ٤٤٢ .

(٤) المزهر جـ ١ ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

وتختلف نظرة علم اللغة الحديث إلى قضية الحقيقة والمجاز عن النظرة اللغوية عند القدماء ، فتصنيف الدلالات إلى دلالة حقيقية ودلالة مجازية يعكس تصوراً استاتيكياً (ثابتاً) للغة ، وكأن اللغة قد حددت معنى حقيقياً ثابتاً لكل لفظ من الألفاظ إن خرج عنه المعنى كان مجازاً . فكيف نعلم أصل الوضع ؟ وكيف نحدد المعنى الأصلي الأول لكلمة ما ؟ واللغة لم تصل إلينا في طور نشأتها ، بل بعد آلاف السنين من التداول الشفوي ، وهل لنا أن نتحدث عن أصل الوضع عند دراستنا لكلمة عربية دون أن نبحث الكلمة في اللغات السامية مستخرجين الصيغة السامية[1] .

ويرى فندريس أن المجاز وإن كان هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة ، إلا أنه سريعاً ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ عن طريق المجاز لايقل في حقيقته عن المعنى الأول الذي كان له . ونحن إذا أردنا أن نحدد معنى الكلمة أو معانيها ، فعلينا أن ننظر إلى استعمالاتها كما هي اليوم لا إلى تاريخها[2] . ويقول فندريس : (في التسليم بأن للكلمات معنى أساسياً ومعاني ثانوية صادرة عن الأصل إثارة لمسألة وجهة النظر التاريخية ، ووجهة النظر التاريخية تلك لا قيمة لها هنا[3]) .

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن شرط المجاز ، هو أن يثير عند سماعه دهشة أو غرابة . وقد جعلوا هذا مقياساً للفصل بين ماهو حقيقة وبين ماهو مجاز وتبعاً لهذا ، فليس من المجاز عند هؤلاء ، تلك الأساليب التي تنوسيت فيها الناحية المجازية وأصبحت من الشيوع والدوران بحيث لا تثير في الذهن دهشة أو غرابة كما في طلعت الشمس وركب المخاطر[4] . ففصل ما بين

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٨٥ وانظر علم اللغة العربية ص .

(٢) اللغة ص ٢٢٨ .

(٣) اللغة ص ٢٢٩ ، وانظر دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ص ١١٣ .

(٤) في اللهجات العربية ص ١٨١ ، ١٨٢ .

الحقيقة والمجاز فى دلالة مثل هذه الألفاظ هو شعور الناس ، وذلك أن إطلاق اللفظ هو تسمية غير مباشرة أو نوع من التشبيه أو المجاز لمناسبة بينهما[1] وعلى الرغم من أهمية نظرة المحدثين إلى الحقيقة والمجاز ، فقد وافقوا القدامى فى مسألة انتقال المجاز إلى الحقيقة . يقول الدكتور إبراهيم أنيس : وحين تمر الأيام على تلك المجازات ويكثر استعمالها ، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها ، وتصبح معانيها حقيقية[2] . ويقول الدكتور محمد مبارك : إن استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون فى بادئ الأمر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية[3] .

ومما تقدم يتضح أنه ليس ثمة حد فاصل واضح كل الوضوح بين الحقيقية والمجاز ، ذلك أن هذه المسألة ذات طبيعة متغيرة ولهذا كثر الخلط بينهما . ولو تصفحنا المعاجم العربية لوجدنا أنها كثيراً ما تخلط بينهما ولا تنص على ذلك فى معظم الأحوال . بل إنها لم تعن بهذه الناحية لأنها لم تتبع الألفاظ تتبعاً تاريخياً بحسب تطورها من الحقيقة إلى المجاز ، هذا إذا استثنينا الزمخشرى الذى حاول فى معجمه (أساس البلاغة) أن يصنف الدلالات على أساس الحقيقة والمجاز وأن يعنى بالتفرقة بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية للكلمة وبدأ بالحقيقى منها ، فوقع فى عدة مآخذ بإرجاعه المعانى الحسية إلى المعنوية والصحيح هو العكس . كما عد المجاز حقيقة فى بعض الألفاظ ، ومن هذا اعتباره الكتابة بمعنى النسخ حقيقة وبمعنى الخرز مجازاً والصواب العكس . وقد اعترض على هذا المنهج فى التفرقة بأنه نظر إلى المعانى الحقيقية والمعانى

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ص ٢٢١ .

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٢١ ، وانظر دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٧-١٧٨ .

المجازية على أنها ثابتة ، مع أن الحقيقة والمجاز كثيراً ما يتبادلان مراكزهما ، وهما فى حركة دائبة وانتقال مستمر[1] .

وبالإضافة لما تقدم نجد أن الباحث اللغوى الحديث ، يلاقى قدراً غير يسير من الصعوبة فى الكشف عن الحقيقة والمجاز فى الألفاظ ، ومن ثَمَّ كثرة الخلط بينهما . وتتمثل هذه الصعوبة فى قول الدكتور إبراهيم السامرائى : (ولكن النظر فى المعجم العربى القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى الذى انتهت إليه المادة وخلصت له . وعلى هذا فإن المعنى الحقيقى صار من قبيل المواد المهجورة لعدم الحاجة إلى استعماله)[2] هذا ما يؤكد صعوبة الفصل بين الحقيقة والمجاز ومن ثم كثرة الخلط بينهما .

والذى يهمنا فى هذا البحث هو كون المجاز سبباً من أسباب الترادف فى كثير من الألفاظ وذلك فى ضوء انتقال المجاز إلى الحقيقة وصعوبة التفريق بينهما لأن البحث فى الأصول التاريخية لكثير من الألفاظ المترادفة ، يبين أنها فى حقيقتها لم تكن فى أغلب الأحيان أسماء أصيلة للشئ ، وإنما أطلقت عليه وسمى بها عن طريق المجاز . . . ولابد هنا من تفصيل القول فى هذا .

إن كثيراً من المسميات فى اللغة غالباً ما يعبر بأسماء مختلفة على سبيل المجاز وذلك لأسباب اجتماعية كثيرة كالعادات والتقاليد والآداب وكذلك لاعتبارات نفسية متنوعة كالتشاؤم والتفاؤل والحياء والخوف والحب وغير ذلك من العوامل التى تؤدى إلى تسمية الشئ تسمية مجازية بدلاً من التعبير عنه باسمه الحقيقى الصريح . وقد تكون الخرافة من تلك الأسباب ، خاصة فى تلك المجتمعات التى يسودها الاعتقاد بأن ذكر الشئ باسمه الصريح يؤدى إلى حضوره فيتحاشى الناس التلفظ بالكلمات الدالة على الأشياء المخيفة مستعيضين

(١) البحث اللغوى عند العرب د. أحمد مختار عمر ص ١٦٠ .

(٢) التطور اللغوى التاريخى د. إبراهيم السامرائى ص ٣٧ .

عنها بالكنايات[1] . وكثيراً ما يقع لدى المتوحشين أن يكون لبعض الألفاظ طابع السرية والخفاء يمنع بعض الأفراد من استعمالها . وليس هذا الأمر مقصوراً على الأقوام البدائية ، فأننا نجد فى تاريخ أكثر اللغات مدنية هناك حوادث من هذا القبيل لا تقل صرامة عما عند الأمم المتوحشة [2] . وتعرف هذه الظاهرة لدى المحدثين بتحريم المفردات « Taboo » وقد بيّن بعض علماء اللغة المحدثين دور الكناية والاستعارة فى تجديد المفردات وكثرتها وتنوعها للتعبير عن الشىء بسبب هذا التحريم . فالكناية ليست إلاّ صورة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات ، وإن أوضح إشارة للدلالة على التحريم الذى أصاب بعض الأفكار أو بعض الأشياء هو وجود الاستعارات ، كما يقول فندريس [3] .

ومهما يكن السبب الذى يكمن خلف التسمية المجازية والظرف اللغوى الخاص الذى استخدمت فيه أول مرة ، ومهما تكن الأسباب والاعتبارات المتباينة الى أدت إلى تسمية الشىء بأسماء مختلفة وإطلاق العديد عليه من الألفاظ على سبيل المجاز . فإنه بمرور الوقت يخلف الكثير من الأسماء المختلفة للشىء الواحد . إذ إن هذه الأسماء المجازية ، لطول العهد بها ولكثرة استخدامها وشيوعها ، تنسى فيها الناحية المجازية ، ثم تصبح دالة على المسمى دلالة حقيقية لا مجازية ، بل إن دلالتها عليها أقرب إلى الذهن من دلالتها الأصلية لشيوع المعنى الجديد وانتشاره بعد طول العهد بهذا الاستعمال [4] . وهكذا يصبح فى آخر الأمر العديد من الأسماء المترادفة للمسمى الواحد . ولهذا كان المجاز سببًا مهمًا من أسباب ترادف الألفاظ .

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، وانظر دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٢٢ .

(٢) دور ا لكلمة فى اللغة ص ١٧٤ ، وانظر اللغة لفندريس ص ٢٨١ .

(٣) اللغة ص ٢٨٠ - ٢٨٢ ، وانظر : علم اللغة العربية د. حجازى ص ١٥ - ١٦ .

(٤) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٢١ .

وهذا ما عبر عنه بعض المحدثين «بالمجازات المنسية» (1) ويبدو أن هذا التعبير غير دقيق لأن المجاز نفسه ليس سببًا للترادف ما لم يتحول إلى حقيقة بفعل الاستعمال ، ولأن انتقال المجاز إلى الحقيقة هو السبب المباشر فى حدوث الترادف ، وإن كان باستطاعة الباحث أحيانًا أن يكشف التسمية المجازية ويميزها من التسمية الحقيقية . إذ لاقيمة هنا للصفة المجازية فى الألفاظ سواء أكانت معروفة أم مجهولة . فتلك مسألة تاريخية ، والمستعمل للغة لايعنيه استخدام هذه الألفاظ مجازًا أم حقيقة بقدر ما تعنيه دلالتها الحالية .

ولاشك أن الاستعمال غالبًا مايجهل التفرقة بين الحقيقة والمجاز فى كثير من ألفاظ اللغة . وذلك ماذهب إليه فندريس فى تأكيده أن المعنى الجديد للكلمة الذى اكتسبته عن طريق الاستعارة قد أبعدها عن معناها الأصلى القديم ، وهذه الاستعارة مسألة تاريخية فى حياة الألفاظ ، لايقصدها المتكلم فى استعماله للألفاظ بمعناها الجديد . وقد مثّل فندريس لهذا الأمر بقوله : (قد يعترض معترض فيقول بأنه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بأن كلمة (ريشة) استعارة ولكن هذه اللحظة لم تظل ، فأية كلمة فى اللغة الجارية ليس لها إلاّ معنى واحد فى الوقت الواحد . إذ لما كانت ريشة الأوزة تستعمل فى الكتابة ، كان الذى قال «أخذت ريشتى لأكتب كلمة» قد استعمل كلمة ريشة بمعنى أداة للكتابة ولم يقصد استعمال استعارة ، وسامعه لم يقدر غير هذا التقدير) (2) . وهذا ما يؤكد أن التسمية المجازية لاتقل أهمية عن التسمية الحقيقية من حيث الدلالة على الشىء . . . . على أنه لايجوز اعتبار كل مجاز مسببًا للترادف على وجه الإطلاق فقد يعترض على هذا القول بأن من شروط الترادف لايكون

---

(1) اللغة ، فندريس ص ٢٢٩ .

(2) اللغة ، فندريس ص ٢٢٩ .

مجازاً . وللجواب على هذا القول أن ذلك مقيد بما قدمنا من صيرورة المجاز حقيقة واختفاء الناحية المجازية فى التسمية تماماً ، أو أننا نجهل أن هذا الاسم مجاز فى الشىء وذاك حقيقة فيه . فالاسم الذى كان يدل على مسماه مجازاً ثم يشاع استعماله حتى صار دالاً عليه دلالة اسمه الحقيقى الصريح هو الذى نعنيه هنا سبباً للترادف فما دامت مثل هذه الألفاظ قد أصبحت تدل على شىء واحد دلالة مباشرة ، دون أن نلمح فيها أى أثر مجازى ، فلا مانع حينئذ ، فى مثل هذه الحالة من التسليم بترادفها . وعلى أساس المجاز الذى صار حقيقة ، نفسر الكثير من الألفاظ المترادفة ، فإن التأمل فى طائفة كبيرة من المترادفات والتحقيق فيها من الناحية التاريخية ، يبين لنا بوضوح أنها فى حقيقتها ، ليست اسماً أصيلاً للشىء ، وإنما أطلقت عليه مجازاً أول الأمر ، ولما كان كثير من هذه الأسماء المجازية قد استقر مجازه مكان حقيقته فى أذهان الناس بعد أن مكّن الاستعمال له فقد أصبحت تدل على الشىء دلالة مباشرة حقيقية كدلالة اسمه الأصيل ، وبذلك صارت مترادفة . ومن أمثلة ذلك ترادف الوغى والحرب «والوغى فى الأصل اختلاط الأصوات فى الحرب ، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى» بنص ابن دريد [1] . وتسمية الحرب وغى هى من المجاز المرسل لعلاقة المسبب ، وذلك لأن الحرب مسببة لاختلاط الأصوات وعن طريق المجاز المرسل أيضاً نفسر ترادف الرواية والمزادة . إذ إن «الراوية هو البعير أوالحمار الذى يستقى عليه الماء» ، «والمزادة هى الوعاء الذى يكون فيه الماء [2] وبسبب المجاورة فى المكان انتقل معنى الرواية من الدابة التى يستقى عليها إلى المزادة . فصارت الكلمتان بمعنى واحد . وغنى عن البيان أن المجاورة

---

(١) الجمهرة لابن دريد جـ٣ ص ٤٣٢ .

(٢) اللسان مادة (روى) جـ١ ص ٣٤٧ .

هى إحدى علاقات المجاز المرسل ، والعرب تسمى الشىء باسم غيره إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب على حد تعبير ابن قتيبة (١) . وعلى هذا النحو نفسر قول ابن دريد : (والراوية : البعير الذى يستقى عليه ثم صارت المزادة راوية) (٢) . ويبدو أن تسمية المزادة راوية قديم ، وذلك بدلالة ملاحظة ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) لهذا الاستعمال والحكم عليه بالخطأ لأنه بخلاف الأصل ، جاعلاً إياه من باب مايضعه الناس فى غير موضعه ، حيث يقول : (وتقول : هى المزادة ، للتى يستقى فيها الماء ولاتقل راوية ، إنما الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذى يحمل عليه الماء) (٣) كما لاحظ ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) أن الناس يستعملون الراوية بمعنى المزادة ، إلا أنه لم يقل بتخطئته . وقد فسره بقوله : (وقولهم للمزادة راوية ، والراوية البعير الذى يستقى عليه الماء ، فسمى الوعاء راوية باسم البعير الذى يحمله) (٤) ، وقد صوبه أبو بكر الزبيدى (ت٣٧٩هـ) على وجه تسمية الشىء بما قرب منه وماكان من سببه (٥) . كذلك جوزه الجوهرى (ت٣٩٣هـ) على سبيل الاستعارة بقوله (والعامة تسمى المزادة : راوية (٦) وذلك جائز على سبيل الاستعارة . وذلك مذهب ابن السكيت فى القول بالتخطئة ، على الرغم من اعترافه بأن الناس يسمون المزادة راوية (٧) .

---

(١) ادب الكاتب ص ٢١ .

(٢) الجمهرة جـ٣ ص ٤٣٣ .

(٣) اصلاح المنطق ، ابن السكيت ص ٣٣١ .

(٤) ادب الكاتب ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) لحن العوام للزبيدى ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

(٦) الصحاح مادة (روى) جـ٦ ص ٢٣٦٤ .

(٧) تقويم اللسان ص ١٣٢ ..

إن هذا التباين فى المواقف المتمثل بالجواز والإنكار إزاء استعمال الراوية مرادفة للمزادة بسبب (التغير) الدلالى ، إنما هو ناتج عن اختلاف اللغويين فى مقياس الصواب اللغوى من حيث التوسع والأخذ بالمعنى الجديد أو رفضه والمحافظة على المعنى القديم ومهما يكن موقف المنكرين المتشدد ، فلاشك أن فى إطلاق الراوية على المزادة مجازاً مرسلاً وهو أشهر من أن يستدل عليه . . . وهذا ما تؤكده الدراسات اللغوية الحديثة (١) ومن المعلوم أن المجاز المرسل صورة من صور التغير الدلالى الواضحة .

(٥)

لعل من الأمثلة الواضحة على حدوث الترادف بسبب المجاز ما نجده فى ترادف الألفاظ الكثيرة على الداهية (٢) وقد تناولنا بالدراسة جملة من هذه الألفاظ لتكون مثالاً نبين فيه ما للمجاز من أثر كبير فى ترادف الألفاظ . فلو تأملنا هذه الألفاظ الكثيرة التى عدت مرادفات للداهية لتبين لنا أن أغلبها ليس بالأسماء الأصلية للداهية ، وإنما استعيرة للدلالة عليها لمناسبة ما . فقد أطلق على الداهية الكثير من الأسماء المختلفة على سبيل المجاز ، وكنى عنها بالعديد من الألفاظ لأغراض مختلفة ووجوه متفاوتة ، بدلاً من التعبير عنها باسمها الحقيقى الصريح . ولما كثر استعمال تلك الأسماء المجازية فى معنى الداهية وطال العهد بها ، اختفت معانيها الأصلية أو كادت تجهل ، فانتقلت إلى الدلالة على الداهية حتى صارت حقيقية فيها ، لا يلحظ أى أثر للمجاز فيها . فمن أسماء الداهية التى ترادفت على هذا النحو مثلاً : «النيّرب» التى أصلها

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ، فصل الدواهى ص ٣٠٩ ، والمخصص لابن سيده جـ١٢ ص ١٣٦ - ١٤٧ .

النميمة . يقول ابن دريد : «رجل ذونيرب ، أى ذو نميمة وأصله فيما يزعم بعض أهل اللغة من النرب ، والياء زائدة ، وربما سميت الداهية نيربا» [1] .

وجاء في اللسان : النيرب هو الشر والنميمة ، ونيرب الرجل : سعى ونم ، ورجل نيرب وذونيرب أى ذو شر ونميمة ، وامرأة نيربة ، والنيربة النميمة [2] وفى ضوء العلاقة بين المدلولين يمكن أن نفسر تسمية الداهية نيربًا بالمجاز المرسل الذى علاقته السببية ، وذلك باعتبار النميمة سببًا للداهية . ومن مرادفات الداهية : أم حبوكر أو حبوكرى أو حبوكران . وتلقى منها أم فيقال وقع فى حبوكر . ويقال جاء فلان بأم حبوكرى أى الداهية (وأصله الرّملة التى يضلّ فيها ، ثم صرفت إلى الدواهى) على حد قول ابن السكيت [3] . وهذا الترادف يمكن تفسيره أيضًا بالمجاز المرسل للعلاقة السببية بين الدلالتين وذلك باعتبار العلاقة المكانية بين الدلالتين وهنا يتضح تأثير التغير الدلالى فى هذه المترادفات .

ومن أسماء الداهية : «الفاقرة» يقال : عمل به الفاقرة أى الداهية . وقد جاءت فى قوله تعالى : ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [4] . قال أبو اسحق فى معناها : «توقن أن يفعل بها داهية من العذاب ونحو ذلك» وأصل «الفاقرة من الفقر وهو الوسم الذى يفقر الأنف» ، وهى إذلال البعير وترويضه من قولهم : «قد فقرت أنف البعير أفقره ، إذا حززته بحديد أو مروة ثم وضعت على موضع الحزّ الجرير وعليه وتر ملوىّ لتذله به وتروضه . ومنه قيل : عمل

---

(١) الجمهرة : جـ١ ص ٢٧٧ ، والمزهر جـ١ ص ٤٣٢ .

(٢) اللسان مادة (نيرب) جـ٣ ص ٧٥٥ .

(٣) المخصص : جـ١٢ ص ١٤٤ ، واللسان مادة (خبكر) جـ١ ص ١٦٢ ، وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى جـ١ ص ٤٧ .

(٤) سورة القيامة : آية ٢٥ .

به الفاقرة ، بمعنى الداهية [1] ومما تقدم نجد أن دلالة الكلمة انتقلت من المجال المادى إلى المجال المعنوى لوجود علاقة بين الدلالتين وهى «الحز» وواضح أن فى تسمية الداهية فاقرة مجازاً علاقته المشابهة ، أى أنهم شبهوا الداهية بالفاقرة التى تعمل فى أنف البعير . ومن أسمائها : «عرق القربة» يقال لقى منه عرق القربة أى أمراً شديداً [2] .

ولأهل اللغة آراء مختلفة بشأن هذه التسمية والأصل فيها . قال الكسائى عرق القربة أى يقول نصبت لك وتكلفت وتعبت حتى عرقت كعرق القربة ، وعرقها سيلان مائها . وقال أبو عبيدة : تكلفت إليك مالا يبلغه أحد حتى تجشمت مالا يكون لأن القربة لاتعرق . وقال الأصمعى عرق القربة معناها الشدة ولا أدرى ما أصله . وقيل أراد أنى قصدتك وسافرت إليك واحتجت إلى عرق القربة وهو ماؤها . وقيل : لقيت منه عرق القربة أى شدة ومشقة ، معناه أن القربة إذا عرقت وهى مدهونة خبث ريحها . وقال ابن الأعرابى : كلفت إليك عرق القربة وعلق القربة ، فأما عرقها فعرقك بها عن جهد حملها ، وذلك لأن أشد الأعمال عندهم السقى . وقال الجوهرى فيها : العرق إنما هو للرجل لا للقربة ، وأصله أن القرب إنما تحملها الأماء الزوافر ومن لامعين له ، وربما افتقر الرجل الكريم واحتاج إلى حملها بنفسه فيعرف لما يلحقه من المشقة والحياء من الناس ، فيقال : تجشمت لك عرق القربة . وقيل غير ذلك [3] وأيًا كان السبب فى هذه التسمية فهى ليست حقيقية وذلك بدلالة ماجاء فى اللسان من أن العرق هو ماجرى من أصول الشعر من ماء الجلد ، هو

---

(1) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٥١ .

(2) اللسان مادة (فقر) جـ٢ ص ٦٤٢ .

(3) اللسان مادة (عرق) جـ٣ ص ٢٤ ، وينظر مجمع الأمثال للميدانى جـ١ ص ١٤٧ .

فى الحيوان أصل وفيما سواه مستعار [١] . ومن أسمائها : «الصل» وأصله الحية التى تقتل من ساعتها ، وقيل الحية التى لاتنفع فيها الرّقية [٢] .

وعلى هذا تكون تسمية الداهية بالصل مجازاً علاقته المشابهة ومن أسمائها «ابنة الجبل» يقال : صمى ابنة الجبل ، أى اخرسى أيتها الداهية ، وأصلها الحية أيضًا ، لأن الجبل مأواها . وقيل إن الأصل فى «ابنة الجبل الحية التى لاتجيب الراقى» وقيل للداهية : ابنة الجبل لأنها تثقل كأنها جبل . وقيل إن ابنة الجبل هى الصدى ، وهو الصوت الذى يرجع إليك من الجبل . وقيل غير ذلك [٣] ومما تقدم نجد أن السبب فى تسمية الداهية بهذا الاسم هو إما تشبيه لها بالحية أو بالجبل لثقله .

ويقال للداهية : تُغَلّس « وتروى تُغْلُس» يقال سقط فلان فى تُغْلُس وهى الداهية والغَلَس هو ظلمة الليل إذا اختلطت بضوء الصباح . وقد كانت الغارات تقع بغلس أى بكرة . وعلى هذا تكون تسمية الداهية بهذا الاسم على سبيل المجاز المرسل الذى علاقته الزمانية ، وأما إذا كان «تُعلس» اسم واد كما قيل ، فتكون علاقة المجاز عندئذ المكانية [٤] .

ويقال للداهية : «أُغْوِيَّة» ومنه قولهم : وقع فلان فى اغْوِيَّة ، أى فى داهية والأغوية كالمغوّاة وهى حفرة كالزُّبْيَة تحتفر للذئب ويجعل فيها جدى ، إذا نظر الذئب إليه سقط عليه ، يريده فيصاد ، وفى الأمثال من حفرة مغواة وقع فيها ، ومن هذا قيل لكل مَهْلَكة مُغَوَّاة على التشبيه [٥] .

---

(١) اللسان مادة (عرق) جـ٣ ص ٢٥ .

(٢) اللسان مادة (صلل) جـ٢ ص ٢٨٥ ، وينظر مجمع الأمثال : جـ١ ص ٢٧ .

(٣) اللسان مادة (جبل) جـ١ ص ١٩٧ ، وينظر جمهرة الأمثال للعسكرى جـ١ ص ٤١ ، ص ٢١٤ .

(٤) اللسان مادة (غلس) جـ٢ ص ١٥٦ ، ومادة (تغلس) ، ص ٣٣ .

(٥) اللسان مادة (غوى) جـ٢ ص ١٤١ ، وينظر : جمهرة الأمثال للعسكرى جـ٢ ص ٢٨٩ .

ويقال للداهية «الزِّبير» يقال جاء بالزبير أى بالداهية . وأصل الزبرة : الشعر الذى بين كتفى الأسد . وقيل : هو شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد وفى مرفقيه ، وكل شعر يكون كذلك مجتمعًا فهو زُبْرَة [1] وتسمية الداهية زبيراً استعارة ، والعلاقة بين الدلالتين كما هو واضح الشدة أو القوة لأنه يقال للرجل الشديد القوى الزبير والزبر [2] .

ومن أسماء الداهية التى ترويها كتب اللغة «القِنْطِر والقِنْطير» يقال جاء فلان بالقنطر أو بالقنطير أى بالداهية . ولم نستدل على أصلها ، ولعلها من قطر بمعنى رماه على قطريه أى جانبيه حيث يقال : طعنه فقطره ، أى ألقاه على قطره أى جانبه ، فتقطر أى سقط ، ثم استعيرت للداهية باعتبار أنها تقطر بصاحبها [3] .

ومن أسمائها «ثالثة الأَيفى» يقال : رماه الله بثالثة الأثافى ، أى بالداهية وقد سميت بها على الاستعارة ، ذلك أن حقيقة «ثالثة الأثَافى» هى الجبل أو القطعة منه ، شبهت الداهية به ، قال ابن كيسان : سألت أبا العباس عن ثالثة الأثافى فقال : الجبل تجعل صخرتان إلى جانبه وتنصب عليه وعليهما القدر ، فهو ثالث للثُفَيَّتَين اللتين جعلتا إلى جنبه وهو أعظم الأثافى [4] . وقال الميدانى بشأن قولهم : رماه الله بثالثة الأثافى ، أنه يضرب لمن رمى بداهية عظيمة ، لأن الأثافى ثلاثة أحجار ، فإذا رماه بالثالثة وهى القطعة من الجبل فقد بلغ النهاية [4] ، والعلاقة هنا بين الدلالتين واضحة هى الهلاك أو الثقل الشديد . ومن أسماء الداهية «الفَلِيقَة» وفيها عدة صور لفظية . يقال جاء بالفليقة أى

---

(١) اللسان مادة (زبر) جـ١ ص ٣١٦ .

(٢) كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت : ص ٤٣٢ .

(٣) اللسان مادة (قطر) جـ٣ ص ٦ ، ومادة (قنطر) ص ١٨ .

(٤) مجمع الأمثال جـ١ ص ٢٨٧ ، وينظر جمهرة الأمثال جـ١ ص ٤٧٨ ، ص ٤٧٩ .

بالداهية . وتقـول العرب أيضًا : ياللفليقة بمعنى الداهية [1] .وأصلها الكتيبة العظيمة . وقـيل : هى الكثيرة السلام . وقيل : هى ا لجيش العظيم [2] وكل هذه الـصور متقـاربة فى المـعنى ، ومن الـواضح أن فى إطـلاق هذه اللفـظة «الفليقة» على الداهية استعارة علاقـتها المشابهة لارتباط هذه الدلالات بجزء من المعنى وهو القوة والكثرة .

وهنـاك الـكثير من الألفـاظ الأخرى التى سميت بـهـا الداهية عـلـى هذا النحو ، ثم صارت أعلامًا لـها نتيجة التغير الدلالى . وقد نـص بعض اللغويين القدامى على طائفة منها بأنها كنى للداهية [3] .

يتضح مما تقدم مـن هذه الدراسة أن معظم مرادفات الداهية لـيست أصيلة من حيث الدلالة عليها ، وإنما سميت بـهـا على سبيل المجاز والكناية ، وما إلى ذلك من وجوه التجوز فى تسمية الشيء ، ولـكثرة الاستعمال وغلبته ، تنوسى الأصل فى هذه الأسماء حـتى صارت حقيقة فى الداهية . وإذا كـان باستطاعة البحث اللـغوى التاريخى أن يكشف لـنا الصفة المجازية فى طائـفة من الأسماء التى أطلقت على الداهـية ، مبينًا سبل انتقالها وتغيرها من معـانيها الحقيقة إلى معنى الداهـية ، فثمة أسماء أخرى للداهـية يتعذر بيان ذلك فيـها ، إذ يصعب تعرف الوجوه والسبل التى سوغت انتقالها من معانيها الأصلية إلى الدلالة على الداهية وذلـك أن اللغويين غالـبًا ما يسوقون الألفاظ الـكثيرة على أنـها أسماء للداهية ويستشهدون بالنصوص الـلغوية على ذلك دون بيان الأصل فيها ، وإن أشاروا إليه أحيانًا ، فيبدو بعيدًا عن معنى الداهية ، إذ إنهم لايوضحون العلاقة بين ذلك المـعنى والداهيـة ولاسبل انتقالـه إليها . ولهـذا لايمكن فى كثـير من

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ٣٠٩ واللسان مادة فلق جـ٢ ص ٣١١ .

(٢) اللسان مادة فلق جـ٢ ص ٣١٢ .

(٣) الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للأصفهانى جـ٢ ص ٤٨٥ تحقيق عبد المجيد قطامش .

الأحيان أن نوجه المناسبة فى استعارة هذه الألفاظ للداهية . وكما أنّ كتب اللغة ومعاجمها القديمة لاتشير إلى التوصل إلى هذا المعنى المجازى ، ولا إلى الظروف أو الحال الذى يسر هذا الانتقال من الحقيقة إلى المجازة والنظر فى المعجم العربى القديم لايبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى الذى انتهت إليه المادة وخلصت له [1] . ويضاف إلى هذا أن البحث فى أصول تلك الألفاظ التى سميت بها الداهية وتنوسيت فيها لصفة المجازية أمر ليس باليسير ذلك أنه يتطلب التوغل فى العصور التاريخية والاطلاع على تلك الظروف اللغوية السحيقة ، والبحث فى الحياة الاجتماعية والحضارية من أجل معرفة طريقة انتقال ، لنتوصل إلى أن هذه الأسماء للداهية وغيرها التى تبدو لنا حقيقة فيها ، قد كانت فى بدء استعمالها فى الداهية مجازاً . وهذا مانجهل فيه الكثير ، ولهذا كله أصبحنا نجد طائفة من الأسماء التى أطلقت للدلالة على كل داهية من غير أن نستدل على أصلها فى بعض الأحيان . إن عرفنا أصل بعضها أحيانًا فإن ذلك يبدو بعيداً عن معنى الداهية بالنسبة للوقت الحالى . ومن المؤكد أننا لانرتاب فى أصالة الكثير من أسماء الداهية ولكن نجهل أصلها الحقيقى وطريقة انتقال دلالة هذه الأسماء إلى الدلالة على الداهية . يضاف إلى ذلك عدم المعرفة بالظرف اللغوى - أو الاستخدام اللغوى الذى تسبب فى هذا الانتقال [2] . من أجل لك تعددت تفسيرات اللغويين واختلفت فى إطلاق طائفة من الأسماء على الداهية .

مما تقدم نستطيع أن نتبين دور المجار وأثره فى حدوث المرادفات الكثيرة للداهية . وذلك أن الداهية هى أسماء المعنى وليست شيئا مادياً يمكن تشخيصه بالحواس كما هو الحال فى أسماء الذات ، وأن هذه الألفاظ الكثيرة التى سميت

(١) التطور اللغوى التاريخى د. إبراهيم السامرائى ص ٣٧ .

(٢) انظر - ايضًا - اللسان مادة (عرف) جـ٢ ص ٢٤١ ، ومادة (فور) جـ١ ص ٢٤ .

بها الداهية ، كانت فى الأصل ذات مدلولات حسية مادية كما مرً فى الأمثلة السابقة ، ومما لاشك فيه أن ضرب انتقال دلالة اللفظ من المجال المادى إلى المجال المعنوى المجرد إنما هو ضرب المجاز . لأن الدلالة المادية للفظ هى الأصل والحقيقة فيه ، وما سواها من المعاني تغير دلالى له . وتعد هذه الحقيقة من بديهات علم اللغة الحديث . كما يقول استيفن اولما فى كيفية تغيير المعنى . (ومن المناخ الشائعة للاستعارة استخدام الكلمات ذات المعانى المادية للدلالة على المعانى المجردة) [1] . فالمجاز لايفسر حدوث الترادف فحسب وإنما يعلل أيضًا كثرته إلى حد كبير ، وأوضح مثال على ذلك فى نشأة المرادفات الكثيرة للداهية . ولهذا السبب كثرت أسماء الداهية فى العربية إلى الحد الذى بلغت فيه مئات الألفاظ [2] . على أنه يمكن تفسير هذه الكثرة بطبيعة المسمى (الداهية) ووقعه فى نفوسهم ، وبطبيعة الحياة العربية القاسية آنذاك التى يتعرضون فيها لمختلف الحوادث والظواهر الطبيعية المؤذية والقاتلة أحيانًا . إن الحرب داهية وكذلك الغزو والثأر والموت والكوارث الطبيعية والقحط والجوع والسنة المجدبة وقلة المطر والكلأ وكل ما يثير الخوف ويسبب الأذى . ومن الدواهى فى بيئتهم أيضًا بعض صنوف الحيوان وبعض أشكال الأرض كأن تكون مضللة أو صعبة المرتقى أو لا منفذ لها ، أو لاتنبت شيئًا ، وكذلك ضروب من الحيات والأفاعى السامة والقاتلة إلى غيرها من معالم وشخوص بيئتهم المادية التى أطلقوها على الداهية لصلة ما بينهما . ولهذا كثيرًا ما نجد الخلط والتداخل بين هذه المسميات والداهية ، ولاسيما بينها وبين أسماء الحية والحرب والحيوان القاتل والصحراء وغيرها وذلك بسبب العلاقة بين مدلولات هذه المسميات والداهية مما جعلتهم

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٦٦ .

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ص ٣٠٩ ، وانظر المزهر للسيوطى جـ١ ص ٣٢٥ ، وانباه الرواة للقفطى جـ١ ص ٣٣٥ .

يستعيرون بعضها للدلالة على الداهية غير أن الدلالة المادية لهذه الأسماء يعتبر ما استعمل بمعنى الداهية ما هو إلا مجازاً . وهذه الكثرة فى المترادفات للداهية تعبر عن نظرة العرب الحسية إلى مسمى كالداهية ، وتكشف عن نمط من تفكيرهم وعاداتهم ومجرى حياتهم وما فيها من ظواهر وحوادث وهى كذلك توضح صورة اللغة وعلاقتها بالبيئة المادية . وقد تأثر استخدامهم اللغوى بكل هذه المظاهر الطبيعية والحياتية اليومية ، فاستعاروا من بيئتهم المادية الصحراوية ومعالمها الاجتماعية كثيراً من أسماء شخوصها وأعيانها ، وكنوا بها عن الداهية أول الأمر ، ثم صارت أعلاماً لها فيما بعد ، وهذا ما يفصح عن طريقة العرب الأقدمين فى إطلاق العلم والشهرة وعن طبيعة تصورهم للداهية ، وهو ما أشار إليه الدكتور إبراهيم السامرائى فى تعليقه على مترادفات الداهية التى ذكرها ابن الأثير فى كتابه (المرصع) ، بقوله (إننا على سبيل المثال نتبين من الكتاب كيف تصور العرب «الداهية» هذا الكيان المعمى المجهول الذى تخيلوه على هيئات مختلفة . فهو تارة إنسى وأخرى حيوانى وطوراً شىء آخر من شخوص الطبيعة الحية)[١]

ومما ينبغى ذكره أن هذه الأسماء ليست جميعها مترادفة بالمعنى الواضح للترادف . فنشأة المترادفات الدالة على الداهية فى العربية وكثرتها بسبب المجاز يماثلها حدوث المترادفات فى لغات أخرى ، ففى اللغة الإنكليزية هناك عدد من المترادفات التى تدل على الموت بسبب المجاز أيضاً مع الفارق فى الكثرة بالنسبة إلى اللغة العربية [٢] فقد ذكر استيفن أو لمان أن ثمة موضوعات معينة تكون مراكز لتجمع المترادفات حولها بسبب أهميتها فى المجتمع والحياة ، ومثّل لهذا

(١) التطور اللغوى التاريخى ص ٤٠ .

(٢) المخصص لابن سيده جـ٦ ص ١١٩ - ١٢١ .

بعدة مسميات فى الإنكليزية والفرنسية مما له مجاميع من المترادفات كفكرة (الموت) التى وصفها بأنها مركز دائم لجذب الترادف بسبب أهميتها .

ثم أشار بعد ذلك إلى دور المجاز والكناية فى مجموعة المترادفات الدالة على هذا المعنى موضحًا قوله بالأمثلة [١] . وقد علل كثرة مرادفات الموت حين قال (والواقع أن الثروة الطائلة من المترادفات التى ولدتها جميع اللغات لتخفيف صدمة الموت ووقعه على النفس إنما ترجع إلى هذا القانون : «الاستهلاك بكثرة الاستعمال» والحاجة الدائمة إلى التجديد . وليس دور هذا القانون فى هذا المضمار بأقل من دور الموت نفسه ، ذلك المجال الذى يضطرنا إلى التنويع والتجديد فى اصطلاحاته بسبب ماله من تأثير عاطفى [٢] .

ولا يقتصر المجاز فى تفسير حدوث مترادفات الداهية والموت بل يفسر أيضًا طائفة أخرى من المترادفات لمسميات نحو الذئب والأسد والحية والحرب والزوجة والصحراء والجمل والعسل وغير ذلك ، وأكثر ما يتضح هذا السبب فى الأسماء المترادفة الدالة على الجنس وما يتصل به . إذ أنه يفسر الترادف لكثير من هذه الألفاظ تبعًا للتسمية المجازية وصيرورتها إلى حقيقة بفعل الاستعمال . وذلك أن معظم هذه الألفاظ المترادفة إنما هى فى الأصل مجاز أو كناية يشيع وينتشر على ألسنة الناس حتى يصبح حقيقة ، ثم يسمى بمجاز آخر حتى يعود حقيقة فى المسمى أيضًا .

وهكذا تتعدد الألفاظ للمسمى الجنسى فتنشأ من بعد مجموعة من المترادفات التى تدل عليه . ويرجع ذلك إلى أن المعانى الجنسية ومسمياتها مما يتحرج الناس فى التعبير عنها بأسمائها الصريحة الموضوعة لها ، مراعاة للآداب الاجتماعية

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص ١٧٨ .

والاعتبارات الأخلاقية . ولهذا يلجأ إلى المجاز فى التسمية وتستبدل الكناية باللفظ الصريح . ثم تنسى الصفة المجازية بمرور الزمن فى هذه الأسماء وتصير حقيقة فى الشىء المسمى لكثرة استعماله . ويوضح هذا القول ما حكاه أبو حيان التوحيدى فى مثالبه عن ابن فارس [1] .

وقد وقعت الكناية عن الأمور الجنسية وما يستقبح ذكره صراحة ، فى القرآن الكريم ، حيث عدل عن التصريح بها بأسمائها المعروفة المباشرة إلى الكناية عنها فى عدة مواضع [2] وفى اللغة نجد الشىء الكثير من هذا حيث العديد من الألفاظ للشىء الواحد لهذا السبب ولاسيما الجنس وما يستقبح ذكره حياءً أو خوفًا [3] ومن هذا كله يتضح لنا السبب الحقيقى فى كثرة الأسماء المترادفة الدالة على الجنس التى حفلت بها المعجمات وكتب اللغة والتى بلغت العشرات للمعنى الواحد وربما المئات . وبمثل هذا يمكن أن نفسر ترادف الأسماء التى يتخوف منها أو يستقبح ذكرها صراحة أو كل ما يستحب فيه الكناية والتلميح لأسباب اجتماعية أو نفسية مختلفة كالحب والحياء والخوف والتشاؤم والتفاؤل وغيرها من الأسباب التى تحمل الناس على التسمية المجازية . ولهذا كثرت الأسماء التى تدل على الصحراء و الأعمى والموت والمصائب وبعض أنواع الحيوان وكل مايفر منه الإنسان [illegible] يعدل عن التصريح به إلى الكناية عنه ثم ترادفت تلك الأسماء بحكم ظاهرة التغير الدلالى ، وهذا ما يؤكد عدم أصالة بعض المترادفات التى نشأت على هذا النحو ، ولقد ذهب عدد من اللغويين المحدثين العرب إلى حدوث الترادف بسبب المجاز والاستعارة لكنهم لم يربطوا ذلك بظاهرة التغير الدلالى ولم يبينوا علاقة العوامل الاجتماعية والنفسية وأثرها

---

(١) مثالب الوزيرين لأبى حيان التوحيدى ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) سورة النساء آية ٤٣ وانظر سورة الأنفال آية ٥٠ .

(٣) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٤٣ .

فى هذا السبب ، وأن من أشار منهم إلى التـغير الدلالى لم يجعله صراحة من أسباب نشأة الترادف فى اللغة [1] ، على حين أن بعضهم قد أغفله تمامًا [2] .

ومن المحدثين الأجانب من تطرق إلى هـذا الموضوع فقد أشار فندريس فى مواضع عديدة من كتابـه اللغة مؤكدًا دور الاستعارة والكناية فى تـعدد ا لتسمية بسبب العوامل الاجتماعية والنفسية [3] . وذهب استيفن أولمان إلى هذا السبب صراحة فـى الفصل الذى عـقده لدراسة الترادف فـى طائفة من الـلغات [4] . وحين عـرض لتغيـر المعنى قـال أولمان : «أن هناك حـالات أخرى لاحصر لـها يكون تغيير المعنى فيها غير مرتبط بأيـة حاجة عملية ، حيث لايعمل هذا التغيير على سد الـنقص الموجود فى الـثروة اللفظية ، وإنمـا يضيف أمثلـة جديدة إلى المترادفات الموجودات بالفعل [5] » .

وفيما يتـعلق بحقيقة ترادف الألفـاظ فى ضوء ظاهرة التغير الدلالـى ينبغى القول إنه لو نظرنا إلى هذه القضية نـظرة تاريخية آخذين بعين الاعتبار الأصول التاريخية لدلالات هذه المترادفات فإنـنا نجد الترادف فى هذه الألفاظ غير واضح تمام الوضوح أما إذا تفحـصنا هذه الألفاظ بمنظار الوصفية آخذيـن بنظر الاعتبار ما وصلت إليه هـذه الألفاظ من دلالات فإننا نجد حتمًا حقيـقة ترادفها . وهذا يعنـى أن حقيقة ظـاهرة الترادف تظـهر بوضوح مـن خلال المنهج الـوصفى . فالباحث اللغـوى يستطيع أن يدرس ظاهرة الترادف فى أية لـغة دراسة صحيحة

---

(١) انظر : الأضداد فى اللغة ، محمد حسين آل ياسين ص ٣٠ ، ٣٧ ، وعلم اللغة د. على عبد الواحد وافى ص ٢٣٩ ، وفقه الـلغة وخـصائص العـربية ، مـحمد مـبارك ص ٢١٥ ، ص ٢١٧ ، وفى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص ١٩٦ وما بعدها .

(٢) فصول فى فقه اللغة : رمضان عبد التواب ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٣) اللغة : فندريس ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٤) دور الكلمة فى اللغة ص ١٤٩ ، ١٥١ .

(٥) دور الكلمة فى اللغة ص ١٥٢ .

فى ضوء المنهج الوصفى . قد يخبرنا علماء اللغة من المشتغلين فى الأصول التاريخية للكلمات أن هناك فروقًا فى الدلالة بين الألفاظ المترادفة بحسب الأصل ، غير أن هذه النظرة قد تكون صحيحة تاريخيًا ، ولكن أهميتها قليلة الفائدة فى موضوعنا هذا ، لأن مستخدم اللغة لايدرك الأصل التاريخى لهذه الكلمات كما أن (من المقرر أن وصف آية حالة معينة من حالات اللغة يجب أن يكون دائمًا بمعزل عن مسألة الرجوع إلى الأصول التاريخية أو إحياء هذه الأصول ، كما إنه لا أمل لنا البتة فى الحصول على صورة حقيقية لنظام اللغة إلا إذا شعرنا بشعور المتكلم ووضعنا أنفسنا مكانه) [1] .

مما تقدم يتضح أن نشأة الترادف تعود إلى أسباب وعوامل مختلفة ، تتفاوت أثرًا ووضوحًا : وإن كان يبدو من هذه الدراسة أن للتغير الدلالى أثرًا كبيرًا فى ترادف الألفاظ ، فمعظم المترادفات ، إن لم نقل جميعها سببها التغير الدلالى بفعل الاستعمال ، وبعبارة أوضح إن ظاهرة الترادف غالبًا ما تكون نتيجة التطور فى الاستعمال اللغوى أو نتيجة الجديد فى الدلالة وليست بسبب الوضع ، وبهذا التعليل يمكن أن نرد كثيرًا مما عده العلماء من الترادف إلى هذه الحقيقة اللغوية .

ولذلك يصح النظر إلى الترادف وتفسيره فى ضوء الدلالة وتغرها ومن خلال الاستخدام اللغوى . لأن فكرة الترادف فى حقيقتها مسألة دلالية قبل كل شىء تتعلق بالمعنى وما يصيبه من تغير من جراء الاستعمال . وخير دليل على هذه العلاقة الوثيقة من أن أكثر أسباب حدوث الترادف وأهمها من تخصيص العام وتعميم الخاص وتحول الصفة إلى الإسمية من انتقال مجال الدلالة على سبيل المجاز ، هى من أهم مظاهر التغير الدلالى وأنواعه ، ويشير إلى ذلك أيضًا أن حدوث الترادف أكثر ما يكون فى مجال الألفاظ المتقاربة فى المعنى .

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١١٣ .

الترادف هو نتيجة التطور اللغوى بمعناه الواسع وليس بسبب الوضع الذى نجهل عنه الكثير ولانعلم متى وكيف تم . فنحن نستبعد أن تكون هذه الكثرة من المترادفات نتيجة الوضع ولاسيما إذا قصد به الوضع فى اللغة الواحدة . فلايعقل أن تضع اللغة الواحدة فى الأصل العشرات بل المئات من الأسماء للمسمى الواحد من غير فرق بينها فى الدلالة وعلى هذا القول نؤكد أن أغلب ألفاظ الترادف يعود إلى التغير الدلالى الذى ساعد على استعمال ألفاظ بخلاف معانيها الأصلية أو القديمة فى اللغة . وهذا ما يكشف عنه البحث اللغوى التاريخى فى المترادفات ، كما أن زوال الفروق بين الألفاظ أو تناسبها واستعمالها مترادفة يرجع فى الغالب إلى هذه الحقيقة اللغوية . وهذا ما أشار إليه الجاحظ قديمًا بقوله : من أن الناس قد يستخفون ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها . وأنهم لايفصلون بينها ، ولايتفقدون منها ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال[1] . إن هذه الملاحظة اللغوية على قدر كبير من الأهمية ، لأن مسألة الإيثار اللفظى أو الخفة اللفظية وسهولة النطق لها أثر بين فى استعمال الناس ألفاظًا دون مراعاة للفروق بينها أو التباين فيها ، فيؤثرون الجانب اللفظى على الجانب المعنوى ولايكترثون بالدقة فى الدلالة وتحديدها كما هى فى أصل اللغة . وهذا ما يفسر لنا تناسى الفروق أو إغفالها فى كثير من الألفاظ المتقاربة فى المعنى التى صارت تستعمل بمعنى واحد ، ولعل مايوضح ذلك أن الناس فى حياتهم يكتفون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها ، ويقنعون فى فهم الدلالات بالقدر التقريبى الذى يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب ، ولايكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة التى تشبه المصطلح العلمى . وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الدقيقة المحددة التى تشبه المصطلح العلمى . وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة

---

(١) البيان والتبين جـ٢ ص ١٩٥ .

العامة إيثاراً للتيسير على أنفسهم ، وميلاً لأيسر السبل فى خطابهم . ويبدو أثر ذلك واضحًا قويًا فـى الصفات والنعوت حـين تصطنع فى مجـال أعم . وتلك هى الظاهرة التى جعلت للحية والسيف والعسل عشرات الأسماء فى العربية [1] ويبدو أن الدكـتور إبراهيم أنيـس قد تأثر بما أشار إلـيه الجاحظ وهو ماعـبر عنه بالموسـيقى اللـفظية الـتى شغلت الـعرب عن - ملاحـظة الفروق بـين الألفاظ المتـقاربة مما أدى إلـى ترادفـها ، وأصبـح العربـى صاحـب الأذن المـوسيقـية يضـحـى بتـلك الفروق فـى الدلالات حتى يـتمكن مـن نظم قوافـيه وتنسيق أسجاعه [2] .كمـا ذهب إلى إهمـال الفروق بين الألـفاظ المتقـاربة فى المعـنى واستعـمالها متـرادفة محمد المبـارك لكنه رد ذلك إلـى العموم والغـموض وما أصاب العـربية من انحطـاط وتأخر ، فهو يرى فـيه مظهرًا سـلبيًا ولهذا ينـبغى العنـاية بالفروق كمـا فعل اللغويـون القدامى يقـول : (لقد أصاب العربـية فى عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والإبهام ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة) [3] .

وعلى أية حـال إن ضياع الفروق بين الألفاظ واسـتعمالها متـرادفة إنما كان بسبـب التطور فـى الاستعمـال ، أيًا كانت الـنظرة إلى هذا الـتطور وليـس من الضرورة أن يكـون هذا التطور اللغـوى دائمًا نحو الإيجاب . فـسواء أكان هذا التغير الدلالى إيجابيًا أم سلبيًا فهو سبب ترادف كثير من الألفاظ .

ومهما يكن أمر تفسير الترادف وأسبـاب وقوعه ، فإننا نجد فى اللغة ألفاظًا بمعنى واحـد متمثلة فـى الواقع اللغوى الـذى يجرى به الاستعـمال وهو واقع

(١) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٥٥ .

(٢) دلالة الألفاظ ص ٢١٠ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ص ٣١٨ - ٣١٩ ، ٢٣٣ .

لاسبيل إلى إنكاره . والناس فى الغالب لايعرفون كيف حدث هذا ولايعنيهم سبب ذلك ، بقدر معرفتهم إن هذه الألفاظ تفضى إلى معنى واحد . . . ولعل ابن جنى قد نظر إلى هذه الحقيقة فى حديثه عن الترادف [1] . وأكثر الترادف فى اللغة من هذا القبيل بكونه لا أصالة فيه لأن التباين هو الأصل فى هذه الألفاظ ثم ترادفت بسبب ا لتغير الدلالى ، فإذا نظرنا إلى دلالة الألفاظ تبعًا لأصلها وحقيقتها فى اللغة فلا ترادف فيها ، أما إذا نظرنا إلى هذه الألفاظ تبعًا لدلالتها الحالية وبحكم ما آلت إليه من استعمال بمعنى واحد ، دون التفات إلى ما كانت عليه من تباين فى الأصل ، فهى مترادفة .

ويترتب على تفسير الترادف ومعرفة سبل نشأته على النحو الذى تناولناه ، استخلاص حقيقة واضحة ، وهى أن فكرة الترادف ليست ثابتة ولا مطلقة تمامًا فى كل الأحوال ، لقد كان معظم الترادف نتيجة التغير الدلالى وعلى هذا نقول إن الترادف إنما هو حالة تعرض لألفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة تغيرها الدلالى بفعل الاستعمال . إذن فحالة الترادف فى الألفاظ ليست مسألة ثابتة دائمة على ا متداد ا لزمان والمكان بل هى مسألة نسبية تتغير باختلاف الزمان والمكان وتبعًا لحقيقة التغير فى الاستعمال . ومعنى هذا أنه ماكان غير مترادف قد يصير مترادفًا بسبب التغير الدلالى ، وما كان مترادفًا قد يصير متباينًا للسبب نفسه . وحتى الألفاظ التى تبدو فيها صفة الترادف أصيلة هى أيضًا عرضة للتغير الدلالى ، شأنها شأن الألفاظ الأخرى من حيث تغير معناها واختلاف استعمالها ، فهى ليست بمعزل عن مظاهر التغير الدلالى . ومن أجل هذه الحقيقة يجب أن يقيد الترادف بالزمان والمكان المعينين وضرورة ربطه ببيئة لغوية معينة لاقتران حدوث هذه الظاهرة الدلالية بالظروف اللغوية عامةوبالتغير

(١) الخصائص لابن جنى جـ٢ ص ١٢١ .

الدلالى خاصة . فالقول بالترادف أو بخلافه إنما هو رهن بطبيعة التغير الدلالى فى الاستعمال وما يؤدى إلى ترادف هذه الألفاظ أو تباينها . فهو يتوقف على نوع الاستعمال ويختلف باختلافه تبعًا للزمان والمكان ويكفى للتدليل على ذلك ما سبق ذكره فى البحث من أمثلة كثيرة لألفاظ كانت متباينة فى الدلالة بحسب الأصل ثم صارت مترادفة بفعل التغير الدلالى .

وفى الأمثلة التى تناولها البحث من مردافات الداهية [1] وغيرها خير مثال على ذلك . وقد يحدث العكس فى اللغة ، فهناك ألفاظ قد كانت مترادفة ثم صارت متباينة بسبب - التغير الدلالى - أى التطور فى الاستعمال أيضًا ، فمن ذلك مثل كلمة الصلاة ومثلها الحج ، وكلمة البأس والعبير [2] . وفى اللغة الكثير من الألفاظ التى كانت بمعنى واحد ثم صارت متباينة بفعل التطور فى الاستعمال مما أدى إلى اختلاف معانيها وانتقاء الترادف فيها [3] ويؤيد هذا كله أن بعض العرب يستعملون ألفاظًا بمعنى واحد ويعدونها مترادفة ، فى حين أن بعضهم يفرقون بينها ويعدونها متباينة . وسبب ذلك هو الاختلاف فى الزمان والمكان ، وذلك أن زمان ومكان الاستعمال الأول ، هو غير زمان أو مكان الاستعمال الثانى . وهذا مما يشير أيضًا على نسبية الترادف وكونه ظاهرة غير ثابتة ولا مطلقة لدى جميع مستخدمى اللغة فهو ليس موضع اتفاق عندهم دائمًا فى كل زمان ومكان وذلك بسبب الاختلاف فى الاستخدام اللغوى وتبعًا لتطور معانى الألفاظ وتغيرها من حال إلى حال . (فالإنسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها أيضًا ويغير الكلمات فى حركة دائمة من الدخول والخروج ، ولكن

---

(١) المزهر جـ١ ص ٤٢٧ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) المزهر جـ١ ص ٤٣١ ، وانظر الصاحبى ص ٨٠ .

الكلمات الجديدة لاتطرد القديمة دائمًا ، فالذهن يروض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة [1] .

ومن هذا نخلص إلى أن المترادفات لاتبقى هكذا نظرًا لتطور الحياة والحضارة وكثرة العوامل والأسباب التى تؤثر فيها وتحور معناها بحكم ظاهرة التغير الدلالى وفعله فى معانى الألفاظ . ونستطيع إجمال ماتوصلنا إليه فى هذه الدراسة بأن الغموض الذى لحق هذا المفهوم كان سببًا رئيسيًا فى الخفط والاضطراب فى النظر إلى ظاهرة الترادف وفى التوسع فى الخلاف بين آراء اللغويين بشأنها ، فكان أن وقفنا على مفهوم دقيق للترادف يعود تبعًا للحس اللغوى العام ولطرائق الاستخدام مع ضرورة اتحاد الألفاظ فى الزمان والمكان والبيئة اللغوية .

كما أنه لايمكن تفسير وقوع الترادف لسبب واحد بعينه ، ذلك أن هناك عدة أسباب لحدوثه ، وأهم سبب لوقوع الترادف كما جاء فى هذه الدراسة هو حقيقة التطور فى الاستخدام اللغوى ، لا التعدد فى ا لوضع كما ذهب كثير من اللغويين القدماء وبعض المحدثين . وإذا ماتوسعنا فى فكرة التطور اللغوى يمكننا القول أن الترادف كان نتيجة لهذا التطور بمعناه الواسع ، لاقتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتغير الدلالى خاصة . إن الترادف واقع فى اللغة العربية لاسبيل إلى إنكاره وهو موضوع ينميه التطور ويدعمه الاستعمال ويشهد به الواقع اللغوى . ومن الجائز أن يكون ما كان مترادفًا فى مرحلة ما متباينًا فى مرحلة أخرى والعكس صحيح أيضًا مادامت الفاظ اللغة جميعًا عرضة للتغير الدلالى .

---

(١) اللغة ٢٤٦ - ٢٤٧ .

المصادر والمراجع

١- الإحكام فى أصول الأحكام ، للحافظ أبى محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة السعادة مصر .

٢- أخبار النحويين البصريين ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) المطبعة الكاثوليكية بيروت .

٣- أدب الكاتب ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق ماكس كرينرت - أعادت طبعه بالأوفست دار الصادر بيروت .

٤- إصلاح المنطق ، لأبى يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف مصر ١٩٧٠ .

٥- الأضداد ، محمد بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المطبوعات - الكويت ١٩٦٠ .

٦- الاقتضاب ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البصليوسى (ت ٥٢١ هـ) دار الجيل بيروت ١٩٧٣م

٧- الألفاظ المترادفة ، لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) شرح وتصحيح محمد محمود الرفاعى - مطبعة الموسوعات - مصر .

٨- انباه الرواة على انباه النحاة ، على بن يوسف بن إبراهيم القفطى (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية القاهرة .

٩- البحث اللغوى عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، مطابع سجل العرب ، مصر ١٩٧١ .

١٠- البيان والتبين ، لأبى عثمان بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة دار التأليف - مصر ١٩٦٨م .

١١- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدى (ت ١٣٠٥ هـ) دار مكتبة الحياة - بيروت .

١٢- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لأبى حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلى (ت ٥٠١ هـ)

١٣- التطور اللغوى التاريخى ، د. إبراهيم السامرائى ، دار الرائد - القاهرة ١٩٦٦م .

١٤- التعريفات ، على بن محمد الشريف الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٩م .

١٥- التفسير البيانى للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن ، الطبعة الثانية دار المعارف - القاهرة ١٩٦٦م .

١٦- تقويم اللسان ، لأبى الفرج عبد الرهمن بن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعرفة - القاهرة ١٩٦٦م .

١٧- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه ، لابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٠ هـ) تحقيق د. إحسان عباس - مطابع دار العباد - بيروت .

١٨- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، لأبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقى (ت ٥٣٩ هـ) تحقيق عز الدين التونخى - المجمع العلمى العربى .

١٩- جمهرة اللغة ، لأبى بكر بن محمد بن الحسن الأزدى المعروف بابن دريد (ت ٣٢١ هـ) مطبعة المثنى ، بغداد .

٢٠- جمهرة الأمثال ، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية للنشر ، القاهرة (١٩٦٤) .

٢١- الحروف التى يتكلم بها فى غير موضعها لابن السكيت ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٩م .

٢٢- الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق : محمد على النجار ، دار الهدى - بيروت .

٢٣- دراسات فى فقه اللغة د. صبحى ا لصالح ، الطبعة الثانية ، المكتبة الأهلية ، بيروت - ١٩٦٢م .

٢٤- الدرة الفاخرة فى الأمثال ، حمزة بن الحسن الأصبهانى ، تحقيق عبد المجيد قطامشى - دار المعارف - بمصر ١٩٧١م .

٢٥- دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢م .

٢٦- دلالة الألفاظ العربـية وتطورها ، د. مراد كامل ، مطبعـة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٣م .

٢٧- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال محمد بشر مكتبة الشباب ، الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٧٢م .

٢٨- ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكرى فيصل ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨م .

٢٩- ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى ، تحقيق مصطفى السقا وآخـرين ، الطبعة الثانية، مصطفـى الحلبى - مصر .

٣٠- ذيل الفصيح - موفق الدين أبو محمـد عبد اللطيف بن الحافظ البغدادى (ت٦٢٩هـ) نـشر وتعلـيق محمـد عبد المنـعم الخفاجى ضمن فصيح ثعلب .

٣١- رواية اللغـة ، د. عبد الحميد الشـلقانى ، دار المعارف بمصـر - القاهرة ١٩٧١م .

٣٢- شرح أدب الكـاتب ، للجـواليقى ، تـقديم وتعلـيق ، مصطـفى صادق الرافعى مكتبة القدس القاهرة .

٣٣- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن الـعرب فى كلامها ، لأبى الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحـقيق مصـطفى الشـويمى الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٣م .

٣٤- الصحـاح (تاج اللغة وصحـاح العربية) ، اسـماعيل بن حمـاد الجوهرى (ت٣٩٥هـ) تحـقيق : أحـمـد عبـد الغفــور عطار ، مطابع دار الكتاب العربى - مصر .

٣٥- العربيـة دراسات فى اللغة و الـلهجات ، يوهان فـك ، نقله إلى العـربية وحققه وفهرس له : د. عبـد الحليم النجار ، مكتبة الخانجى - القاهرة .

٣٦- علم الـلغـة الـعربية د. مـحمـود فهـمى حجازى ، وكـالة المطبـوعـات الكويت ، ١٩٧٣م .

٣٧- علم الـلغة بين الـتراث والمناهج الحـديثة د. محـمود فهمـى حجازى ، المكتبة الثقافية ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠م .

٣٨- علم اللغة مقدمة للقارئ العـربى د. محمود السعران ، دار المعارف بمصر (١٩٦٢م) .

٣٩- علم اللغة ، د. علـى عبد الواحد وافى ، الطبعة الرابعة ، مـكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٧م .

٤٠- الفروق اللغوية ، لأبى هلال العسكرى ، مكتبة القدسى ، القاهرة .

٤١- فصول فـى فقه العربـية ، د. رمضان عبـد التواب ، الطبـعة الأولى دار الحمامى للطباعة ، القاهرة ١٩٧٣م .

٤٢- فقه اللغة ا لمقارن ، د. إبراهيم السامرائى ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨م .

٤٣- فقه الـلغة ، د. علـى عبـد الواحـد وافى ، الطبعـة السابعة دار نـهضة مصـر ، القاهرة ١٩٧٢م .

٤٤- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر الحديث - لبنان ١٩٦٤م .

٤٥- فى أصول اللغة والنحو ، د. فؤاد حنا ترزى ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦٩م .

٤٦- فى اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٢م .

٤٧- فى الأدب والنقد ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ .

٤٨- فى النقد الأدبى ، د. شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

٤٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله محمد بن عمر الزمخشرى (ت٥٢٨هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت .

٥٠- كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ ، لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى (ت٥٠٢هـ) تحقيق الأب لويس اليسوعى ، بيروت .

٥١- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، د. عبد العزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦م .

٥٢- لحن العامة والتطور اللغوى ، د. رمضان عبد التواب - مطابع البلاغ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧م .

٥٣- لحن العوام ، لأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى (ت٣٩٧هـ) تحقيق د. رمضان عبد التواب - المطبعة الكمالية ، القاهرة ١٩٦٤م .

٥٤- لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) دار الصياد - بيروت ١٩٥٥م .

٥٥- اللغة ، ج فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٠ .

٥٦- اللغة والمجتمع ، د. على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (١٩٧١) .

٥٧- اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

٥٨- مثالب الوزيرين ، لأبى حيان على ابن محمد التوحيدى (ت٤١٤هـ) تحقيق د. إبراهيم الكيلانى ، دار الفكر - دمشق ١٩٦١م .

٥٩- مجمع الأمثال ، لأبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابورى الميدانى (ت٥١٨هـ) تحقيق محيى الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩م .

٦٠- المخصص ، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيد الأندلسى (ت٤٥٨هـ) دار الصادر ، بيروت ، مصورة عن طبعة بولاق الأميرية ، بالأوفست .

٦١- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى الطبعة الرابعة ، دار إحياء الكتب - القاهرة .

٦٢- المعجم العربى نشأته وتطوره ، د. حسين نصار الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ١٩٦٨م .

٦٣- معجم المعانى للمترادف والمتوارد ، نجيب اسكندر- مطبعة الزمان بغداد - ١٩٧١م .

٦٤- من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٧٢م .

٦٥- منطق أرسطو ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوى ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .

٦٦- المنطق التوجيهى ، أبو العلا عفيفى ، الطبعة الحادية عشرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

٦٧- المنطق ومناهج البحث ، د. محمد فتحى الشنيطى ، بيروت ١٩٦٩م .

٦٨- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون ، للشيخ المولوى محمد على بن على التهانوى ، شركة خياط للكتب والنشر ، بيروت .

القلب المكانى
فى الموروث اللغوى

د. احمد مطر العطية
جامعة الملك سعود

القلب المكانى ظاهرة لغوية ، يلمسها الباحث فى الموروث اللغوى ، وقد رصدها القدامى ، وأوردوا نماذج منها ، واختلفوا فى حدّها ، وتشعبت آراؤهم فى عللها وأدلتها . كما نلمسها فى لغاتنا الدارجة ، ولهجاتنا المحلية ، وقد رصد المحدثون نماذج منها واودعوها مؤلفاتهم ومصنفاتهم اللغوية .

وكما تشعبت آراء القدامى فى هذه الظاهرة ، تفرقت آراء المحدثين فيها ، وحاول بعضهم تفسيرها وتعليلها على ضوء علم الأصوات الحديث ، وتقنياته المتطورة . وفضلاً عن ذاك فالظاهرة ليس وقفًا على العربية ، وحسب ، بل نجدها فى كثير من اللغات العالمية الأخرى ، وخاصة الساميات .

ويحاول هذا البحث المتواضع أن يدرس هذه الظاهرة ، وفق منهج يقوم أساسًا على دراسة آراء القدامى والمحدثين على حد سواء ، ومناقشة تلك الآراء من أجل تقديم صورة جلية - قدر المستطاع - عن هذه الظاهرة ، عبر ثلاث نقاط : حقيقة الظاهرة وحدّها ، ثم أدلتها ، وأخيرًا أسبابها وعللها .

يرد القلب فى اللغة بمعنى تحويل الشىء عن وجهه ، ففى المصباح المنير (قلب) : قلبته قلبًا : حولته عن وجهه ، وكلام مقلوب : مصروف عن

وجهه ، وقلبت الرداء : حولته ، وجعلت أعلاه أسفله . أما فى الاصطلاح فلا يكاد يخرج عن معنى التقديم والتأخير . ويرد مصطلح القلب فى جملة علوم ، كعلوم الشريعة ، والبلاغة ، والنحو والصرف . ففى الشريعة : «يراد به ثبوت الحكم بدون علة» [1] . وفى البلاغة يعدُّ من وجوه تحسين الكلام [2] .

وفى النحو يراد به التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام ، كتقديم المسند على المسند إليه ، وغير ذلك ، لدواع بلاغية مذكورة فى كتب النحو والبلاغة . أما فى الصرف ، فيراد به أمران : أولهما القلب الصرفى وهو ما يجرى بين أحرف العلة والهمزة ، كقلب الياء واواً أو العكس وغير ذلك ، وهذا باب واسع فى الصرف لا يخلو منه كتاب صرفى ، وهو مايدعى الإعلال بالقلب . وثانيهما : تقديم بعض أحرف الكلمة على بعض ، وهو مايسمى بالقلب المكانى [3] . وهذا ماسيكون موضوع بحثنا ، وضالتنا التى ننشدها . أما أنواع القلب الأخرى فساضرب عنها صفحًا ، ولن أتعرض لها بذكر ، لأنها على ما أرى أشبعت بحثًا فى كتب البلاغة والنحو والصرف .

كثيرًا مانجد فى اللغة ألفاظًا جرى فيها تبادل بين مواقع أحرفها ، فقدم فيها حرف على آخر «فهناك كلمتان أو لفظان يؤديان معنى واحدًا ، لكنهما يختلفان

١- على بن محمد الجرجانى ، التعريفات ، (بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ) ، ص ١٧٨ .

٢- فرج الله زكى الكردى ، شروح التلخيص ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه) ، ٤/ ٢٨٥ .

٣- الرضى الأستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ورفيقه ، (القاهرة ، مطبعة حجازى) ١/ ٢١ . وانظر : أبا حيان الأندلسى ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق د. مصطفى أحمد النماس ، (١٤٠٤هـ) ، ١/ ١٦٠ .

فى ترتيب هذه الأحرف [1] . فلكى نحكم على الكلمة أن فيها قلبًا مكانيًا ، فلابدّ من أن تماثل كلمة أخرى فى ، وفى الحروف ، غير أنهما يختلفان فى ترتيب هذه الأحرف ، أما إذا اختلف المعنيان ، فليس هذا من القلب المكانى ، بيد أنّ بعض الباحثين يجيز أن يكون المعنيان متقاربين ، فالدكتور الطيب بكوش يقول : «التبادل من أسباب وجود صيغتين بنفس المعنى وأحيانًا بمعنيين متقاربين» [2] ، وسنرى فيما بعد أن هناك آخرين ذهبوا هذا المذهب . ولابد أيضًا أن تكون إحدى الكلمتين أصلاً والأخرى فرعًا عليها ، ويجب أن يقصر الفرع عن الأصل فى التصرف [3] ، أما إذا تساوى اللفظان تصرفًا ، فلا يعدُّ هذا قلبًا ، بل هما لغتان . وهذا هو مذهب البصريين [4] .

أما الكوفيون فقد توسعوا فى مدلوله ، وعدّوا مثل هذا الذى أنكره البصريون قلبًا ، قال النحاس فى شرح المعلقات : «القلب الصحيح عند البصريين مثل ، شاكى السلاح ، وشانك ، وجرف هار ، وهائر ، وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جذب وجبذ ، فليس هذا بقلب عند البصريين ، وإنما هما لغتان» [5] .

١- أبو أوس إبراهيم الشمسان ، دروس فى علم الصرف ، (الرياض ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤١٨هـ) ٣٧/١ .

٢- الطيب بكوش ، التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث ، (تونس ، مؤسسات عبد الكريم ابن عبد الله ، ط٢ ، ١٩٦٧م) ، ص ٧٣ .

٣- أبو الفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، (بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر) ، ٦٩/٢ .

٤- انظر جلال الدين السيوطى ، المزهر فى علوم اللغة ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقه ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، بلا تاريخ) ، ٤٨١/٢ . وانظر أيضًا ، أبا الفتح ، عثمان بن جنى ، المنصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، (القاهرة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٤م) ١٠٥/٢ .

٥- المزهر ٤٨١/٢ .

وذهب اللغويون مذهب الكوفيين ، قال السخاوى فى شرح المفصل : «إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً ،لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ، ليكون شاهداً للأصالة ، نحو يئس يأسًا ، وآيس مقلوب منه ، ولا مصدر له ، فإذا وجد المصدران ، حكم النحاة بأن كلٍّ واحد من الفعلين أصل ، وليس بمقلوب من الآخر ، نحو جبذ ، وجذب ، وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب» [1] .

وجاء فى درة الغواص للحريرى : «وقال شيخنا أبو القاسم : فأما قولهم : جذب وجبذ ، فليس هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب كما ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل واحدة منهما أصل فى نفسهما ، ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه . فقيل فى مصدر جَبَذَ : جَبْذٌ ، كما قيل فى مصدر جَذَبَ : جَذْبٌ» [2] .

ولعل ما ذهب إليه اللغويون ونحاة الكوفة أقرب إلى حقيقة القلب مما ذهب إليه البصريون لأن من الملاحظ «أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة تأخذ مجراها الطبيعى فى اللغة باستعمال باقى المشتقات منها [3] .

ويؤيد هذا المفهوم ما نسمعه فى لغتنا الدارجة من أن الكلمة المقلوبة - فى كثير من الأحيان - تساوى أصلها تصرفًا ، من ذلك (كلمة جواز) وهى مقلوبة من الكلمة الفصيحة «زواج» نجد منها المصدر : (الجواز) يقابل (الزواج) ،

١- نفسه ٢/ ٤٨١ .

٢- القاسم بن على الحريرى ، درة الغواص فى أوهام الخواص ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر) ، ص ١١٦ .

٣- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى مظاهره وعلله ، (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨١) ، ص ٦٠ .

والجـيزة تقابـل الزيجـة ، والجـوز يقابل الـزوج ، وتجوز تقـابل تزوج وهكـذا . . . . يقول الـدكتور إبراهيم أنيس : «ويرى اللـغوى الحديث فى كلّ أمثلة القلـب المكانى أن إحدى الصورتين أصل ، وأن الأخرى فـرع لها ، غير أنه تـصادف أن بعـض الفروع اشـتهرت ، وشاع اسـتعمـالها فـتصرفـت أيضًا كالأصول وجاءت منهامشتقاتها ، فـى حين أن البعض الآخر من الفروع لم تتح له تلك الشهرة أو الشيوع فلم تتصرف كأصولها» [١] .

وظاهرة القلب المكانى لمحها العلماء العرب القدامى ، فأشار إليها الخليل [٢] (ت ١٧٠هـ) وسيبويه [٣] (ت ١٨٠هـ) والمازنى [٤] (ت ٢٤٩هـ) وابن جنى [٥] (ت ٣٩٢هـ) وغـيرهم . . . وقال ابـن جنى : «وهـذا القلـب كثير فـى كلام العرب [٦] ، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : من سنن العرب القلب [٧] . وقد صنّف علماء اللغـة فيه مؤلفات . قال أبو الفتح : «الا ترى أن الـقلب قد كثر فى كـلامهم ، حتى إن ابن السكيت (ت ٢٤٣هـ) قد صنف فـيه كتابًا» [٨] . وجاء فى مزهر السيوطى : «وقد ألف ابن السـكيت فى هذا النوع كتابًا ، ينقل عنه صاحـب الصحاح» [٩] إلا أن كتاب ابـن السكيت لم يـصل إلينا وفـقد مع مافقد من روائع تراثنا اللغوى .

١- إبراهيم أنيس «مسطرة اللغوى» مجلة اللغة العربية بالقاهرة ، ج.٣ (شوال ١٣٩٢هـ) ، ص ٩ .

٢- سيبويه ، الـكتاب ، تحقيق عبد السلام هـارون (القاهرة ، الهيئة العامـة للكتاب ، ١٩٧٥م) ٤/ ٣٧٧ ، وانظر المنصف ٢/ ٩٣ .

٣- سيبويه ٣/ ٤٦٧ .

٤- المنصف ٢/ ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٤ .

٥- الخصائص ٢/ ٦٩ - ٧٥ . و،المنصف ٢/ ٩٣ وما بعدها .

٦- المنصف ، ٢/ ٩٣ .

٧- ابن فارس ، الصاحبى فى فقه اللغة العربية (بيروت ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر) ص ٢٠٢

٨- المنصف ٢/ ٩٥ .

٩- المزهر ١/ ٤٧٦ .

وقد جمع بعض العلماء ألفاظًا عديدة من المقلوب وأودعوها مؤلفاتهم ، فابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) جمع منها قدرًا صالحًا في كتابه أدب الكاتب [١] . وخصص السيوطي في مزهره حيزًا لهذا النوع من الألفاظ ، فأورد نحو مئة لفظة عدها من المقلوب [٢] . ولم ينكر هذه الظاهرة من القدامى إلا ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) فقد ألف كتابًا أسماه «إبطال القلب» [٣] .

كما اهتم المحدثون بهذه الظاهرة ، فقد أورد الشدياق طائفة من الألفاظ المقلوبة في كتاب الجاسوس على القاموس [٤] . وكذلك ذكر الشيخ عبد القادر المغربي جملة من الألفاظ المقلوبة في كتابه «الاشتقاق والتعريب» [٥] . ومثل ذلك فعل الأب أنستاس الكرملي في كتابه «نشوء اللغة العربية ، ونموها واكتهالها» [٦] . وألف الدكتور عبد الفتاح الحموز كتابًا [٧] مستقلاً في هذا الموضوع . وأطلق الدكتور الطيب بكوش مصطلح «التبادل» على هذه الظاهرة ، قال : تتمثل هذه الظاهرة في تبادل صوتين مكانهما من الكلمة فيحدث بذلك تأخير الأول وتقديم الثاني» [٨] ولعل هذا المصطلح أقرب إلى حقيقة هذه الظاهرة من المصطلح الشائع (القلب) .

١- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت دار المعرفة) ص ٣٨١ .

٢- المزهر ، ١/٤٧٦-٤٨١ .

٣- السابق ، ١/ ٤٨١ .

٤- أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس على القاموس (القسطنطنية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩هـ) ، ص١٧٤ .

٥- عبد القادر المغربي ، الاشتقاق والتعريب (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م) ، ص ٤-١٨ .

٦- الأب أنستاس ماري الكرملي ، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية) ص ١٦-١٨ .

٧- عنوانه (ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية ، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها) نشرته (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار عمار ، عمان ، بدعم من جامعة مؤتة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

٨- التصريف العربي ٧٣ .

وهذه الظاهرة نلمسها كثيراً فى لهجاتها المعاصرة ، فهناك من يقول : قضب بدل قبض ، وفى بلاد الشام يقولون الرعبون فى العربون ، وكثيرهم الذين يلفظون المعلقة : معلقة . وكذلك سدّاج فى سجاد ، وكثيراً ما نسمع من بعضهم يقول : انجهزت ويريد انزعجت ، والمصدر انجعاز (لهجة دمشقية قديمة وجزاز فى زجاج ، ومرسح فى مسرح ، وجنزبيل فى زنجبيل ... إلخ . والقلب فى لهجة العامة أكثر من أن يحصى ، وقد جمع الدكتور رمضان عبد التواب فى كتابه التطور اللغوى [1] قدراً صالحًا من الألفاظ المقلوبة فى لهجة العامة المعاصرة ومن بيئات لغوية مختلفة . ونلمس هذه الظاهرة بوضوح فى لغة الأطفال فى سنٍ مبكرة إلاّ أنها سرعان ما تستقيم ألسنتهم ، فيتخلصون منها فى بضع سنين .ويكثر القلب المكانى فى المعتل والمهموز ، ويقل فى غيرهما ، وهو فى الواو أكثر من الياء [2] .

والقلب المكانى ليس وقفًا على العربية ، بل نجده فى لغات عالمية أخرى . يقول الدكتور إبراهيم أنيس : «وظاهرة القلب المكانى ليست مقصورة على اللغة العربية ، فقد عرفت فى بعض اللغات الأجنبية» [3] . فهى موجودة فى اللغات السامية ، يقول كارل بروكلمان : «ففى السامية الأولى تدخل تاء الصيغة الانعكاسية تاء الافتعال بعد فاء الفعل ، إذا كانت هذه صوتًا من أصوات الصفير» [4] ومثّل على ذلك بألفاظ من الحبشية والعبرية والسريانية

١- التطور اللغوى ، مظاهره وعلله وقوانينه ، ص ٥٩-٦٠ .

٢- ارتشاف الضرب ، ١٦٠ .

٣- إبراهيم أنيس «مسطرة اللغوى» ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء ٣٠ ، (شوال ١٣٩٢هـ) ، ص ٩ .

٤- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، (الرياض : مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٧م) ، ص ٨٠ .

والآشورية . ثم قال : «وفى الحبشية يحدث القلب المكانى بين الصوت الشفوى وصوت الصفير ، كما يحدث بين الصوت الغارى وصوت الصفير . . . وفى العبرية يحدث القلب المكانى بين الأصوات المائعة [1] ، كما يحدث بين الصوت المائع والحركة ، وفى الآرامية يحدث بين الصوت الشفوى وصوت الصفير» [2] ، ومثَّل على ذلك بألفاظ من هذه اللغات [3] . كما نعثر على هذه الظاهرة فى لغات أجنبية ، يقول فندريس فى كتابه اللغة : «فبدلاً من فسترا» Festra نافذة ، يقال فى البرتغالية : Festa «فرستا» ويقال فى بعض اللهجات البرتغالية : drebi بدلاً من drebri (دِبْرى) ، يأكل» [4] . وأشار إلى هذه الظاهرة جسبرسن وأورد أمثلة عليها من لغة الأطفال الإنجليز [5] .

ادلة وجود القلب المكانى:

لعل أبا الفتح عثمان بن جنى هو أولُ من أصَّل لهذه الظاهرة ، واستنبط قوانينها وأحكامها ، ووضع ضوابطها وأدلتها ، وهو بلا ريب استند إلى أقوال سابقيه وآرائهم فى تلكم الظاهرة ، وخاصة سيبويه والخليل والمازنى ، غير أنه هو الذى جمع تلك الأقوال وحررها ، وسلكها فى منظومة من الضوابط

١- الأصوات المائعة مصطلح يطلق على الصوامت الترددية (R) والصوامت الجانبية (I) والأصوات المائعة هى عادة مجهورة فى بعض اللغات ، ولكن يمكن أن تفقد جهرها عند الاتصال بصوامت مهموسة . وتعتبر مهموسة فى بعض اللغات . انظر برتيل مالمبرج ، علم الأصوات ، تعريب د. عبد الصبور شاهين (القاهرة ، مكتبة الشباب ٩٨٥) ، ص ١٠٠ .

٢- فقه اللغات السامية ، ٨١ .

٣- نفسه ، ٨١ .

٤- فندريس ، اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص (القاهرة : مكتلة الأنجلو المصرية ١٩٥٠) ص ٩٤ .

٥- إبراهيم أنيس . مسطرة اللغوى ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ٣٠ ، ص ٩ .

والقواعد والأدلـة التى بها يُكشف عـن هذه الظاهرة . والأصل والقـياس عند أبي الفتح ألا يكون هنـاك قلب بين اللفظين اللذين بينهـما تقديم وتأخير ، بل يعدُّ كل واحد منهـما أصلاً مستقلاً حتى تنهض الأدلة علـى أن أحدهما مقلوب عن الآخر ، يـقول فى خصـائصه : «اعلم أن كـلَّ لفظين وجـد فيهمـا تقديم وتأخير ، فأمكن أن يكونا جميعًا أصلـين ، ليس أحدهما مقلوبًا عن صاحبه ، فهو الـقياس الذى لا يـجوز غيره ، وإن لـم يكن ذلك حـكمت بأن أحـدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم رأيت أيهما الأصل ، وأيهما الفرع» [1] .

أما الأدلة التـى استنبطهـا للحكم بالـقلب أو عدمه ، ومعـرفة الأصل من الفرع فهى :

١- **السعة فى التصرف** : فإن كان اللفظان متساويين فى التصرف حكم عليهما بعـدم القلب ، وعدّ كلّ واحد منهما أصلاً . وبهذا الـدليل حكم بعدم القلب بين جـذب وجبذ ، قال : «فما تركيـباه أصلان لا قلب فيهمـا قولهم : جذب وجبذ ، ليس أحدهما مقلوبًا عن صاحـبه ، وذلك أنهما جميعًا يتصرفان تصرفًا واحدًا ، نحو جذب يجذب جذبًا ، فهو جاذب ، والمفعول مجذوب ، وجبذ يـجبذ جبـذًا فهو جابـذ والمفعول مـجبوذ ، فإن جـعلت أحدهـما أصلاً لصاحبه ، فسد ذلك لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه من الأخرى ، فإذا وقفت الحال بيـنهما ، ولم يؤثر بالمزية أحدهـما ، وجب أن يتوازيا ، وأن يمثلا بصفحتيهما معًا ، وكذلك ما هذه سبيله» [2] .

إما إذا كان أحد اللفظين أوسع تصرفًا مـن الآخر ، فإنه بقلب أحدهما عن الآخر ، فيكون الأكثر تصرفًا أصلاً لصاحبه . والآخر فرعًا ، قال : «فإن قصر

١- الخصائص ٢/٦٩-٧٠ .

٢- السابق ٢/٦٩-٧٠ .

أحدهما عن تصرف صاحبه ، ولم يساوه فيه ، كان أوسعهما تصرفًا أصلاً لصاحبه»[1] .

وهذا الدليل مأخوذ من قول أبى عثمان المازنى ، الذى نقله أبو الفتح فى المنصف ، حيث جاء فيه : «وقال أبو عثمان : وأما جبذ وجذب فليس واحد منهما مقلوب عن صاحبه ، لأنهما جميعًا يتصرفان ، ولا يختص واحد منهما بشىء دون الآخر . . . فليس واحد منهما أولى بأن يكون مقلوبًا إلى صاحبه الآخر»[2] . ولم يمثل أبو الفتح لهذا الدليل ، إلا أن ابن عصفور مثَّل له فى ممتعه ، فقال : «. . .وذلك نحو شوائع ، فإنه أكثر تصرفًا من (شواعى) ، لأنه يقال : شاع يشيع فهو شائع ، ولا يقال : شعى يشعى فهو شاع ، فلذلك كان شوائع الأصل»[3] .

ومما تجدر ملاحظته أن هذا لا يطرد دائمًا ، فقد مر معنا قبل قليل أن المقلوب قد يشيع أحيانًا على الألسنة ، فيتصرف كتصرف صاحبه .

٢- **الرجوع إلى المصدر** : فإذا ما عرفنا مصدر أحد اللفظين ، ولم نعثر للآخر على مصدر ، حكمنا بالقلب بينهما ، وجعلنا الأول أصلاً والآخر فرعًا ، قال أبو الفتح : «ومن المقلوب قولهم : امضَحَلَّ وهو مقلوب عن اضْمَحَلَّ ، الا ترى أن المصدر إنما هو على اضْمَحل ، وهو الاضمحلال ، ولا يقولون : امْضِحْلال»[4] ، وبهذا الدليل حكم بأن اكْرَهَفَّ مقلوب عن اكفَهَرَّ ، قال : «وكذلك قولهم : اكْفَهَرَّ واكْرَهَفَّ ، الثانى مقلوب عن الأول ،

١- السابق ٢/ ٧٠ .

٢- المنصف ٢/ ١٠٥ .

٣- ابن عصفور ، الممتع فى التصريف : تحقيق فخر الدين قباوة ، (حلب ، المكتبة العربية ، ط١ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ، ٢/ ٦١٧ .

٤- الخصائص ، ٢/ ٧٣ .

لأن التصرف على اكفهر وقع ، ومصدره الاكفهرار ، ولم يمرر بنا الاكرهفاف» [1] . ثم قال : «وقد حكى بعضهم مكرهفّ ، فإن ساواه فى الاستعمال ، فهما على ما تراه أصلان» [2] .

وكذلك حكم بأن (آن) مقلوب عن (أنى) ، فقال : «. . . وذلك قولهم : أنَى الشيء يأنى ، وآنَ يَئِنُ فـ (آن) مقلوب عن (آنى) ، والدليل على ذلك وجودك مصدر (أنَى يأنِي) وهو الإنَى . ولا نجد لـ (آن) مصدرًا ، كذا قال الأصمعى ، فأما الأيْنُ فليس من هذا فى شيء ، إنما الأيْنُ : الإعياء والتعب ، فلما عدم من (آن) المصدر الذى هو أصل الفعل علم أنه مقلوب من أنَى يأنى إنّى» [3] . وبهذا الدليل أيضًا حكم أبو على الفارسى على (ايِسْت) أنه مقلوب على يئست ، قال أبو الفتح : «ومثل ذلك فى القلب قولهم : أسيت من كذا ، فهو مقلوب من يَئِسْتُ لأمرين ، ذكر أبو على أحدهما ، وهو ما ذهب إليه من ايِسْتُ لا مصدر له» [4] .

٣- **عدم الإعلال مع موجبه** : إذا كان أحد اللفظين فيه ما يوجب الإعلال ، ولم يُعل . فإنه عندئذ يعدُّ مقلوبًا عن اللفظ الآخر ، وتكون صحته دليلاً على قلبه ، يقول أبو الفتح بعد ان اورد حجة أبى على فى قلب (ايِسَ) من (يَئِس) : «وأما الآخر فعندى أنه لو لم يكن مقلوبًا لوجب إعلاله ، وأن تقول : إسْتُ آآس كهبت أهاب ، فظهوره صحيحًا يدل على أنه إنما صح لأنه مقلوب عما تصح عينه وهو (يَئِست) لتكون الصحة دليلاً على ذلك

١- الخصائص ، ٢/ ٧٣ .

٢- نفسه ٢/ ٧٣ .

٣- نفسه ، ٢/ ٧٠ .

٤- نفسه ، ٢/ ٧٠ .

المعنـى . كما صحت عَوِر دلـيلاً علـى أنـه فى معنـى ما لابد من صحـته وهو اعور» [1] .

ولعـل قائلاً يـقول : إن عدم إعلال (أيِس) إنمـا هو شاذ عـلى القـياس ، وليس مقلوبًا عن (يئس) . والجواب عن ذلك عند ابن عصفور ؛ إذ يقول بعد أن أورد هذا الدلـيل فى ممتعـه : «ولا ينبغـى أن يجعل أيِسَ أصلاً ، ويـجعل تصحيحه شاذًا ، لأن القلب أوسع من تصحيح المعتل وأكثر» [2] . ومعنى هذا أن ظاهرة القلب أكـثر من صحة المعتل وأوسع ، الحمل عـلى الأكثر أولى من الحمل على القليل والشاذ .

٤- **التجرد والزيادة** : فإن كان أحد اللفظـين مجردًا من الزيادة والآخر مزيدًا ، حكم على المزيد بأنه مقـلوب عن المجرد ، ولهذا ذهب سيبويه إلى أن (اطْمَأنَ) مقلـوب عن طَمْأن [3] . وأوضح أبو الفـتح مذهب سيبويـه بقوله : «وحجة سيبـويه فيه أن طأمن غير ذى زيادة ، واطـمأن ذو زيادة ، والزيادة إذا لحقت الكلمة ، لحقها ضرب من الوهن لذلك ، وذلك لأن مخلطتها شيئًا ليس من أصلها مزاحمة لها ، وتسوية فى الـتزامه بينها وبينه ، وهو وإن تبلغ الزيادة على الأصول ، فحسن الحذف منها ، فإنه على كل حال على صدد من التوهين لها» [4] .

٥- **منع الصرف لغير علة** : وهذا الدليل خاص بكلمة (أشْيَاء) ، على

١- الخصائص ، ٢/ ٧٢ .

٢- الممتع ٢/ ٦١٨ .

٣- سيبويه ٣/ ٤٦٧ ، ٤/ ٣٨١ ، وقد خالف أبو عمر الجرمى سيبويه فى ذلك ، فذهب إلى أن (اطمأنّ) غير مقلوب وان (طمان) هو المقلوب . وأيد ابـن جنى مذهب سيبويه . انظر المنصف ٢/ ١٠٤ . أما ابن عصفور فقد أيد مذهب الجرمى . انظر الممتع ٢/ ٦١٧ .

٤- الخصائص ٢/ ٧٥ ، وانظر ارتشاف الضرب ١/ ١٦١ .

قول الخليل فقد وردت هذه الكلمة ممنوعة من الصرف ، ولو كان ترتيبها طبيعيًا لكان وزنها (أفعَال) ، وهذا الوزن لا يمنع الكلمة من الصرف ، ولهذا عدّت مقلوبة ، وأنها على وزن (لَفْعَاء) وهذا ما يسوغ منعها من الصرف . جاء فى كتاب المنصف : «قال أبو عثمان : وقال - يعنى الخليل - اشياء فَعْلاء مقلوبة وكان أصلها : شيئَاء ، مثل حَمْرَاء ، فقلبت فجعل الهمزة التى هى لام أولاً ، فقال أَشيَاء كأنها لَفْعَاء» (١) .

ثم جاء فيه أيضًا : « قال أبو الفتح : اعلم أنه إنما ذهب الخليل وأبو الحسن فى أشياء إلى ما ذهبا إليه ، وتركا أن يحملاها على ظاهر لفظها ، فيقولا : إنها أفعال ، لأنهما رأياها نكرة غير مصروفة . . . فلما رأياها نكرة غير معروفة فى حال ا لتنكير ذهبا إلى أن الهمزة للتأنيث ، فقال الخليل : هى فعلاء منقولة إلى لفعاء ، وقال أبو الحسن هى أفعِلاء ، وقول الخليل فيها أقوى» (٢) .

وفى الحقيقة أن فى النفس شيئًا من هذا الدليل ، لأن الدليل يجب أن يطرد وينقاس ، أما أن نحصره فى كلمة واحدة ، فهذا الذى لا تطمئن إليه النفس ، وكان الأولى أن يعدّ منع هذه الكلمة من الصرف شاذًا ، وعندئذ نتخلص من التأويلات الكثيرة التى علل بها العلماء منع هذه الكلمة من الصرف» (٣) .

وثمة أدلة أخرى لم يذكرها أبو الفتح ، إلاّ أن علماء آخرين ذكروها ، ويمكن أن نجملها بما يلى :

١- المنصف ٢/ ٩٤ .

٢- نفسه ٢/ ٩٤ - ٩٥ .

٣- انظر تلك التأويلات فى كتاب المنصف ٢/ ٥٤ وما بعدها .

١- كثرة الاستعمال : وذلك إذا كان أحد اللفظين أكثر استعمالاً من الآخر ، عدَّ أصلاً ، والآخر مقلوبًا عنه ، قال ابن عصفور فى ممتعه» . . . . أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر ، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل ، والآخر مقلوبًا منه ، نحو (لَعَمْرى) و (رَعَمْلى) فإن (لَعَمْرى) أكثر استعمالاً ، فلذلك ادّعينا أنه الأصل» (١) .

ومثل ذلك «آدُرٌ» جمع (دار) فهو مقلوب عن (أدْؤُر) تقول الدكتورة خديجة الحديثى : «ويعرف القلب بقلة استعماله بالنسبة للأصل ، مثل (آدُر) مقلوب عن (أدْؤُر) فى جمع (دار) ، و (أدْؤُر) أقل استعمالاً من (أدؤُر) فصح أنه المقلوب عن (أدْؤر) ، ومثله (راء) مقلوب عن (رأى) ، لأن (رأى) أكثر استعمالاً من (راء) (٢) .

وهذا الدليل أيضًا لا تطمئن إليه النفس كلَّ الاطمئنان ، وذلك أن المقلوب قد يكون أكثر استعمالاً وانتشارًا على الألسنة من الأصل ، ولا سيما أن من أسباب القلب - كما سنراها فيما بعد - الهروب من الثقل إلى الخفة ، وهذا يقضى أن يكون المقلوب أكثر تداولاً من الأصل ، وقد ألمع إلى هذا الرضى فى شرح الشافية ، فقال : «وكذا قلة استعمال إحدى الكلمتين ، وكثرة استعمال الأخرى المناسبة لها لفظًا ومعنى لا تدل على كون القليلة الاستعمال مقلوبة» (٣) .

٢- عدم اجتماع همزتين فى الطرف : ويعرف القلب المكانى - عند

١- انظر الممتع ٢/ ٦١٧ ، وانظر ارتشاف الضرب ١/ ١٦١ .

٢- خديجة الحديثى ، أبنية الصرف فى كتاب سيبويه ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٩٦٥م) ، ص ٢٤ ، وانظر سيبويه ٢/ ١٣٠ ، وانظر المنصف ٢/ ٩٢ .

٣- شرح الشافية ١/ ٢٤ .

الخليل - إذا ما أدى عدم قلب الكلمة إلى اجتماع همزتين فى الطرف . وينحصر هذا الدليل فى اسم الفاعل وجمعه المكسر من الفعل الأجوف المهموز اللام ، نحو جاء ، وشاء ، وجمعهما المكسر جواء وشواءٍ وكذلك الجمع المكسر للكلمات التى فيها همزة قبلها حرف مد ، نحو خطايا جمع خطيئة وأضربها . فهذه الكلمات لو جاءت على الأصل ، لالتقى فيها همزتان فى الطرف ، وهذا مستثقل فى اللفظ مستكره فى النطق ، ولهذا عدّ الخليل القلب فى مثل هذه الكلمات قياسًا [1] . ومن يتفحص هذا الدليل لا يجد فيه دليلاً كاشفًا عن القلب ، وإنما هو سبب من أسباب القلب ، وسنتحدث عنها فيما بعد .

٣- الرجوع إلى المفرد :

ويتضح ذلك فى كلمة (آبار) ، فإن مفردها (بئر) على وزن (فِعْل) فالهمزة عين الكلمة ، وترتيبها الطبيعى أن تكون بعد الباء وعلى هذا يكون قياس جمعها على (أبآر) على وزن أفعال ، وبهذا نستدل على أن (آبار) فيها قلب مكانى ، إذ جرى تبادل بين الهمزة والباء ، فقدمت الهمزة وأخرت الباء [2] . ومثل ذلك (آرم) ، فإن مفردها (رئْم) وعلى ذلك يكون قياس جمعها على (رِئام) ، ولهذا قضينا بأن (آرام) مقلوبة عن (رئام) ومثل ذلك أيضًا آراء ومفردها رأى [3] .

١- انظر سيبويه ٢/١٢٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وشرح الشافية ١/٢٤-٢٥ ، وأبنية الصرف فى كتاب سيبويه ١٢٤ ، ومحمد بدوى المختون «ظاهرة القلب المكانى فى العربية «مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد ١١ ، (١٤٠١هـ) ، ص ٢٧٩ .

٢- انظر محمد محمود هلال ، الوافى الحديث فى فن التصريف (منشورات جامعة بنغازى ، ط١ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ، ص ٤٧ . وأحمد الحملاوى ، شذا العرف فى فن الصرف (بيروت ، المكتبة العلمية ، بلا تاريخ) ، ص ٢٢ .

٣- نفسه .

٤- المقارنة باللغات السامية :

اعتمد بعض الباحثين المعاصرين على المقارنة باللغات السامية للكشف عن القلب فى عدد من الكلمات العربية ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : «بل إننا إذا قارنا العربية باللغات السامية الأخرى ، عثرنا على أمثلة حصل فيها هذا القلب المكانى فى العربية ، على حين احتفظت اللغات السامية الأخرى بالأصل، فمثلاً كلمة رُكبة فى العبرية berch (   ) وفى الآرامية burká (   ) وفى الحبشية berk (   ) وفى الأكادية burka . فأصل الكلمة على هذا (بُركة) ثم قلبت إلى ركبة بدليل بقاء الأصل فى الفعل (برَك)»[1] .

ويقول الأب أنستاس الكرملى : «وقالوا الركبة ، وكان الحق أن يقال البركة ، لأنهم اشتقوا منها (برك) ولم يقولوا ركب بهذا المعنى لئلا يختلط بمعنى اعتلاء ظهر الحيوان»[2] .

وهذه المقارنة تنبهنا على أمر فى غاية الأهمية ، وهو أن بعض الكلمات المقلوبة قد تشيع وتنتشر وتشتهر ، ولا يعرف الناطقون إلا إيَّاها ، بينما الأصل يقل استعماله ، ومن ثمة ينسى فيموت ، ولعل فى هذا ما يمكن أن يردّ به على من اشترط أن يكون الأصل أوسع تصرفًا من الفرع ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم[3] .

وبمقارنة العربية بالساميات ، استطاع الباحثون تحديد الأصل والفرع بين الكلمات التى جرى بينها قلب مكانى ، يقول المستشرق الألمانى برجشتراسر : «وأحيانًا نحتاج إلى استعراض الكلمات المقابلة معنى ، فى سائر اللغات ، مثال

١- التطور اللغوى ٥٨ .

٢- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ١٠٦ .

٣- انظر ما تقدم ص ٣ .

ذلك أنا نجد فى العربية : شَمْأَلَ وشَأْمَلَ أى الشمال ، ونرى من العبرية أن شَمْأَل هو الأصل ، وشَأمل مقلوب منه» [1] . ومثل ذلك كلمة (مع) ، فأصلها (عم) ، إلاّ أن العربية فقدت الأصل ، وعرف هذا بالمقارنة باللغات السامية [2] .

وبعد ، فهذه أشهر أدلة القلب المكانى ، جمعتها من أقوال الباحثين القدامى والمحدثين ، وثمة أدلة أخرى ذكرها بعض الباحثين [3] ، ولعل معظمها لا يخرج عما ذكرناه . وللرضى الاستراباذى قول جامع فى هذه الأدلة يستحسن أن نثبته هنا ، فبعد أن ذكر بعضًا منها ، قال : «إن جميع ما ذكر من المقلوبات يعرف بأصله ، فالجاه والحادى والقِسِى عرف قلبها بأصولها وهى الوجه والوحدة والقَوْس ، وكذا أَيِسَ يَأْيَسُ باليَأْسِ ، وآرمٌ وآدُرٌ بِرئم ودارٍ» [4] .

تفسير القلب المكانى :

شُغِلَ اللغويون القدامى والمحدثون بظاهرة القلب المكانى ، وحاولوا أن يضعوا تفسيراً وتعليلاً لها ، ويكاد القدامى يحصرون أسبابها بما يلى :

١- الضرورة الشعرية : وذلك أن الشاعر قد يضطر أحيانًا إلى قلب كلمة لتتفق مع قافيته ، فأبو الفتح عثمان بن جنى بعد أن تحدث عن القلب فى

١- برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ، ص ٣٦ .

٢- انظر التطور اللغوى ٣٦ ، والتطور النحوى ، ٥٨ .

٣- انظر عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ص ٥٢ وما بعدها .

٣- شرح الشافية ٢٤ ، وانظر أيضًا محمد الأنطاكى ، المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها (بيروت ، دار الشرق العربى ، ط٣ ، بلا تاريخ) ١٤٩/١ .

كلمة (اليَمِى) فى قول الشاعر [١] :

مَرْوانُ مَرْوانُ أخو اليَوْمِ اليَمِى

قال : «جاز ذلك ضرورة لما يعقب من صلاح القافية» [٢] .

وقال فى موضع آخر : «والقلب فى كلامهم كثير وقد قدمنا فى أول هذا الكتاب ، أنّه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك بها ، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها ، كان ذلك مضطرًا إليه لا مختارًا» [٣] . وابن عصفور يقول فى ممتعه : «فالمقلوب على قسمين : قسم قلب للضرورة نحو قولهم : (شواعى) فى شوائع فى الشعر ، قال [٤] :

وكان أولاها كِعابُ مُقامِرٍ ضربت على شُزُنٍ فهنَّ شَواعى

يريد شوائع ، أى متفرقات [٥] .

ويقول أيضًا فى ضرائر الشعر : «والقلب فى الكلام كثير وإنما جاء للضرورة ، ولم يستعمل فى سعة الكلام» [٦] . ويلاحظ أن ابن جنى وابن عصفور حصرا الضرورة فى الشعر فقط ، بينما كان الفراء (ت٢٠٧هـ) يعد ذلك سواء فى النثر والشعر [٧] .

١- البيت لأبى الأخزر الحمّانى ، وهو فى سيبويه ٢/٣٧٩ ، والخصائص ١/٦٤ ، ٢/٧٦ ، ٤٧٣ . والمنصف ٢/١٠٢ والممتع ٢/٦١٥ .

٢- الخصائص ٢/٧٨ .

٣- السابق ، ٢/٨٢ .

٤- هو الأجدع بن مالك الهمدانى ، والبيت فى الأصمعيات ٦٥ ، والمنصف ٢/٥٧ ، والشزن : الكعب الذى يلعب به ، والبيت فى وصف خيل مغيرة . انظر اللسان (شزن ، شيع) .

٥- الممتع ٢/٦١٥ .

٦- ابن عصفور ، ضرائر الشعر ، تحقيق السيد إبراهيم (دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٠م) ١٩١ .

٧- انظر يحيى بن زياد الفراء ، معانى القرآن ، تحقيق د. عبدالفتاح شلبى ، مراجعة على النجدى ناصف (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ٢/١٢٤ ، ٣٩٤ .

٢- الاتساع فى اللغة : إن للغة العربية طرقها ووسائلها الخاصة فى توليد ألفاظ جديدة مما يسهم فى اتساعها ويزيد فى ثرائها وغناها ، وعدّ القلب المكانى من هذه الوسائل ، يقول ابن عصفور : «وقسم قلب توسعًا من غير ضرورة تدعو إليه ، لكنه لم يطرد عليه فيقاس . . . ولا يمكننا استيعاب ما جاء من ذلك هنا لسعته» [١] .

٣- طلب الخفة ، وكراهية اجتماع همزتين فى الطرف : إن اجتماع همزتين فى آخر الكلمة مستكره مستثقل فى اللفظ ، ولتجنب هذا الثقل فإن العربية سلكت مسلك القلب المكانى للتخلص من اجتماع الهمزتين . ولتوضيح ذلك لابد من ذكر قانون صرفى مشهور يقضى بقلب الواو والياء همزة ، إذا وقعتا عينًا فى اسم الفاعل ، مثل نام (نَوَم) فاسم الفاعل منه نائم ، والأصل ناوم ، فقلبت الواو همزة ، وكذلك الفعل باع (بيع) اسم الفاعل بائع ، والأصل بايع ، فقلبت الياء همزة . وهذا قانون معروف ثابت فى علم الصرف [٢] . فلو طبقنا هذا القانون على الفعل (جاء) لكان اسم الفاعل منه يمرّ بالسلسلة الآتية :

جاء (جيَأ) . . . . جايِء . . . . جائِء .

ومن الواضح أن التلفظ بـ (جائىء) مستثقل ، وهذا الثقل ناجم عن اجتماع الهمزتين فى الطرف ، ولذا استبعدت العرب هذه اللفظة واستبدلت بها (جائى) .

ولتعليل هذه الظاهرة وتفسيرها ذهب الخليل إلى أنّ (جايئ) لم تقلب فيها الياء إلى همزة حسب قانون الإعلال السابق ، وإنما جرى فيها قلب مكانى ،

١- الممتع ٢/٦١٦ ، وانظر ارتشاف الضرب ١/ ١٦٠ .

٢- انظر المنصف ١/ ٢٨٠ ، والممتع ١/٣٢٧-٣٢٨ ، وشرح الشافية ٢/١٢٧ .

فتقدمت الهمزة ع على الياء فصارت الجائى [١] ، وبذا تُخُلِّص من اجتماع الهمزتين ، ومثل ذلك يقال في الجمع المكسر لمثل هذه الأسماء ، وكذلك الجمع المكسر للأسماء التى فيها همزة قبلها حرف مد ، نحو ، خطيئة وخطايا .

٤- **اختلاف اللغات** : ردّ كثير من اللغويين ظاهرة القلب إلى اختلاف اللهجات العربية ، فالبصريون يعدّون اللفظين إذا تساويا تصرفًا من باب اللغات [٢] . ويقول ابن دريد فى الجمهرة بباب الحروف التى قلبت : وزعم قوم من النحويين أنها لغات [٣] . وذهب ابن درستويه إلى أن ما يعده اللغويون قلبًا ما هو إلا لغات تداخلت [٤] .

ب- تفسير ظاهرة القلب المكانى عند المحدثين :

اهتم المحدثون بهذه الظاهرة وسعوا إلى تعليلها والكشف عن أسبابها ، ولا يكاد كتاب صرفى يخلو من الحديث عنها ، حتى إن بعضهم [٥] ألّف كتابًا مستقلاً فى هذه الظاهرة ، ويمكننا أن نجمل ما توصل إليه المحدثون فى تفسيرها بما يلى :

١- **التوسع فى اللغة** ، كما نص على ذلك القدامى ، وممن ذهب هذا المذهب الأب أنستاس الكرملى ، فقد عدّ القلب من موسعات اللغة [٦]

١- انظر سيبويه ٤/٣٧٧ ، ٣٨٠ ، والمنصف ٢/٥٣ ، والمحيط ١/١٤٩

٢- المزهر ١/٤٧٦ .

٣- نفسه ١/٤٨١ .

٤- نفسه ١/٤٨١ .

٥- هو الدكتور عبد الفتاح الحموز ، وانظر ما تقدم حاشية ٢٧ .

٦- انظر نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، ص ١٦ . وانظر أيضًا د. محمد بدوى المختون «ظاهرة القلب المكانى فى العربية» ، ص ٢٨٦ .

ويقول فى كتابه نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها : «والمراد بـ (تكامل اللغة واكتهالها) تقلب أحرف تركيبتها وإفادة معنى جديد فى كل تغير فيها ، وسهولة الاشتقاق من ذلك القلب مع استساغته ، فيكون مع هذا القلب الجديد معنى جديد واشتقاق جديد ، فى جميع الأوجه ، وقد يكون قلب ولا يكون سائغًا ، فلا يشتق منه شىء ، لأن ذوق العرب لا يستسيغه ، ويأبى أن يبقيه على لسانه ، لغرابته أو لشناعته ، فينبذه عنه نبذًا قصيًا لا ندم فيه ولا سدم ، مثال ذلك قولك : (مَدَح) نشتق منه : مدَّحه ، وتَمَدَّحه ، وامتَدَحَه ، والمَدْحَ والمديح ، والأُمْدُوحَة والممدوح . فإذا قلبته قلت حمد ومنه : حمده ، وحمدَّ الله ، وأحمد الرجل ، وتحمد به الحَمَاد ، والحُمَادَى والحُمادى ، والحمد والحَمَدَة إلخ . . .» [1] .

ومما هو خليق بالملاحظة هنا أن الأب الكرملى ، ينظر إلى القلب بمعناه الواسع ، ولا يشترط كما يشترط البصريون من وجود أصل وفرع ، وان يكون الفرع أقل تصرفًا . وثمة شىء آخر ، وهو أنه لا يرى أن يكون الأصل ومقلوبه متطابقين فى المعنى مطابقة تامة ، بل يكفى عنده أن يجمعها معنى عام مشترك ، ولا يضير أن يكون بينهما شىء من اختلاف فى الدلالة .

وإلى هذا ذهب الدكتور إبراهيم السامرائى ، ففى الكلمة التى صدر بها كتاب ظاهرة القلب المكانى فى العربية للدكتور الحموز ، يقول : «وربما تتجاوز هذه الظاهرة اللغوية جملة الكلم الذى حمل على القلب ، وكأنهم اشترطوا فى الأصل ومقلوبه أن يكونا بمعنى ، غير أنى أرى أن هذه الظاهرة تندرج فى جملة المواد التى تألفت منها العربية ، وإذا كان الإبدال فى يقفنا على مواد كثيرة جرى فيها المعربون ، أو قل سمحت بها العربية إلى الافتنان فى اختلاف

١- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ١٢٠-١٣٠ .

الدلالة ، مع شيء يجمع جمهرة هذه المواد فى معنى عام ، يسرى فى عامة هذه الألفاظ . الا ترى أن فرق وفقر ، وفرج وفجر ، وحذر ودحر ، ودحر ، وهدر شيء من هذه الدلالات التى توسع فيها فكان بينها اتفاق واختلاف فى الوقت نفسه ؟ وربما لم يلتفت الكثير إلى أنّ بين مدح وحمد وشيجة رحم»[1] . ولعل هذه النظرة الواسعة إلى القلب تمت بسبب وثيق إلى ظاهرة تقاليب الجذر الواحد التى فطن إليها الخليل بن أحمد ، وأولع بها ابن جنى وخصص لها بابًا فى خصائصه هو «باب الاشتقاق الأكبر»[2] .

والحق أنه يجب أن نميز بين نوعين من ا لقلب : أولهما هذا القلب الذى ينشأ عن تقاليب الجذر الواحد ، وهو بلا شك ليس له من سبب إلا التوسع فى اللغة وإغنائها ، غير أن انسجام أحرف بعض التقاليب ، وتقبل الذوق العربى لها . ونبذه ما لم ينسجم أو يأتلف ، جعل بعضًا منها ينتشر ويشيع ويكتب له الخلود ، وبعضها الآخر يستبعد ، فيندثر ويفنى .

أما القلب الآخر فهو الذى له أصل وفرع ، ومعنى كلّ منهما مطابق كلّ التطابق مع معنى الآخر ، ولا يمنع أن يتصرف الفرع تصرف الأصل ولا يبعد أن يشيع الفرع وينتشر أكثر من الأصل ، بل ربما نسى الأصل ومات ولم يعرف الناس إلا الفرع ، ومن الطبيعى أن يكون وراء ذلك أسباب أخرى غير التوسع فى اللغة .

٢- السهولة والتيسير ، وتجنب صعوبة النطق : من الرسوم الثابتة ، والأحكام الراسخة أن اللغة العربية تجنح إلى الخفة والسهولة وتبتعد عن صعوبة النطق وثقله ، حتى إنه يمكن أن نقول : إن كل ما استخفته العرب

١- عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٣ .

٢- الخصائص ١/ ٥٢٥-٥٣١ .

نطقته وكل ما استثقلته نبذته وتركته ، أو أوجدت مسربًا ومسلكًا للتخلص من هذا الثقل ، ولتحقيق نوع من الانسجام والائتلاف بين أحرف اللفظ الواحد .

وتأسيسًا على هذه الخاصية للغة العربية فسر الباحثون المحدثون ظاهرة القلب المكانى ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر : «وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتى ، كما فى طمس التى قلبت إلى طسم ، حتى لا يفصل بين الطاء والسين (وهما متقاربا المخرج) بالميم» [1] . وذهب إلى ذلك الدكتور رمضان عبد التواب ، فقال : «والقلب المكانى وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى ، وهى ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك» [2] .

وممن ذهب هذا المذهب أيضًا الدكتور عبد الفتاح الحموز إذ يقول : «ولعلّ ما يمكن حمله على توخى السهولة فى نطق بعض الأصوات ما نلحظه من قلب مكانى فى بعض الألفاظ العربية فى لغة بعض الأطفال كقولهم : قعْل فى عَقْل ، وإجعار فى إعجاز ، فقدموا القاف ، الحرف اللهوىّ على العين الحرف الحلقى فى الكلمة الأولى ، لأنه أيسر فى النطق فى صدر الكلمة من العين ، والقول نفسه فى الكلمة الأخرى ، فالجيم حرف شجرى ، والعين حرف حلقى ، فتتابع الهمزة والعين حرفى الحلق مستثقل عندهم ، ولذلك فصلوا بينهما بالحرف الشجرى» [3] .

١- د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى (القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ص ٣٣٦ .

٢- التطور اللغوى ٥٧ .

٣- عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٤٣ .

وكذلك حاول المستشرقون تعليل هذه الظاهرة اعتماداً على مبدأ السهولة والتيسير . ومن هؤلاء برجشتراسر ، إذ رأى أن من أسباب القلب تجنب صعوبة اللفظ الناشئة من تجاور بعض الأصوات ، ويذهب برجشتراسر إلى أن (افتعل) مقلوب من (اتفعل) ، فيقول : «والافتعال تاؤه فى العربية دائمًا تالية لفاء الفعل ، وكانت فى الأصل سابقة لها ، كما هى فى الآرامية نحو (eTKRi) أى اقترأ ، يعنى قرىء ، لكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل ، إذا كانت هى واحداً من حروف الصفير نحو (eSTMa) أى استمع ، يعنى سُمع . وعلى هذا القياس أخرت العرب التاء فى سائر الأفعال أيضًا [1] .

ويفهم من كلامه أن القلب كان سببه تجاور التاء - وهو صوت انفجارى - أصوات الصفير (السين والشين) فى مثل (اتْسَنَد) و (اتْشَدَّ) واضرابهما ، فتتابع الانفجارى والصفيرى مستثقل فى العربية وهو مستثقل فى اللغات السامية أيضًا [2] .

وإلى ذلك ذهب الأب هنرى فليش فى كتابه العربية الفصحى ، إذ يقول : «افتعل يفتعل ، وهى فى صورتها الأولى كانت تحتوى تاء (t) على الوجه :

يَتفَعِل . . . . . يَتْفَعِل .

فإذا حدث أن كان الصامت الأول من الأصل الثلاثى صوت صفير أو صوتًا (متفشيًا) مُسَرًا وهو الشين نتج من ذلك تتابع ثقيل فى العربية وذلك كأن نأخذ الصيغة الأولى الفعل سند ، فالصيغة منه : يَتسَّند ، وقد قلبت اللغة الصوامت على الوجه التالى : يَسْتَنِدُ إلى . فمن هذه الأفعال الكثيرة فشت

١- التطور النحوى ٩٢ .

٢- انظر عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٤٠ .

ظاهرة القلب المكانى . إلى الأفعال الأخرى ، التى تحتوى على هذا النوع من الأصوات فى صوامتها الأصلية الأولى» (١) .

ويرى الدكتور حموز أن ما تقلبه العامة مرده إلى التخلص من صعوبة اللفظ ، وطلب السهولة ، يقول : «ولسنا ننكر أن كثيراً من لحن العامة يمكن إخضاعه لهذا القانون كقولهم : أطعينى فى أعطينى ، للتخلص من صعوبة حرفى الحلق العين والهمزة ، وكذلك قولهم : هُصْ فى صه . ويتراءى لنا ذلك بيننا فى قول الأم لإبنها هصْ ، لإسكانه ، وقد يعود ذلك لأمر نفسى أيضًا ، ولعل ما يعزز تأخير صوت الصفير ، قول العامة فعص فى فصع ، وقولهم خفس الأرض فى خسفها» (٢) .

٣- **اختلاف اللهجات** : كما ردّ بعض العلماء القدامى القلب المكانى إلى اختلاف اللغات ، فإن بعض المحدثين أيضًا ذهبوا هذا المذهب وارتضوه ، فالدكتور صبحى الصالح يرى أن القلب المكانى يمكن أن يرد إلى اختلاف اللهجات ، يقول : «وفى هذا الجو الغامض من تأثر بعض الأصوات ببعض - وهو نتيجة حتمية لنطق قبيلة بدوية لم يتم صقل لغتها - لم يستنكف تميم عن تقديم الحروف وتأخيرها فى ألفاظ معينة ، فهى تقول فى القسم : رَعَمْلى ، عوضًا عن لَعَمْرى ، كما تقول جبذ بدل جذب» (٣) .

ويقول أيضًا : «فإن يك فى وسعنا أن نرجع بالكثير من هذه التقاليب إلى ضرب من اختلاف اللهجات . . .» (٤) .

١- هنرى فليش ، العربية الفصحى ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية) ، ص ١٤٦ .

٢- عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى اللغة ، ٤٩ .

٣- صبحى الصالح ، دراسات فى فقه اللغة (بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٧٠م) ، ص ١٠٣ .

٤- نفسه ٢٠٩ .

ومن علل ظاهرة القلب المكانى باختلاف اللهجات الدكتور إبراهيم السامرائى ، فهو يرجع هذه الظاهرة إلى اختلاف البيئات اللغوية ، ودليله على ذلك ما رصده من قلب مكانى فى الألسن الدارجة نتيجة اختلاف الأقاليم اللغوية ، يقول : «والذى نراه أن الألفاظ المقلوبة فى الألسن الدارجة ، ووجودها فيها يشعرنا أنها من الاختلافات الإقليمية اللغوية ، يقول كثير من العراقيين : «إن هذا الشىء يساوى نظيره الآخر» فى حين أن جماعات أخرى فى جهات معينة معروفة تقول : «إن هذا الشىء يواسى» . وهذه الاختلافات فى الألوان العامية كثيرة ، وربما اتخذنا منها دليلاً فى أن الألفاظ المقلوبة فى فصيح العربية ترجع إلى السبب نفسه» [1] .

وإلى ذلك ذهب الدكتور أمين السيد ، فهو يرى أن كل الألفاظ المقلوبة ما هى إلا لغات ، يقول : ولست أرى ما الذى منع البصريين من أن يقولوا : إنّ كلّ الألفاظ التى وقع فيها القلب تعتبر لغات أخرى» [2] . وأرى أن الدكتور السيد قد أبعد النجعة فى ذلك ، فلا يمكن أن نوافقه فى أن كل ما وقع فيه القلب مردّه إلى اللغات ، فهناك ضروب من المقلوبات ناجمة من أسباب صوتية كما رأينا .

وللدكتور عبد الفتاح حموز رأى أراه مصيبًا ، فهو يقول : «ولسنا ننكر أن يكون بعضها من باب اللغات ، ولكننا لا نستطيع عدّ تلك الألفاظ المقلوبة فى القبيلة الواحدة كذلك ، ولعلنا نستطيع أن نجارى أصحاب مظان اللغة وغيرها

١- د. إبراهيم السامرائى ، التطور اللغوى التاريخى (بيروت ، دار الأندلس ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) ، ١٢٠ .

٢- أمين السيد ، فى علم الصرف (القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٧٦م) ص ٦٨ .

فى الإشارة إلى أن تـلك اللفظة لغـة فى الأخرى أو متطورة ، أو أن الـلفظين لغتان» [1] .

٤- نظرية السلاسل الصوتية :

إن أحدث تفسير لظاهرة القلب المكانى ، هو نظرية السلاسل الصورية التى أخذ بها الدكتور إبراهيم أنيس ، اعتماداً عـلى الإحصائيات اللغوية التى أجريت بواسطة الحاسوب .

وتقوم هـذه النظـرية على أن الإنـسان يختـزن فـى مخـه محصولاً لـغويًا ضخمًا ، مرتبًا وفق سلاسل صوتية ، وهذه السلاسل تختلف فى نسبة شيوعها فى الكلام ، فمنها الكثير الشيوع ، ومنها المتوسط ومنها النادر . وأن السلاسل الصوتيـة الأكثر شيوعًا من الـناحية الإحصائيـة هى أكثر السلاسـل خطوراً فى الأذهان ، وأسرع فى الاستجابة حين الحاجة [2] .

وفى تفسـير حدوث القلب المكـانى بناءً علـى هذه النظرية يقـول الدكتور أنيس : «فإذا سمع السامع أو نطق الناطق بسـلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع ، تداعت لها مسرعـة سلسلة أخرى أشبه بها ، أو أقرب إليها ، وهى فى نفـس الوقت أكثر منها شـيوعًا وترددًا فى كلام الناس ، فكـأنما كانت تطفو على سطح الـشعور ، ولذلك تبادر قبل غيرها فى الاستـجابة إلى المتكلم أو السامع . فحلول سـلسلة صوتية محل أخرى ، وهذا هو الـقلب المكانى ، سره الحقيـقى أن السلسلة الجديـدة الطارئة أكثر شيوعًا ودورانًا فـى الكلام من الأخرى . هذا هو الذى يفسر لنا ظاهرة القلب المـكانى فى معظم أمثلة العربية بوجه عام» [3] .

١- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ص ٧٣ .

٢- انظر إبراهيم أنيس «مسطرة اللغوى» مجلة مجمع اللغة العربية ، ص ١٠-١١ .

٣- السابق ، ص ١١ .

وعلى ضوء هذه النظرية فسّر قلب (أَيِس) عن (يَئِس) ، قال : «خذ مثلاً الفعل «يَئِس» ومقلوبه (أَيِس) ، نجد أن التفسير العلمى لهذا القلب هو أننا نجد فى الإحصاءات التى بين أيدينا ، والتى استخدم فى استخراجها جهاز الكمبيوتر ، وهى الإحصاءات التى ندعوها مسطرة اللغوى ، نجد أن الجذر الثلاثى الذى يبدأ بالياء ، وبعدها الهمزة أقل شيوعًا من الذى يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرة واحدة فقط ، يرد الثانى عشر مرات .

وكذلك نجد أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بالهمزة وبعدها السين ، أقل شيوعًا من الذى ينتهى بالياء وبعدها السين ، فبينما يرد ا لأول فى إحصاءاتنا مرتين فقط ، يرد الآخر ثمانى مرات . وأخيرًا نجد أن المادة الثلاثية التى تبدأ بالياء وتنتهى بالسين أقل شيوعًا من تلك التى تبدأ بالهمزة وتنتهى بالسين ، فبينما ترد الأولى فى إحصائتنا سبع مرات ، ترد الأخرى خمسة عشر مرة . وهكذا نرى أن الذى سوغ القلب المكانى فى الفعل (يئس) ليصبح (أيس) هو نسبة شيوع السلسلة الصوتية ، (أيس) فى الكلام العربى أكثر كثيرًا من نسبة شيوع السلسلة الأخرى» [1] . وعلى ضوء هذه النظرية عدَّ أصل لفظة (مَلَك) هو (لأك) لا (ألَك) [2] كما ذهب إليه بعض النحويين .

إن هذه النظرية من حيث المبدأ مقنعة للباحث ، ولعلها الأقرب إلى تفسير ظاهرة القلب المكانى ، غير أننا كنا نود من الدكتور الفاضل الا يكتفى بالتمثيل بلفظين فقط للتدليل على صحة نظريته ، ولكن يكفيه أنه كان رائدًا فى هذا الحقل ومكتشفا لهذه النظرية . ولعل بعض المهتمين بالإحصاءات اللغوية عن

١- السابق ، ص ١١ - ١٢ .

٢- انظر إبراهيم أنيس «ملك ، ملاك ، ملائك ، ملائكة» مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، جـ٣١ (صفر ١٣٩٣هـ ، مارس ١٩٧٣م) ص ١٢ .

طريق الحاسوب ، يُخضع أكبر عدد من الكلمات المقلوبة للدراسة الإحصائية ، لنرى مدى اطّراد هذه النظرية فى تفسير هذه الظاهرة .

٥- **الوهم والخطأ** : ربما يكون الوهم والخطأ سببًا من أسباب القلب المكانى ، وقد أشار القدامى إلى مثل هذه القلب الذى يرد إلى التصحيف والخطأ فى الرواية [١] . وأشار إليه من المحدثين الدكتور صبحى الصالح [٢] ، والدكتور عبد الفتاح حموز [٣] ، والدكتور محمد بدوى المختون [٤] . وأكثر مايتضح ذلك فى لهجات العامة ولغة الأطفال من مثل قولهم : تفلفس فى تفلسف ، وفلفسة فى فلسفة ، وجنزبيل فى زنجبيل والبرهجة فى البهرجة .

ولعلى لا أجاوز الحقيقة إذا ما زعمت أن هذا السبب يرد إلى باب السهولة والتيسير وتجنب الصعوبة . وذلك أن أكثر هذه الكلمات المقلوبة إما إنها كلمات أجنبية دخلت العربية مثل كهربـاء وفلسفة ، وإما إنها كلمات عربية صعبة اللفظ . وفى كلتا الحالتين فالمتكلم الذى لم تصقل لغته كالعوام والأطفال فإنه يقع فى كلامه ذلك القلب طلبًا للخفة وهربًا من الثقل .

٦- **وأخيرًا** قد يكون المقلوب منشؤه العبث والتهكم فيكون فى قلب بعض الألفاظ نوع من التفكه ولفت الانتباه ، وهذا ما نجده ونسمعه فى كثير من مجالس الأنس والسمر بين الأصدقاء ، والظرفاء منهم خاصة ، ونسمعه أيضًا فى بعض المشاهد التمثيلية ، والإشهارات التجارية ، مثل : (Jours Bon , Bonjours) .

١- انظر ابن منظور ، اللسان (سعب ، قنط) والزبيدى ، التاج (سعب ، حلجز) .

٢- دراسات فى فقه اللغة ، ٢٠ .

٣- عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٧٤ .

٤- محمد بدوى المختون ، «ظاهرة القلب المكانى فى العربية» ، ص٣٠١ .

صور القلب المكاني :

يرد القلب المكاني على خمس صور محتملة ، سأذكرها مرتبة حسب ورودها في شرح الرضي للشافية [1] :

١- تقديم اللام على العين : وهذه الصورة أكثر صور القلب وروداً ، مثل : نَاءَ مقلوب عن نَأى ، وراءَ في رَأى ، ولاعٍ في لائع ، ورَضَبَ في رَبَضَ ، وشَواعٍ في شَوَائعَ .

٢- تقديم اللام الأولى على العين ، وهي صورة قليلة ، مثل : طَأمنَ وأصله طَمْأنَ ، وهذا مذهب سيبويه وقد خالفه أبو عمر الجرمي فكان يرى أن (طمأن) هو الأصل وقد وافقه ابن عصفور على ذلك [2] .

٣- تقديم العين على الفاء : مثل أيِس في يَئِس ، وجاهٍ في وَجْهِ ، وآراء في أرآء . وآبار في أبآر .

٤- تقديم اللام على الفاء : وهذه صورة نادرة ولها مثلا واحد هو (أشياء) وأصلها شَيْئَاء ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه .

٥- تأخير الفاء على اللام . وهي صورة قليلة الحدوث ، ومن أمثلتها الحادي وأصله الواحد ، أخرت الواو إلى ما بعد اللام (الدال) فصار حادو ، فوقعت الواو طرفًا بعد كسر ، فغلبت ياءًا فصار الحادي . ومثل ذلك ، الطادي ، وأصله الواطد . وشأنها شأن (الحادي) من حيث القلب والإعلال .

١- شرح الشافية ١/٢١-٢٢ .

٢- انظر ما تقدم حاشية ٥ .

هل فى القرآن الكريم قلب مكانى ؟

مر معنا أن من أسباب القلب المكانى الخطأ والوهم ، وهذا الضرب من القلب لايمكن أن يرد البتة فى القرآن الكريم ، فكتاب الله عز وجل منزه عن كل وهم أو خطأ . بيد أن ثمة أنماطًا أخرى من القلب ، يمكن أن ترد فى القرآن الكريم .

ولم أعلم - حسب اطلاعى المحدود - أحدًا من القدماء أنكر القلب فى القرآن الكريم إلا ابن فارس ، فبعد أن ذكر القلب فى كتابه الصاحبى ، قال : «وليس من هذا - فيما أظن - من كتاب الله جلّ ثناؤه - شىء» [1] . وكلام ابن فارس هنا لم يكن قاطعًا جازمًا ، فهو يقول : فيما أظن . عبارة ممرضة كما يقول أجدادنا . والظن لا يغنى من الحق شيئًا .

فالأمر إذاً يحتاج إلى بحث وتدقيق ، وتقصٍ وتمحيص فى القراءات القرآنية . وقد كفانا مؤونة ذلك الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، فقد نشر مقالاً فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ، وذلك بعدما أمعن النظر فى القراءات القرآنية ، يقول ردًا على كلام ابن فارس الآنف الذكر : «والحكم بأن القرآن خلا من القلب المكانى إنما يكون بعد النظر فى القراءات المتواترة ، وقد نظرت فى هذه القراءات» [2] .

وكانت نتيجة تلكم النظرة الفاحصة إثبات القلب المكانى فى القرآن الكريم فى قراءات سبعية على ثلاثة أضرب ، وضحها الأستاذ بقوله : «فوجدت

١- الصاحبى ، ٢٠٢ .

٢- محمد عبد الخالق عضيمة «القلب المكانى فى القرآن الكريم» مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الأول ، (السنة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ) ص ٢٧٥ .

قراءات سبعية متعينة للقلب المكـانى واخرى تحتمل القلب وغيره ، وثالثة يكون فيها قلب عند بعض النحويين ، ولا يكون فيها قلب عند آخرين» [1] . ثم أورد أمثلة على كـل ضرب ، ذاكراً القراءات المختلفة ، وتوجيه تـلك القراءات على طريق القلب المكانى [2] . وبعد ذلك ختم بحثه بإيراد أمثلة على القلب المكانى فى القراءات الشاذة [3] .

١- السابق ، ٢٧٥ .

٢- السابق ، ٢٧٥ - ٢٧٩ .

٣- السابق ، ١٧٩ - ٢٨٤ .

الخاتمة

وفى نهاية بحثنا هذا ، يمكننا أن نجمل القول بما يلى :

إن القلب المكانى ظاهرة بارزة فى لغتنا العربية الفصيحة والدارجة على حد سواء ، كما نجدها فى بعض اللغات الأجنبية وخاصة الساميات منها .

وقد أشار إليها القدامى ، وذكروا أمثلة عليها ، وبينوا حدها وأدلتها ، وحاولوا تفسيرها ، فأرجعوها إلى اختلاف اللغات والاتساع فى اللغة وإلى الضرورة الشعرية .

كما استحوذت هذه الظاهرة على اهتمام المحدثين والمستشرقين ، فجعلوا لها حيزًا فى مؤلفاتهم ، وحاولوا البحث عن أسبابها من أجل تفسيرها تفسيرًا علميًا ، فأرجعها بعضهم إلى نظرية السهولة وتجنب الصعوبة فى النطق ، وردها فريق إلى اختلاف البيئات اللغوية ، إلى جانب تفسيرات أخرى ، ولعل كل هذه الأسباب مجتمعة - على اختلاف كبير فى التأثير - قد أسهمت فى نشوء هذه الظاهرة .

وأحدث تفسير لهذه الظاهرة نظرية السلاسل الصوتية التى اعتمدت على الإحصاءات اللغوية عن طريق الحاسوب ، ولعل هذه الإحصاءات إذا طبقت على أكبر عدد من المقلوبات ، تقدم نتائج أفضل يطمئن إليها الباحث فى هذه الظاهرة .

ثبت المصادر والمراجع

١- الأنطاكى ، محمد الأنطاكى ، المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها (بيروت ، دار الشرق ، ط٣) .

٢- الأستراباذى ، رضى الدين الأستراباذى ، شرح الشافية ، تحقيق محمد نور الحسن ورفيقه (القاهرة ، مطبعة حجازى) .

٣- برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

٤- بروكلمان ، كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة رمضان عبد التواب (الرياض ، مطبوعات جامع الرياض ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٧م) .

٥- بكوش ، الطيب بكوش ، التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث (تونس ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، ط٢ ، ١٩٨٧م) .

٦- الجرجانى ، على بن محمد الجرجانى ، التعريفات (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ) .

٧- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان بن جنى .

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار (بيروت ، دار الهدى
٣ للطباعة والنشر) .

- المنصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين (القاهرة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٤م) .

٨- الحديثي ، خديجة الحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه - بغداد ، مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٩٦٥ .

٩- الحريري ، القاسم بن علي ، درة الغواص في أوهام الخواص ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر) .

١٠- الحملاوي ، أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف (بيروت ، المكتبة العلمية ، بلا تاريخ) .

١١- الحموز ، عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكاني في العربية : عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، عمان ، دار عمار ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) . نُشِر بدعم من جامعة مؤتة .

١٢- أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق مصطفى أحمد النماس (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

١٣- الزبيدي ، مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس (الكويت ، مطبعة حكومة الكويت) .

١٤- السامرائي ، إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي (بيروت ، دار الأندلس ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

١٥- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥م) .

١٦- السيد ، أمين السيد ، في علم الصرف (القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٦م) .

١٧- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى بابى الحلبى وشركاه ، بلا تاريخ) .

١٨- الشدياق ، أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩هـ) .

١٩- الشمسان ، أبو أوس إبراهيم الشمسان ، دروس في علم الصرف ، (الرياض ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤١٨هـ) .

٢٠- الصالح ، صبحى الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٧٠م) .

٢١- عبد التواب ، رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى : مظاهره وعلله (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الرياض ، دار الرفاعى ١٩٨١م) .

٢٢- ابن عصفور ، على بن مؤمن بن عصفور ، الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة ، (حلب ، المكتبة العربية ، ط١ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

٢٣- عمر ، أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى (القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .

٢٤- ابن فارس ، أحمد بن فارس ، الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمى (بيروت ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م) .

٢٥- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معانى القرآن ، تحقيق عبد الفتاح

شلبى ، مراجعة على النجدى ناصف (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بلا تاريخ) .

٢٦- فليش ، هنرى فليش ، العربية الفصحى ، ترجمة عبد الصبور شاهين (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، بلا تاريخ) .

٢٧- فندريس ، اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠م) .

٢٨- الفيومى ، أحمد بن محمد بن على الفيومى ، المصباح المنير (بلا تاريخ ، وبلا مكان) .

٢٩- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار المعرفة) .

٣٠- الكرملى ، الأب أنستاس مارى الكرملى ، نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية) .

٣١- الكردى ، فرج الله زكى الكردى ، شروح التلخيص (القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، بلا تاريخ) .

٣٢- مالمبرج ، يرتيل مالمبرج . علم الأصوات ، تعريب عبد الصبور شاهين (القاهرة ، مكتبة الشباب ، بلا تاريخ) .

٣٣- المغربى ، عبد القادر المغربى ، الاشتقاق والتعريب (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م) .

٣٤- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨هـ) .

٣٥- هلال ، محمد محمود هلال ، الوافى الحديث فى فن التصريف ، (منشورات جامعة بنغازى ، ط١ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) .

تبسيط استخدام اللغة العربية
الضعف اللغوى والإصلاح

د. عوض بن حمد القوزى
جامعة الملك سعود

نحس ضعفًا واضحًا فى المستوى اللغوى لطلابنا فى الجامعة ، هذا الضعف لا يقف عند حدود الإعراب ، والسيطرة على النحو وقواعده ، بل يتعدى النحو إلى الصرف وما يتعلق ببنية الكلمة الصحيحة ، إلى التركيب وبناء الجمل ، فضلاً عن القصور فى استخدام الصور وتوظيف علوم البلاغة فيما يُكتب ، ناهيك عن الضعف فى الإملاء وقواعده ، ومكملاته من علامات الترقيم وصنعة الخط والكتابة .

وتتصاعد الشكوى بين الفينة والأخرى معلنة عن صعوبة اللغة العربية ملتمسة البلسم الشافى من المتخصصين فى علومها بتبسيط مناهجها ، لتسهيل ولوج بحارها ، والاستفادة من تراثها ، ويهبُّ بعض الغُيُر من أبناء هذه الأمة محاولاً تذليل الصعاب ، وإزالة العقبات التى تعترض سبل التعلّم والاستفادة ، وفى خضم المعمعة تختلط أوراق المجددين بأوراق المحافظين ، وصيحات المتضررين بصيحات المنقذين ، ويهدأ الضجيج ، وتخفت الأصوات ، وينصرف كل بما معه ، فالمشتكون يعودون بالمرارة إذا لم يجدوا منقذًا ، ولم يحصلوا فائدة ، والمؤمل فيهم الحل يلملمون أوراقهم كالمنهزم فى المعركة .

وتبقى الشكوى ، وتظل الأجيال تتوارثها ، والحل غير بعيد ، لكن الوصول إليه ليس سهلاً ولا مفروشًا بالورود .

قبل الدخول فى الموضوع وتقرير ما يمكن تقريره من حيث صعوبة اللغة العربية أو سهولة تعلمها ، ينبغى أن نعترف أن مادة النحو والصرف ليست من المواد ذات الجذب النفسى للمتعلمين ، وأن الإقبال عليها أقل من تقبل غيرها من العلوم العربية ، فإذا ما أضفنا إلى ذلك تعلم أصواتها ، ودراسة لهجاتها ، فإنا نكون قد أضفنا على المتعلم عبئًا إلى أعبائه ، وهذه الصعوبات لم تأت من جهة هذه العلوم وحدها ، بل لعل هناك من الأسباب ما يمكن وراء هذه الصعوبات ، فقد نقل الجاحظ عن الخليل بن أحمد قوله : «لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاج إليه ، حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه» [1] .

إن دارسى اللغة العربية بعامة ، والنحو العربى بخاصة يدركون الظروف الفريدة التى نشأ فيها علم النحو ، كما أنهم على علم تام بالمصادر المختلفة التى قدمت له المادة اللغوية ، والعلماء الذين توفروا له وعملوا فى حقله [2] فهم على علم بمواقف الأعراب من هذا العلم الذى يرونه يعالج كلامهم بكلامهم بما ليس فى كلامهم [3] .

وهم على علم أيضًا بشكوى الدارسين من صعوبة هذا العلم ، أو لنقل بعض مسائله ، والتماس تبسيطها ، على نحو ما نجد عند «دَمَاذ» أبى غسّان رفيع بن سلمة تلميذ أبى عبيدة ، وهو يخاطب أبا عثمان المازنى النحوى (ت٢٤٩هـ) :

---

(١) الحيوان ١/ ٣٧ - ٣٨ .

(٢) انظر : دراسات فى اللغة والنحو العربى / ٨٧ .

(٣) عيون الأخبار ، ٢/ ١٧٤ .

تفكَّرتُ في النحو حتى مَللْت — وأتعبتُ نفسي له والبدنْ
وأتعبت بكرًا وأصحابه — بطول المسائلِ في كلّ فنْ
سوى أن بابًا عليه العفا — ء للفاء ياليْتَهُ لم يكُنْ
فكنت بظاهره عالمًا — وكنتُ بباطنه ذا فطَنْ
وللواو بابٌ إلى جنْبِهِ — من المقت أحْسَبُهُ قد لُعِنْ
إذا قُلت : هَاتُوا لماذا يقا — ل لَسْتُ بآتيك أو تأتِيَنْ
أجيبوا : لما قيل هذا كذا — على النصب ؟ قالوا : لإضمار أنْ
وما إن رأيتُ لها موضعًا — فأعرف ما قيل إلا بظَنّ
فقد خفتُ يابكرُ من طول ما — أفكر في أمر «أنْ» أن أُجَنّ [1]

ولم تقف الشكوى عند بعض المتعلمين ، بل تعدّت إلى بعض العلماء ، فهذا الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وهو من هو في الثقافة العربية يستصعب شروح أبي الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢٢٥هـ) لبعض المسائل النحوية في كتاب سيبويه ، فيتوجه إلى الأخفش قائلاً : «أنت أعلم الناس بالنحو ، فَلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلّها لله وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالُك تقدّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم . . .» [2] ، بل إن الأخفش نفسه استصعب بعض كتب النَّظَّام وأضرابه فلم يفهم أكثرها [3] وإذا كان هذا حال الجاحظ والأخفش ، فما بالنا بمن هم دونهما ذكاء ونفاذ بصيرة ، بل ما بالنا بمن جاءوا بعدهما في عصور الخلافات النحوية ، وما جدّ في مدارس النحو بين النحاة في الأقاليم العربية المختلفة من الآراء

(١) انظر العقد الفريد ٣١٦/٢ ، إنباه الرواة ٢/٥/-٦ .

(٢) الحيوان ٩١/١ - ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه .

والتعليلات المتشعبة . . . ؟ [1] .

لقد كان تعلم النحو فى العصور الأولى صعبًا ، وهو كذلك فى العصور التالية ، ولكن الإقبال على تعلمه لم ينقطع ؛ لإدراك الناس اهمية هذا العلم ، وأنه جمال للوضيع ، كما ان تركه هجنة للشريف [2] .

وكانوا ينفقون بسخاء على تعلّمه ، ويصبرون على عويصه ، فقد حدَّث المازنى أن رجلاً قرأ عليه كتاب سيبويه فى مدة طويلة ، فلما بلغ آخره قال الرجل للمازنى : أمّا أنت فجزاك الله خيراً ، وأما انا فما فهمت منه حرفًا [3] .

هذه الشكوى ونحوها دعت القائمين على نشر هذا العلم أن يفكّروا فى تبسيطه وتقريبه إلى الناس ، فالأخفش مثلاً - وهو الذى نقل إلينا كتاب سيبويه - يؤلف مسائله الصغرى ثم الكبرى لتبسيط بعض أبواب الكتاب [4] .

والمازنى يضع كتابه فى التصريف خاصة دون مزجه بالنحو ، والجرمى (ت٢٢٥هـ) يؤلف شرحًا لكتاب سيبويه وصف بأنه جيد ، وعرف باسم «الفرخ» ومعناه «فرخ كتاب سيبويه» [5] .

ثم يعكف تلاميذ هؤلاء من بعدهم على تلمس الوسائل لتبسيط هذا العلم من خلال وعائه الذى وصل إلينا متمثلاً فى كتاب سيبويه ، فالمبرد يقدم النحو فى صورة أكثر نضارة فى المقتضب ، فيحاول تقريب ألفاظه وتهذيب

---

(١) انظر تيسير النحو ، ضمن كتاب : فى أصول اللغة ٣/١٩٩ .

(٢) العقد الفريد ، ٢/٤٧٨ .

(٣) انظر مراتب النحويين / ١٢٦ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين / ٦٣ .

(٥) إنباه الرواة ٢/٨١ .

مصطلحـاته ، وتذليل عباراته مع المحافـظة على شخصية الكاتـب ، ثم يحمل راية الـرياسة بعـده تلاميـذه الذين كان ابـن السراج وأبـو إسحاق الزجـاج من أبرعهم ، فيتناول الأول النحو فى أسـلوب جديد ويعرضه فى كتاب «الأصول» عرضًا جديدًا ؛ يدعو طلاب العربية إلى تقبله ، وتجاوز صعوباته ، وفى خضمّ ذلك تزدهر الحركـة العلمية وتنشط الدراسـة النحوية ، حتى إنها لـم تعد تقف عند الرأى النحوى دون مناقشة أو تعليل ، وأصبحت المسلَّمات الأولى خاضعة للجدل والـتوجيه ، وتجاوز علم النـحو حدود الإعراب ، ومجال حفـظ اللسان من الوقوع فـى اللحـن ، لقد أصبح علـمًا خاضعًا للمنطـق ، وأصبح علماؤه لا يقنعون بـاستظهار قواعده دون سبـر لأغوارها ، وتعليل لظـواهرها ، وهذا وإن كان مما يحسـب لهم فضله ، إلا أنه لا يعفيـهم من تبعة تصعيـبه وإغماضه علـى الناشئـة الذين بـعدت بهم الأمـكنة والأزمان عـن لغة الـعرب الفصـحاء وسماعها غـضة طريّة من أهلها ، فهـم يتلقونها - أصولاً وفـروعًا - مصحوبة بقوانينها الجديدة ، وتعليلاتها المنطقية المجردة - فتصاعدت الشكوى من صعوبة النحو ، ومن عدم فهم لفظ كتاب سيبويه «وكان من المفروض والنحو قد وضع للحفـاظ على اللغة ، ووقـاية الألسنة من الخطـأ أن يحرص القائمـون عليه ، والمعنـيون به علـى أن يظل سهــلاً ميسورًا خالـيًا مـن التـعقيد بعـد تقسيمه وتفصيله ، وتناوله للجزئيات والفروع» (1) .

فانبرى تـلاميذهم مـن علـماء العربية فـى الـقرن الرابع الهجرى يـبسطون لفظـه ، ويذللون صعبـه ، ويشرحون متنـه ، فأبدعوا فى ذلك ، وبـرعوا فى التعامل معه ، حتى إن ابن أبى سعيد السيرافى لما قرأ كتاب «الإقناع» الذى ألفه

---

(1) النحو العربى بين التطوير والتيسير / مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء ٧٠ ، ذو القعدة ١٤١٢هـ / مايو ١٩٩٢م ، ص ٢٣٦ .

أبوه قال : «وضع أبى النحو فى المزابل بالإقناع ، أى سهّله جداً فلا يحتاج إلى مفسر» [1] .

ولما اطلع عضد الدولة على إيضاح أبى على الفارسى استسهله فقال : «إنما يصلح هذا للصبيان» [2] ولمَّا استصعب طلاب العربية كتاب سيبويه هبّ نفرٌ لشرحه وتبسيطه ، فشرحه أبو سعيد السيرافى شرحًا أجاد فيه بما لم يسبقه أحد ، ولم يأت بعده أحد بمثله [3] ومثله فعل معاصره أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت٣٨٤هـ) حيث شرحه شرحًا مفصلاً ، بأسلوب لم يسبق إليه [4] . وجعله أبو على الفارسى همه وسدمه ، حتى أصبح أشبههم تفردًا به ، وإكبابًا عليه [5] ، فعلق عليه تعاليق مفيدة [6] وخصه بمسائل نافعة ، ذللت صعبه ، ويسرت الطريق نحو فهم نصوصه [7] ، كما صنع نصر بن هارون القرطبى (ت٤٠١هـ) كتابًا بحث فيه بعض مسائل الكتاب سماه : «شرح عيون كتاب سيبويه» وهو فى منهجه يشبه إلى حدٍّ كبير منهج أبى على فى تعليقته ، وما كتاب «الجمل فى النحو» لأبى القاسم الزجاجى (ت٣٤٠هـ) وكتاب «الواضح» لأبى بكر الزبيدى (ت٣٧٩هـ) ، وكتاب «اللمع فى العربية» لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت٣٩٢هـ) إلا محاولات قصد بها مُصنفوها تيسير النحو

(١) انظر بغية الوعاة / ٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق / ٢١٦ .

(٣) معجم الأدباء ٨/ ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) انظر الرمانى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه / ١٩٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٥) الامتناع والمؤانسة ، ١ / ١٣١ .

(٦) انظر التعليقة على كتاب سيبويه ، بتحقيقنا ، وقد نشر فى ستة أجزاء .

(٧) للفارسى مسائل كثيرة منها البغداديات والحلبيات ، العسكريات ، العضديات ، الشيرازيات ، والمنثورة ، وكلها تدور حول موضوعات من الكتاب ، وقد نشرت هذه المسائل ولله الحمد ، بالإضافة إلى بقية كتبه كالإيضاح والتكملة ، والحجة للقراء السبعة .

وتسهيل تعلُّمه ، بعيداً عن التعقيد والتعليل ، حيث تلقَّفها طلاب العربية واستحسنوها ، لأنها تستجيب لحاجاتهم من هذا العلم بطريقة سهلة ميسرة ، صيغت لغايات تعليمية ، وسلك بها مصنفوها سبل اليسر والسهولة دون أن يثقلوا أذهان المتعلمين بكثير من قواعد العربية فتداولتها الأيدى واحداً بعد آخر وشرقت وغربت فى البلاد العربية ، فقد انتشر كتاب «الزجاجى فى مصر والمغرب والحجاز واليمن والشام، وما انصرف عنه طلاب العربية حتى ظهر إيضاح أبى على ولمع ابن جنى ، وقد حظيت هذه الكتب باهتمام الدارسين فتناولوها شرحًا وتوضيحًا وتعقيبًا واستدراكًا ، وكل ذلك انعكس على تلقف الدارسين لها بالقبول والرضا ، لاقتصارها على عرض المسائل الأساسية الضرورية لتقويم اللسان والقلم وبُعدها عن الاستطرادات وسرد دقائق القضايا النحوية والصرفية ... »[1] .

وما دام تيسير النحو مطلبًا ملحًا فلابدّ إذن من أن نعرف العوامل التى كان لها أثرها فيما انتهى إليه من صعوبة وتعقيد[2] وأهم هذه العوامل :

أولاً :

اعتداد النحاة بالأخذ عن المصادر السليمة البعيدة عن مظنة التحريف ، ومبالغتهم فى ذلك حتى إنهم اعتدوا بالبيت الواحد ، وبشطر البيت الذى لا يعرف باقيه ، مما أدَّى بهم إلى أن يصفوا بعض ما جمعوه بأنه شاذ ، أو نادر ، أو ضعيف ، أو قليل ، فى الوقت الذى كان لهم غناء فى اتخاذ القرآن الكريم

(١) انظر تيسير تعليم العربيـة فى التراث ، مجلة مجمع اللغة العربية الجزء (٥٨) شعبان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٣٧ - ٤٦ .

(٢) انظر النحو العربى بين التطوير والتيسير ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السبعون ، ذو القعدة ١٤١٢هـ / مايو ١٩٩٢م ، ص ٢٣٦ - ٢٤١ (بتصرف) .

والحديث النبوى الصحيح وما اتفق عليه الرواة من رائع الشعر والخطب والوصايا مثلاً يحتذى به ، ونموذجًا يقتدى ، فلو سلكوا هذا المسلك القريب لخلصوا النحو من الأساليب الشاذة الميتة ، ولخلصوه من كثير من الحشو ، ولأبعدوا عنه كثيراً من عوامل التعقيد والتلبيس .

ثانيا :

تأثر علماء النحو بالدراسات الفلسفية المنطقية ، الأمر الذى أبعدهم عن واقع اللغة ، وصرف الهمم عن الأساليب التى استعملها العرب إلى نهج عقلى يفترض المسائل ويحللها ، ويبتدع العلة ويضرب فى متاهاتها ، مما أدخل فى النحو ما ليس منه ، كاستعمال مصطلحات المتكلمين من بسط ، وتركيب ، وتسلسل ، واجتماع الضدين وغير ذلك .

ثالثا :

الإغراق فى التعليل والمبالغة فيه ، وقيام كثير من عللهم على الحدس والتخمين ، الأمر الذى يؤول بهم إلى كثير من التعسف والتكلف ، على نحو قولهم فى علة وجود النون فى المثنى والمجموع جمع سلامة بأنها لحقتهما عوضًا عما فاتهما من الإعراب بالحركات ومن دخول التنوين ، وحذفت هذه النون مع الإضافة للتعويض ، ولم تحذف مع الألف واللام للتعويض بها عن الحركة وقيل : لحقت لدفع توهم الإضافة ، ودفع توهم الإفراد ، وأنها كسرت فى المثنى على الأصل ثم خولفت الحركة فى الجمع طلبًا للفرق ، وجعلت الفتحة طلبًا للخفة .

رابعا:

مبالغتهم واحتفاؤهم بالعامل ، وتفرقهم شيعًا فيه ، وخلافهم فى كنهه ، الأمر الذى أدى بعدد منهم إلى المطالبة بإلغاء نظرية العامل ، وأن فى تخليص النحو منها خيراً كثيراً ، ولو أنهم نظروا إلى العامل كما نظر إليه واضعوا اللغة نفسها لما وصلوا إلى ما وصلوا من خصومة وخلاف ، لأن العامل لم يقصد منه إلا التقريب والتيسير على الدارسين ، حتى يسهل عليهم الربط بين الألفاظ ، وتظهر علاقة بعضها ببعض ، وما يترتب على هذا الربط من ضبط خاص لهذه الألفاظ .

خامسا:

اختلافهم فى تقدير إعراب بعض الألفاظ ، وهل هى معربة بالحروف أم معربة بالحركات والحروف ناشئة من إشباع الحركات ، أم أن هذه الحروف دلائل إعراب ، أم أن انقلابها هو الإعراب ، وهل هذه الألفاظ معربة من مكان أو هى معربة من مكانين ، وسواء اتفقوا أو اختلفوا فلن يغيروا شيئا من تلك الحروف .

سادسا:

المبالغة فى دراسة بعض الألفاظ ، وهل هى بسيطة أم مركبة ، وكالبحث فى جموع التكسير للمفردات المختلفة ، ونحو ذلك مما يضعونه من ضوابط ومعايير ليست قاطعة فى الدلالة ، كما أنها ليست جامعة للمفردات ، وكان من الأولى أن تُنَحَّى هذه الأساليب عن دراسة النحو وأن توضع حيث يجب أن تكون ، لا أن يُحشر بها المنهاج وتثقل بها المادة العلمية .

سابعاً :

لجوء المصنفين إلى التمارين غير العملية ، والصيغ المفترضة التى لم تتكلم بها العرب ولم تعرفها لغتهم ، وهذه لا تزيد الذهن إلا عناء ولا النحو إلا صعوبة وتعقيداً ، «وإنه من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة يعجب من الجهد المبذول فيها حقًا ، غير أنه يضلّ وسط الآراء الجدلية النظرية ، التى لا تفيد كثيراً فى الدرس النحوى ، والابتعاد عن الواقع اللغوى إلى الافتراض» (١) .

يضاف إلى تلك العوامل اعتدادهم بمبدأ التأخير والتقديم ، وحيث يكون أحد هذين واجبًا أو جائزًا ، فضلاً عما أولعوا به من التقدير والحذف ، وانتحاء سمت علماء الكلام فى التعليل ، يقول ابن جنى : «اعلم أن علل النحويين - وأعنى بذلك حذاقهم المتقنين ، لا ألفافهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين» (٢) وهو مع ترجيحه علل النحويين على علل المتفقهين ، وإلحاقها بعلل المتكلمين إلا أنه يقول : «لا ندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ، ولا عليها براهين المهندسين ، غير أنا نقول : إن علل المتكلمين على ضربين : أحدهما : واجب لابد منه ، لأن النفس لا تطيق فى معناه غيره ، والآخر ما يمكن تحمله ، إلا أنه على تجشم واستكراه له» (٣) ، ولذلك فقد شاعت مصطلحات المتكلمين عند بعض النحاة كقولهم : «منزلة بين المنزلتين» (٤) وأن لفظًا مثل (كلاّ) يقع بين الأسماء والأفعال (٥) بالإضافة إلى مصطلحاتت «الأصل ، والفرع ، والنظير ، والسبب» وغيرها (٦) .

---

(١) بحوث ومقالات فى اللغة / ١٥١ .

(٢) الخصائص ١/ ٤٨١.

(٣) المصدر السابق ١ / ٨٧ - ٨٨ .

(٤) أسرار العربية / ١٤١ .

(٥) طبقات النحويين واللغويين / ١٣٣ .

(٦) انظر قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين / ٢٩ - ٣١ .

ولا شك أن اختلاف مناهج المدارس النحوية تبعه اختلاف نحاتها فى استنباط الأحكام كما أن الاختلاف بينهم حول المادة اللغوية أدى إلى اضطرابهم فى الأحكام نتيجةلاختلاف مناهجهم فى القياس والسماع ، واعتدادهم ببعض اللهجات على حساب أخرى دون الاحتفال بمستوى لغوى واحد أو لهجة واحدة (١)

الذى يبدو أن نحاة القرن الرابع الهجرى أدركوا ما وصلت إليه الدراسات النحوية من تعقيد ، وأنها أخذت تبتعد عن وظيفتها الأساسية وعندئذ خلّصوا بعض مؤلفاتهم من أوضار التعقيد فلقيت هذه قبولاً عند طلاب العربية ، ورواجًا كبيرًا استمر عقودًا زمنية طويلة على نحو ما أشير إليه سابقًا من تقبل الدارسين «جمل الزجاجى ، وإيضاح الفارسى ، وواضح الزبيدى ، ولمع ابن جنى» .

ونظرًا لارتباط علم النحو باللغة ، وأن اللغة العربية هى وعاء الدين الإسلامى ، فإن أى إصلاح فى هذا العلم يجب الا يغفل ارتباطه الوثيق بموروث هذه الأمة الدينى ، فلا ينبغى أنْ يحس أهل هذه اللغة أن التيسير قد مسّ هذا الموروث من قريب أو بعيد ، وليس معنى هذا تقديس اللغة ، ولكن احترام مشاعر أهلها يفرض على دارسيها مراعاة أسسها ، وتقدير مكتسباتها .، ومراعاة الضوابط التى أحاطت بها منذ وقت مبكر ، فحفظتها عبر العصور مغالبة عوادى الزمن وعوامل التغير (٢) .

ولعل المثالين التاليين يبلوران هذه الحقيقة ويجليان ما أومأنا إليه :

---

(١) انظر تيسير تدريس اللغة العربية سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية ، عام ١٩٧١ / ١٩٧٢م ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق / ١٨٩ .

أمّا المثال الأول : فيتمثل فى ثورة ابن مضاء (ت٥٩٢هـ) فى وجوه نحاة العربية ، و «أنّهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها (الصناعات النحوية) القدر الكافى فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكها ، ووهنت مبانيها . . . على أنها إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول ، المجرد عن المحاكاة والتخييل ، كانت من أوضح العلوم برهانًا ، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزانًا ، ولم تشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون [١] . ثم بيّن غرضه من تأليف كتابه بعد توطئة منطقية رصينة تعكس مذهبه الفقهى والنحوى ، فقال : «قصدى فى هذا الكتاب أن حذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه ، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظى . . .» [٢] .

فثورة ابن مضاء كما تعكسها دراسة محقق كتابه التى صدّره بها «لاتزرى على نظرية العامل ، وتلتمس تهجينها ، لأنها فاسدة فى ذاتها ، وإنما لما تجرُّه من تقدير فى العبارات لعوامل ومعمولات على نحو ما نعرف فى أبواب الضمائر المستترة ، والتنازع ، والاشتغال ، ونواصب المضارع من مثل الفاء الواو ، وأن النحاة ليبالغون فى هذا التقدير مبالغة تؤدى بهم فى كثير من الأحوال ،إلى أن يرفضوا أساليب صحيحة فى العربية ، ويضعوا مكانها أساليب واهية غثّة . وليس هذا كل ما تجرُّه نظرية العامل فى كتاب النحو العربى ، فهى تجر وراءها أيضًا حشدًا من علل وأقيسة يعجز الثاقب الحسّ والعقل عن فهم كثير منها ، لأنها لا تفسر غامضة من غوامض التعبير ، ولا دفينة من دفائن الأسلوب ، وإنما تفسر فروضًا للنّحاة وظنونًا مبهمة» [٣]

---

(١) الرد على النحاة / ٧٢ .

(٢) المصدر السابق / ٧٦ .

(٣) المصدر السابق / ٧ - ٨ .

هذه الثورة لم تعضُدها الآراء ، ولم تتقبلها العلماء ، فكانت صرخة منفردة فى تلك الأصقاع من بلاد الأندلس ، البعيدة عن مراكز الثقافية العربية فى بغداد والشام ومصر والحجاز ، وقد كان صداها ضعيفاً ، ولم تحظ بالقبول كما أن المنهج الذى اختطه ابن مضاء لم يقدّره النحاة التقليديون بعده حق قدره ، فنسى اسمه ، وغاب عن الدرس النحوى رأيه (١) .

ولنا أن نسأل : لماذا لم يحظ رأى ابن مضاء بالقبول عند الدارسين بالرغم من جرأته فى التصريح بتعقيدات النحاة ونداثه أن يكون تيسير النحو قائمًا على نبذ هذه التعقيدات بتحطيم نظرية العامل ، وتحطيم التقدير فى العبارات ، ثم تحطيم الأقيسة والعلل ، وكذلك التمارين غير العملية وكل ما لا نفيد منه صحة فى الأداء ولا صوابًا فى اللسان ؟ ! (٢) .

الذى يبدو أن إعراض النحاة عن طرحه هذا ومناقشته فيما ذهب إليه يعود إلى دعوته لنقض بناء قد تعالى ، وثبت قرونًا ، وتوطدت دعائمه ، وأن من يستصعبه فى عهد ابن مضاء أو بعده كان الأولى به الابتعاد عنه إلى غيره ، وكأن لسان حالهم يقول :

إذَا لمْ تَسْتَطِعْ شيْئًا فَدَعهُ ... وَجـاوِزْهُ إلَى مَا تَسْتَطِيعُ

نظروا إلى طرح ابن مضاء على أنه مخالفة لسنن مطروقة ، ودرب ممهدة مأهولة ، وأن إلغاء بعض مقومات هذا الأثر عدوان على ملازماته من الآثار ، فعدوه هجومًا بلا مبرر ، وعدوا استجابتهم له تمهيدًا لتنازلات أكثر ، تصل فى نهاية المطاف إلى إضعاف هذا العلم إن لم تبلغ به مرحلة الموت .

---

(١) أصول النحو العربى / ب ، وتيسير النحو ، ضمن كتاب فى أصول اللغة الجزء الثالث ، من إصدارات مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى ، ص ٢٠١ .

(٢) الرد على النحاة / ٨ - ٩ .

صحيح أن الدرس النحوى يعانى من صعوبات تتمثل فى العامل ، والإعراب التقديرى ، والحذف والإضمار ، وتشعب الآراء بين أصحاب المذاهب النحوية ، ولكن الإلف الذى درجوا عليه قرونًا جعل التخلى عن شئ منها أصعب فى نظرهم من تجشم تعلمها وفهم عللها وأقيستها لذلك فقد صدوا عنها وتركوها إريًا فكريًا معطلاً .

أما المثال الثانى : فمن تراث عصر ابن مضاء نفسه أعنى القرن السادس الهجرى ممثلاً فى كتاب «المفصّل» للزمخشرى (ت٥٣٨هـ) نظر الزمخشرى فوجد أن النحو لم يتغير أو يتطور منذ عصر سيبويه ، وأن المؤلفات التى ظهرت فى الفترة الواقعة بينه وبين عصر سيبويه لم تخرج عن دائرة «الكتاب» ، «فتمرّد على الدرس النحوى ، وأعمل فى مباحثه ما يشبه عملية الهدم والبناء . كان الزمخشرى فريداً فى اتجاهه هذا بين معاصريه الذين كانوا يحترمون القديم ويتمسكون به ويحرصون على الحفاظ عليه ... ولعل أهم ما جدّ على النحو بفضل الزمخشرى هو مواجهة أحكامه وقضاياه بعقلية مستقلة ، وتصور متحرر ، ثم مواجهة تخطيطه ومنهجه بحركة ثورية جديدة ... كان الزمخشرى يحس إحساسًا قويًا بأن النحو كعلم - يدرس لذاته أولاً ، ولتقويم اللسان ثانيًا ، ولفهم النص اللغوى ثالثًا ، وللتوفيق بين أحكامه ونصوص اللغة التى يعالجها رابعًا - متخلف ، وفى حاجة إلى مسايرة اللغة ، وإلى تخطيط جديد ، وهذا ما صنعه بجرأة لا نظير لها بين من سبقوه ومن عاصروه» (١) .

إن نظرة عجلى فى «المفصل» تعكس عدم تأثر مؤلفه بنظرية العامل ولا بنظرية المعمول ، ولا بالفصل بين قضايا النحو وقضايا الصرف ، هذه النظريات التى أربكت النحاة قبله ، وسببت لهم الكثير من الخلط

(١) تطور الدرس النحوى / ٨٠ - ٨٢ .

والاضطراب . . . من أجل ذلك سلم له من النحو ما أراده للنحو ، . . ولعل من أهم مميزاته أنه تخلَّى عن كل ما كان يشوب المؤلفات النحوية من الحشو والاستطراد وذكر الخلافات ، كما تخلى عن التعليلات العقلية أو المنطقية . لهذا لم يكد يظهر كتاب «المفصَّل» حتى أقبل الدارسون عليه إقبالاً لا يعادله تقريبًا إلا الإقبال على كتاب سيبويه بعد وفاة صاحبه ؛ ذلك لأنهم وجدوا فيه طلبتهم متمثلة فى الحصول على المادة النحوية خالصة من الشوائب ، وسهلة التناول فى عبارة موجزة [1] .

من خلال هذين المثالين نستطيع أن نقرر فى ثقة أن عوامل النجاح والقبول لعمل الزمخشرى كانت فى منهجه الذى لم يسفِّه رأيًا للقدامى ، ولم يتعرض لجهودهم بالانتقاص ، بل سعى إلى تحقيق هدفه بهدوء ومنهجية ذكية ، جعلت الناس تتلقف صنيعه ، وتتقبَّله بالرضا ، فشرق وغرَّب ، وحظى باهتمام العلماء والباحثين إذ أكبُّوا عليه قراءة ، وشرحًا وتعليقًا حتى ليخيل للدارس أنهم كادوا ينسون كتاب سيبويه ، وحل من اهتمام الدارسين محل إيضاح أبى على الفارسى الذى شغلوا به قرابة قرن ونصف القرن قبله . كما نستطيع أن نقرر أن سبب فشل ابن مضاء فى تحقيق دعوته الجزئية فى المنهج والمنطق ، كان فى تحديه لمشاعر سدنة هذه اللغة ، ومحاولته بتر بعض أجزاء مكونات ثقافتها النحوية - حتى ولم تكن هى مصدر الداء - ، فالبرغم من دعوته إلى التيسير ، ورغبة طلاب العربية فى النحو الميسر إلا أن التنازل عن الأسس التى رأى أنها شوائب يجب النظر فى التخلص منها ، أصبحت عند المشتغلين بهذا العلم مبادىء وثوابت لا تقبل المناقشة ، وليس من اليسر التخلى عنها .

فإذا ما تجاوزنا عهد ابن مضاء والزمخشرى رحمهما الله ، وتخطينا العصور

---

(١) المصدر السابق ٨٢ - ٩٠ .

التالية مروراً بالجهود المبذولة فى تيسير النحو ، عن طريق نظم قواعده فى منظومات شعرية قصد منها تسهيل حفظ تلك القواعد على الدارسين كألفية ابن معطى ، وألفية ابن مالك ، وشروحهما ،وما أضافته دراسات ابن هشام ومعاصريه فى المشرق والمغرب ، إذا تجاوزنا هذه العصور إلى العصر الحديث وجدنا أن قضية التيسير تعود جذعة وينبرى لإثارتها جلة من علماء هذا القرن [1] ، يأتى فى مقدمتهم : الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مصطفى ومشروعه الذى ضمنه كتابه «إحياء النحو» وفيه دعا إلى إلغاء بعض أبواب النحو ، والاكتفاء بأبواب عيَّنها ، وحدد الإطار لكل منها ، إلى جانب بعض الآراء الجريئة التى خالفت ما استقر عليه عرف الدارسين فى أبواب كثيرة .

وتستهوى صرخة المرحوم إبراهيم مصطفى القائمين على التربية والتعليم فى وزارة المعارف المصرية ، فتؤلف لجنة من كبار الأساتذة فى النحو والأدب ضمت أعضاء من رجال الوزارة نفسها ومن أساتذة جامعة القاهرة ودار العلوم فتدرس آراءه ، وتتوالى اجتماعاتها ، وتتقدم بمقترحاتها للتيسير المنشود ، وتلتقى مقترحات اللجنة مع مقترحات الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كثير من نقاط الاتفاق ، ثم عرضت الوزارة هذه المقترحات الرامية إلى تيسير النحو على مجمع اللغة العربية ، فأولاها اهتمامه ، وبعد إجراء بعض التعديلات عليها أقرها مصدِّرة بالقرار :

«إن كل رأى يؤدى إلى تغيير فى جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر إليه» ثم طلب المجمع إلى الوزارة أن تؤلف كتب النحو للناشئة على أساس مقترحات لجنة الوزارة وما أدخل عليها من تعديلات . وبعد نحو عشر

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى : تيسير النحو والكتابة (ضمن إصدار مجمع اللغة العربية فى خمسين عامًا) فى عيد المجمع الخمسينى ، ص ١٦٩ - ١٧٢ .

سنوات ألفت الكتب وأخذت الناشئة تتعلم هذا النحو الميسر ، غير أن الشكوى منه عمَّت جميع المدارس ، ورئى الانصراف عنه وإهماله ، والذى يبدو أن هذه الكتب خرجت على غير ما أراده لها المجمعيون ، فكانت بمثابة الدواء الذى يصرف للمريض مخالفًا لوصفة الطبيب ، أو أنها خرجت عن النص - كما هو معلوم عند أهل الفن فى عصرنا - فكانت النتيجة أن تموت تلك المحاولات ، وتعود الحال إلى ما كانت عليه وكأن شيئًا لم يكن .

وتوالت اللقاءات والمؤتمرات بعد ذلك متخذة موضوع تيسير النحو مائدة للنقاش والدراسة إلا أن المشروع يرفض جملة من قبل مجمع اللغة العربية بدمشق ، كما يرفض رفضًا صريحًا من قبل مجمع بغداد (١) .

ويُزامن هذا المشروع دعوةٌ إلى إلغاء الإعراب من العربية ، والاستعاضة منه بتسكين أواخر الكلمات المعربة بحجة أن الإعراب لا صلة له بالمعنى ولا تأثير له فيه (٢) ، وأخرى إلى إحلال العامية محل العربية الفصحى (٣) ، ويقوم المعارضون والمؤيدون وتتمخض الجولة عن ظهور أعمال لكلا الأطراف ، حيث ظهر «النحو المعقول» للدكتور محمد كامل حسين (٤) ، والنحو الجديد «لعبد المتعال الصعيدى» ، و «حصوننا مهددة من داخلها» للدكتور محمد حسين وكتاب «من قضايا اللغة والنحو» للدكتور على النجدى ناصف ، وغيرها ، كما نشر فى الفترة نفسها كتاب «الرد على النحاة» مصدرًا بدراسة ضافية للتيسير الذى ينادى به ابن مضاء منذ قرون ، تلك الدراسة التى قدمت فى هيئة مشروع إلى مجمع اللغة العربية . وبالرغم من تقبل بعض أعلام ثقافتنا المعاصرة أمثال

---

(١) المصدر السابق / ١٧٢ .

(٢) انظر : من قضايا اللغة والنحو / ٤ .

(٣) المصدر السابق / ٤١ - ٤٩ .

(٤) الجزء ٢٧ من مجلة مجمع اللغة العربية .

الدكتور طه حسين وجهة نظر ابن مضاء وإعلانه أن هناك ما يؤيد وجهة نظره من ضرورة إصلاح النحو وتجديده ، وتقديمه إلى النشء في صورة ميسرة سهلة ، بعيدة عن الفلسفة والتعمق والغموض والتعقيد» [1] . بالرغم من ذلك إلا أنه لم يكتب لذلك المشروع شيء من النجاح كما لم يحالف النجاح كتب النحو التعليمى التى ألفت في ضوء تلك المقترحات [2] ، حيث اختفت «قواعد اللغة العربية» لحفنى ناصف ، و «النحو الواضح» لعلى الجارم ، وبهتت جذوة كل محاولة للتيسير ، ثم يعود الحال كما كان وتعود الشكوى من صعوبة النحو ، وتعم الأقطار العربية دون استثناء ، وتتطلع الناشئة إلى من يخفف من معاناتها فى التعامل مع هذه القوانين المجردة ، والاختلافات المذهبية والأقيسة المنطقية والتعليلات التى تشتت أذهان الدارسين دون أن تقدم لهم خدمة ملموسة فى صحة النطق أو فهم النصوص . ومع التوسع فى التعليم بمراحله المختلفة فى الأقطار العربية يتسع حجم المشكلة التى تواجه الناشئة فى تعلم النحو والصرف ، فكان على المفكرين وحملة الرسالة أن يجدوا حلاً لمشكلات الشباب التعليمية ، وليس أهم من اللغة العربية التى هى هوية الأمة كلها ، ووعاء ثقافتها ، ورمز وحدتها .

ويبعث مشروع التيسير من جديد فى عام ١٩٧٧ م على يد الدكتور شوقى ضيف صاحب ابن مضاء ورفيق منهجه الداعى إلى تخليص النحو العربى من كثير من شوائبه . فقد طور هذه المرة مشروعه الذى تقدم به قبل ، وشاء الله أن يقر المجمع شطراً كبيراً من مقترحات هذا المشروع ، فأتبع مشروعه برسم إطار لتنفيذ التيسير المقترح فى كتابه المرسوم بعنوان : «تجديد النحو» [3] وبالرغم

(١) انظر طه حسين ومشكلة النحو ضمن كتاب «بحوث وباحثون ، الكتاب الثانى» ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) انظر تجديد النحو / ٣ .

(٣) صدر هذا الكتاب عن دار المعارف سنة ١٩٨٢م .

من وجاهة ما دعا إليه بصفة عامة إلا أنه لم يسلم من بعض المآخذ ، ولكن من القسوة أن يقال : إن «الكتاب غير صالح فى نـهجه وتبويبه ومادته ليكون عتاداً يرجع إليه مؤلفو كتـب النحو التعليمى ، ليضعوا على أسـسه كتبًا لهم كما كان يرجو مؤلفه» [1] .

إن الذى لا يختلف عليه اثنان هو «أن ما يـحتاج إليه تلميذ المرحلة الأولى يختلف عمـا يحتاج إليه طالب الجامعـة غير المتخصص فى اللغـة العربية ، وما يحتاج إليـه هذا الطالب يختلف عمـا يجب أن يلم به الطالب المـتخصص الذى يعدُّ نفسه ليكون معلمًا للغة العربية . . .» [2] وليس ثمة شك أن القائمين على تدريس النحو العربـى فى الجامعات قد لمسوا عن كثب ما يتطلـع لمعرفته الطالب المنتمى لـغير تخصص اللغة العـربية من هذا العلم ، فى الوقـت الذى لا يشبع ذلك القدر من المسائل النحوية نهم الطالـب المتخصص فى قسم اللغة العربية ، فإذا كان الأول قنوعًا بما يقيم عبارته المكتوبة أو المنطوقة ، فإن الثانى سيندفع لا شعوريًا وراء خلافـات النحاة ، ومذاهبـهم ، ،سيبحث الـعلة مستعـذبًا طرقها ومناهجها وفلسفة علمائها .

كلنـا يعلم ثقل هـذه المادة بما أثخنت بـه من علل ثوان وثوالـث ، ولست أشك فى أن أحـداً لا يطيـب له إثارة مثـل تلك العـلل عند مـن يتبـرم مـن سماعها ، ترى أليس كافيًا أن يعلم الطالب أن الفاعل مرفوع وكفى ، وأن ذلك الرفع ثبت باستقراء كلام العرب المتواتـر ؟ أليس الحكم هنا كالحكم بحرمة شىء جاء فيه نص مـن الكتاب أو السنة ؟ وأنّ السؤال : لـم حرِّم لا يوجب الجواب على الفقيه ؟! فكـذلك لو سئل فى النحو عن العلة فقـال : للفرق بين الفاعل

---

(١) النحو العربى بين التطوير والتيسير ، مـجلة اللغة العربية ، الجزء السبعون ، ذو القعدة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ص ٢٥١ .

(٢) المصدر نفسه .

والمفعول فلم يقنعه ، فسوف يسأل ولِمَ لَمْ يُنصب الفاعل ويرفع المفعول ؟! وهكذا من علة إلى أخرى دون أن يكون لمعرفتها قيمة فى العلم [1] .

إن حبنا للعربية وتقديرنا لدورها فى حمل الثقافة الإسلامية يجب أن لا ينسينا أن مثل الناشئة فى تعلمها كمثل المريض أمام الطبيب ، فلو زادت جرعة الدواء فقد تؤدى بحياته ، ولو نقصت عن حاجة جسمه لم يفده الدواء ، فينبغى مراعاة الحال .

وإن تبسيط المطولات من كتب التراث مطلب من مطالب التيسير ، وكذلك التخفيف من الخلافات والعلل والأقيسة والتأويلات النحوية ، كما أن الإسراف فى الاستشهادات التى تظهر فيها الصنعة ، ويعول فيه على الندرة والشذوذ يجب أن يخلص منه النحو الذى يقدم للنشء ، وأن تبقى تلك المماحكات للمتخصصين فى هذا العلم دون سواهم .

ثم إن الإعراب الملبس ينبغى أن يكون مناسبًا للمرحلة التعليمية للطالب آخذًا بعين الاعتبار مرحلة النضج العقلى ، ففى إسناد الأفعال المعتلة إلى الضمائر يواجه الطفل وهو فى منتصف المرحلة المتوسطة (الإعدادية) أمثلة مثل قولهم : (أنتم تَسْمُون إلى ذُرى المجد) ، (وأنتُنَّ تَسمُون إلى ذرى المجد) فيطلب منه التفريق بين النونين والواوين فى الفعل فى الجملتين ، ويواجه فى الباب نفسه أمثلة من نحو : (أنتِ تَسْعَيْنَ فى عمل الخير) ، و (أنتُنَّ تَسْعَيْنَ فى عمل الخير) فيطلب إليه معرفة الفرق بين الياء فى الفعلين ، وكذلك النون فيهما . أليس مما يثير فضول الطفل أو يحير عقله أن نعرب له النون الأولى علامة رفع للفعل المضارع لأنه من الأفعال الخمسة ، وأن الياء فيه فاعل ؟ وفى

---

(1) انظر الرّد على النحاة / ١٥١ - ١٥٢ .

الوقت نفسه نحاول أن نقنعه أن النون فى الجملة الثانية فاعل ، وأن الياء هى حرف الإعراب وأن أصلها الألف فى (سَعَى وَيَسْعَى) ؟ ترى هل هذه العملية تتناسب ومستوى التفكير اللغوى لطفل الحادية عشرة أو الثانية عشرة ؟! أمن الحصافة أن نطلب من طفل المرحلة الابتدائية أن يفرق بين واو الجماعة فى الفعل المضارع والواو فى جمع المذكر السالم ؟ ترى كيف يستطيع المعلم فى هذه المرحلة أن يفرق بين الواوين وأن أحدهما ضمير فى محل رفع فاعل ، والآخر علامة للإعراب ؟ أليست ألغازاً نضعها أمام ناشئتنا ونحن نطلب منهم الفرق بين الألفين فى قولنا (الولدان) ، والأخرى فى (يجتهدان) ، فإذا تكونت من الكلمتين جملة واحدة كيف نمتحن ذكاءه بأن الألف فى الكلمة الأولى علامة الإعراب للمثنى ، لكنها فى الكلمة الثانية فاعلٌ أما النون فى الكلمة الأولى فتثبت عوضًا عن التنوين فى الاسم المفرد ، لكنها فى الكلمة الثانية علامة لرفع الفعل ؟! .

أليس حريًا بنا وقد أصبحت جامعاتنا تقذف بخريجيها من المعلمين التربويين أن نراعى قدرة الطالب ومرحلته العمرية ، وأن نقدم له ما نريده نحن بطريقة لا تحرمه العلم الضرورى ، كما لاتنفره من طلب ما هو ضرورى .

إن الذين وقفوا ضد مطلب التيسير ينبغى أن يدركوا أن التغيير ينبغى أن يكون واعيًا للرسالة مستهدفًا بناء العربية لا هدم أسسها ، وأن الأسلوب الذى كان يناسب طلاب العربية فى العصور الإسلامية الأولى ، أو العصور الوسطى قد لا يكون من الحكمة أن نقسر طلابنا فى هذا العصر عليه ، وأن تنطلق النصوص التى نقدمها للناشئة من تراثنا الفكرى ، مع إلباسها طابع عصرنا الحاضر ، حتى لا يشعر المتعلم أنه إنما يردد قوالب من التعبير والخبرة البشرية

دون معنى أو محتوى ، وأن التيسير ليس معناه التنكر للماضى أو محاولة طمسه وإهماله ، بل هو السعى نحو فهمه فى ضوء معطيات العصر ، وجعله وسيلة نافعة فى الحياة الحاضرة .

ثم ما بالنا نألف إذا قيل لنا عن تيسير هذا العلم وتسهيله أمام النشء ؟ ألم نستجب للصرخة الأولى التى دعت إلى إحلال مناهج الرياضيات الحديثة محل التقليدية ؟! كلنا يعلم ما قاسى الآباء من صعوبات فى هذه النقلة العلمية ، بل لقد دخلت مدارسنا ولما يتهيأ لها المدرسون المتخصصون ، وارتفعت شكوى الطلاب وأولياء أمورهم ، ولكن قيل لهم : اصبروا ، فصبروا حتى أصبحت اليوم مستساغة عندهم ، وأخذت الشكوى من صعوبتها تختفى ، وتقبلها فى مدارسنا يعكس الرضا عنها . ومثل ذلك يمكن أن يقال فيما أصاب مناهجنا من تطور فى حقل مادة العلوم أيضًا .

إذن فلم لا نوطن أنفسنا على التيسير الذى لا يضيع هوية لغتنا ، ولا يبعدنا عن تراثها ؟

بقيت مسألة مهمة وهى التى لا نكاد نفكر فيها فى زماننا هذا ، الزمن الذى فصل بين أصحاب الهدف الواحد بحجة التخصص ، فأستاذ الأدب يعتذر عن مناقشة إعراب مشكل لكلمة تعرض له ، أو تصريف لفظ أشغل المتعلم عند قراءة القصيدة أو النص الأدبى ، وأستاذ النحو لا يعير الصورة البلاغية التى تعرض له أى اهتمام ، كما أن أستاذ البلاغة لا يهمه غير معرفة ما فى النص من جمال ومن صور وجناس ونحو ذلك أما الطالب فيهمه معرفة ذلك كله ، وعجبًا لمعلم يكون أدنى من طلابه !

إننا لو تناسينا مسألة التخصص على الأقل فى محاضراتنا ، وجعلنا

موضوع الدرس فـى خدمة «العربية» دون فصـل لعلومها ، أزعم فـى النهاية أننا سنصل معًا إلى تكوين شخصية لغوية متكاملة لدى الناشئة ، وهذا هو الأسلوب القديم فى التعليم ، فحين وضع سيبويه كتابه لم يخصصه للنحو أو للصرف أولهما معًا ، بل كان «موسوعة كبيرة لكل المعارف المتصلة باللغة . . . إنه يقدم لنا أبحاثًا فى الأصوات وفى طبيعتها ، وفى صلتها باللغة كوسيلة للتفاهم من ناحية وكأداة للإفصاح والبيان من ناحية أخرى ، وأبحاثًا فى الصرف ومجالاته المختلفة ، وأبحاثًا فى المعانى والبيان والبديع ، وأبحاثًا فى الأدب والنقد الأدبى ،وأبحاثًا فى فقه اللغة وما يندرج تحته من مسائل وقضايا ، وأبحاثًا فى موسيقى اللغة والعروض ، وأبحاثًا فى لهجات العرب ودرجاتها من القوة وما ترتب على ذلك من مذاهب وآراء» [1] ، إننا لسنا بصدد أن نقرر ماذا يحتوى كتاب سيبويه من العلوم العربية ، فقد كفانا سيبويه نفسه مؤونة ذلك عندما افتتح كتابه بقوله :

«هذا باب علم ما العربية» [2] .

ثم لما تلقفه طلابه ونخص منهم الأخفش الأوسط ، كانوا يقومون بتدريس مادة الكتاب كلها ولا ينزعون إلى تخصص على حساب العلم بالعربية ككل لا يتجزأ ، وإذا كان الربط بين هذه العلوم مطلبًا فى ذلك الزمان فإنه فى زماننا هذا أكثر إلحاحًا وأسمى هدفًا .

ثم إن مما يقتضيه التيسير المطلوب اختيار النصوص ذات الوظيفة اللغوية الأدبية والمعلومات الثقافية ، فى أسلوب واضح بعيد عن التعقيد والتقعر

---

(١) تطور الدرس النحوى / ٥٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٢ .

والغرابة والإلـغاز ، ولا مانع من تدريبهـم على القراءة والحفظ ما أمـكن لهم ذلك لتـتعود ذلك نـفوسهم وتدرج عـليه ألسـنتهم ، أما الـتزام الفصـحى فى التدريس فمطـلب لنجاح التجربة التربـوية للنشء ، وإلا فكيف يستـقيم اللسان بتعلم القواعد نظريًا دون تطبيعها عمليًا ؟!

المصادر

١- الأنبارى ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد :

أسرار العربية ، عنى بتحقيقه محمد بهجة البيطار .

مطبعة الترقى بدمشق .

٢- التوحيدى : أبو حيان :

الامتناع والمؤانسة .

٣- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

الحيوان .

تحقيق عبد السلام محمد هارون ، منشورات محمد الداية ، بيروت ، ودار إحياء التراث العربى ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

٤- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان :

الخصائص .

تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .

٥- حموده ، طاهر سليمان

تيسير تدريس اللغة العربية

جامعة الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٢م .

٦- خليفة ، عبد الكريم :

تيسير تعليم العربية فى التراث .

مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن والخمسون ، شعبان ١٤٠٦هـ ، مايو ١٩٨٦م .

٧- الزبيدى ، أبو بكر محمد بن الحسن :

طبقات النحويين واللغويين

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

٨- السيد ، عبد الرحمن :

النحو العربى بين التطوير والتيسير

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء السبعون ، القعدة ١٤١٢هـ / مايو ١٩٩٢م .

٩- السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى :

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة

الناشر : دار المعرفة - بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

١٠- ضيف ، شوقى :

- تجديد النحو ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢م .

- تيسير النحو ، ضمن كتاب فى أصول اللغة عن مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى ، جـ٣ ، الطبعة الأولى ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- المدارس النحوية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .

١١- عبد التواب ، رمضان :

بحوث ومقالات فى اللغة

الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار ا لرفاعى بالرياض ، مطبعة المدنى - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

١٢- ابن عبد ربّه : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى

العقد الفريد

بتحقيق : الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

١٣- أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد بن على :

مراتب النحويين

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

١٤- عون ، حسن :

- تطور الدرس النحوى : منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ١٩٧٠م .

- دراسات فى اللغة والنحو العربى

منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

١٥- عيد ، محمد :

أصول النحو العربي في نظر النحاة ، ورأي ابن مضاء فيضوء علم اللغة الحديث ، الناشر عالم الكتب بالقاهرة ، ١٩٧٨م .

١٦- القرطبي ، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء ،

الرّد على النحاة

تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

١٧- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف :

إنباه الرواة على أنباه النحاة

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

١٨- المبارك ، مازن :

الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه

الطبعة الثالثة ، دار الفكر بدمشق - سوريا ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

١٩- مدكور ، إبراهيم مدكور

بحوث وباحثون ، الكتاب الثاني - باحثون - منشورات مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٢٠- ناصف ، على النجدى :

من قضايا اللغة والنحو

مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

٢١- ياقوت ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى :

معجم الأدباء

نشرة مارجليوث ، دار إحياء التراث الإسلامى - الطبعة الأخيرة ، بيروت - لبنان ، بلا تاريخ .

٢٢- ياقوت ، محمود سليمان :

قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين

دار المعارف بمصر ١٩٨٥م .

المصدر الصناعى فى الصحافة المصرية (١٩٩٦-١٩٩٨)
دراسة صرفية دلالية

د. عزة عبد الحكيم عبد الفتاح

أولاً: الإطار العام للبحث :

١ - هذه دراسة صرفية دلالية للمصدر الصناعى فى النثر العربى الحديث على بعض الصحف الرسمية المصرية مثل : جريدة الأهرام ، والأخبار والجمهورية والشعب والدستور والوطن ، حتى نعرف ما طرأ على لغتنا العربية فى الفترة من ١٩٩٦ م إلى ١٩٩٨ م . إن اللغة تتأثر فى خصائصها وتطورها بعوامل كثيرة مثل : اتساع الحضارة وكثرة الحاجات والمرافق ورقى التفكير الذى يؤدى إلى نهضة اللغة وسموّ أساليبها ، ودخول مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة . ويشهد ماضى العربية الزاخر بالفتوحات العلمية والفلسفية والأدبية أنها لغة حية متطورة باستطاعتها أن تحتوى على جميع أنماط الفكر الإنسانى وتستوعب كلّ قضايا المعرفة الكونية من علوم رياضية وطبيعية تجريبية وتطبيقية ، وقد تفتحت على ثقافات الأمم والشعوب التى سبقها وحضاراتها ، فأخذت منها كلّ صالح نافع وأضافت إليها ما ابتكرته وأبرت به على تراث العالم القديم فما قصرت ولا عجزت

عن مطلب أو مرام[1] . كما تحيا الفصحى فى عصرنا حياة مزدهرة أبعد حدود الأزدهار وهو أزدهار أتاح لها لغة علمية حديثة ، وفنوناً أدبية متنوعة ، وأسلوباً مبسطاً ميسراً مع استيلائها على ساحة الصحف .

٢ - اخترت عينة هذا البحث من بعض الصحف المصرية عام ١٩٩٦ م (الأهرام والأخبار وصوت الأمة والوطن) ، وعام ١٩٩٧ م صحف (الأهرام والجمهورية والوفد والدستور والوطن) وعام ١٩٩٨ م صحف (الأخبار والأهرام والشعب والوفد والمواجهة) حيث تمكنت من جمع (خمسمائة وثمانين كلمة) تمثل المصدر الصناعى ، وهو عدد كبير يدل على أن الفصحى المعاصرة لم تكسب ألفاظ المصطلحات العلمية وحدها ، ولكنها كسبت أيضاً آلاف الألفاظ المعبرة عن أدوات الحضارة وشئون الحياة العامة ، وبجانب ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم تحمل الفصحى المعاصرة مصطلحات سياسية كثيرة ، ويتضح ذلك فى المقالات الصحفية التى يقرؤها الجمهور كلّ يوم[2] .

وقد قسّمت البحث إلى عدة نقاط تتناول :

* آراء النحاة حول المصدر الصناعى قديماً وحديثاً .
* تقسيم الكلمات صرفياً .
* تقسيم الكلمات إلى أنماط دلالية .

٣ - يعد المصدر الصناعى من أكثر المصطلحات المصدرية شيوعاً وأهمية لدى المعاصرين وإن كان متأخراً فى وضعه كمصطلح إلا أنه كان موجوداً عند القدماء كمفهوم وصيغة فمصطلح المصدر الصناعى حديث فى وضعه قديم

---

(١) بحث للدكتور عبد الله كنون فى مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٤١ ص ١١٧ .

(٢) انظر / مقال للدكتور شوقى ضيف فى مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٤١ ص ٢١ .

فى صيغته ؛ حيث لم يرد مصطلح «المصدر الصناعى» عند القدماء ولكن وردت أمثلة قليلة لهذا النوع من المصادر فى كتبهم ، ولكن اهتمامهم به يقل كثيراً عن اهتمامهم بباقى المصادر الأخرى من حيث الدراسة والتحليل والتصنيف .

وقد أطلق القدماء عدداً من المصطلحات على ما يعرف بالمصدر الصناعى ليس من بينها هذا المصطلح ، فالخليل بن أحمد أطلق مصطلح «المصدر» على عدد من الصيغ ، قال : «اللصوصية والتلصّص واللصوصة مصدر اللّص» ولم يصطلح سيبويه على المصدر الصناعى بمصطلح ما ، وإن كان قد وردت عنده أمثلة ، مثل : «الجبرية والتقدمية» وأورد الفراء مصطلح المصدر ، وبه قال الأزهرى وتابعه فى ذلك ابن قتيبة وابن درستويه ، واستخدم ابن سيدة مصطلح «النظائر» واستخدم أبو البقاء مصطلح «الاسم» وعبر عنه وليم رايت باسم «الكيفية» ، The Abstract noun of quality ، وأطلق عليه برجشتراسر «اسم المعنى»[1] .

أما مصطلح المصدر الصناعى فقد وجد أول مرة عند الحملاوى فى كتابه «شذا العرف فى فن الصرف»[2] ثم تتابع ورود هذا المصطلح عند كثير من علماء اللغة اللاحقين .

٤ - أما عناية المحدثين بالمصدر الصناعى فكانت بالغة حيث قدموا كثيراً من الدراسات التحليلية ، ولعل السبب فى ذلك هو الاتساع الحضارى الذى ليس له حدود مما جعل اللغة تكسب مرونة فى التعبير والدلالة حيث وجدت أساليب اللغات الأعجمية فى النحت والتركيب سبيلها إلى العربية فشاعت فى الصحف وسائر الأدبيات العربية مثل : أفرو آسيوية وأنكلو

(١) محمد عبد الوهاب شحاته ، المصدر الصناعى فى العربية ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق .

أمريكية وهندو أوروبية ، «وكان المصدر الصناعى خير معين للمعربين فهم إذا وجدوا مثلاً المصطلح الأعجمى (Historicité) رجعوا إلى كلمة (تاريخ) فكسعوها بالياء المشددة والتاء فكان من ذلك «التاريخية» مقابلاً جيداً للمصطلح الأجنبى . يقول الأستاذ إبراهيم السامرائى : «وكان أصحابنا المختصين بالعلوم الاجتماعية يجدون فى المصطلح الأجنبى أصالة ، فإن رأوا أن يثبتوا ما يقابله فى العربية جاءوا بالمصطلح العربى وهم كارهون برمون بهذا المقابل العربى ، وكأنهم أعاروه شيئاً من غربة ، فهم يقولون مثلاً : إن ريكاردو وماركس لم يختلفا على مستوى «الأبستمية» بل هما اختلفا على مستوى «الدوكسا» doxa وهم يضعون المقابل «للدوكسا» ما يقابله فى العربية بين قوسين وهو «الرأى أو الظن» ومثل هذا «الفيلولوجيا» الذى وضعوا له بين قوسين (علم فقه اللغة)[1] .

ويعد المستشرق الإنجليزى وليم رايت W. Wright أول المحدثين الذين اهتموا بدراسة ما يعرف بالمصدر الصناعى فى كتابه «قواعد اللغة العربية» .

ثم تأتى الدراسة التى قدمها المستشرق برجشتراسر فى محاضراته المعروفة (التطور النحوى) والتى أطلق فيها على المصدر الصناعى «اسم المعنى» .

ثم الدراسات العربية التحليلية وأولها ما أورده الشيخ الحملاوى فى كتابه «شذا العرف» ثم الدراسة التى أعدها الشيخ أحمد الاسكندرى وقدمها إلى مجمع اللغة العربية بعنوان «الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها» ناقش من خلالها قضية المصدر الصناعى .

ثم الدراسة التى قدمها الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى فى كتابيه : «اللغة العربية عبر القرون» و «الأسس اللغوية لعلم المصطلح» التى بين

(١) د. إبراهيم السامرائى مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٦٢ ص ٢٤٦ .

فيها أهمية المصدر الصناعى فى الدلالة على الاتجاهات والمذاهب والنظم وهو أمر لم يكن مطروحاً فى الجاهلية وصدر الإسلام[1] ، وعرض بعض أمثلة المصدر الصناعى مثل : الفردية ، الفوضوية - الرأسمالية - الاشتراكية - الجماعية - الإقطاعية - العنصرية - النقابية - الملكية ، الجمهورية ، التصورية ، الحتمية ، الثنائية ، كما ذكر أن المصدر الصناعى يعبر عن المعنويات مثل : المسئولية والحرية والكمية ، وتعبر عن الظواهر الطبيعية وخصائص المادة مثل : الفلورية والكهربية .

ويعبر عن الجمع مثل : البشرية . . . وأسماء العلوم مثل : المغناطيسية ، ثم تحدث عن مرونة صيغة المصدر الصناعى من الناحية التركيبية .

ثم الدراسة التى قدمها الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتاب «النهج الصوتى للبنية العربية» وكتاب «العربية لغة العلوم والتقنية» يعرض فيها عدداً من القضايا المهمة المرتبطة بالمصدر الصناعى .

وأخيراً تأتى الدراسة التى تقدم بها الدكتور على أبو المكارم فى كتاب «القواعد الصرفية» التى ذهب فيها إلى أن إلحاق الياء والتاء بالاسم الجامد هدفه الوصول إلى صيغة مصدرية ، ولذلك فإنه لا ينبغى إلحاق الزيادة الخاصة بالمصدر الصناعى بالمصادر الموجودة بالفعل فى اللغة ، لفقدانها لغايتها مثل هجومية ونضالية .

نضيف إلى ذلك عدداً غير قليل من الأبحاث التى اهتمت بالحديث عن المصدر وقضاياه ، ذكر فيها المصدر الصناعى بطريقة غير مفصلة منها الدراسة التى تقدم بها الدكتور صلاح حسنين بعنوان «أبنية المصادر فى اللغتين العربية والعبرية واستعمالاتها فى القرآن الكريم والتوراة» . ثم

---

(١) الأسس اللغوية ص ٥٧ .

الدراسة التي قدمتها الدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور بعنوان «أبنية المصدر في الشعر الجاهلي» ، ودراسة أخرى عنوانها «المصدر بين الاسمية والفعلية» قدمت من الدكتور أحمد جاد الرب محمد .

أما الدراسة التي تقدم بها الدكتور محمد عبد الوهاب شحاته فهي بعنوان «المصدر الصناعي في العربية دراسة صرفية ودلالية من خلال مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا - فهي دراسة تحليلية تفصيلية للمصدر الصناعي في مؤلفات فلاسفة الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، وهي أول دراسة موضوعها الأساسي هو المصدر الصناعي ، وقد توصل صاحبها إلى نتائج قيمة .

٥ - يتكون المصدر الصناعي بإضافة ياء النسب المشددة إلى الكلمة مع تاء التأنيث مثل : «حرية - ديمقراطية - اشتراكية - رأسمالية» وهو من أنواع المصادر ويطلق على عملية صوغ اسم الحدث من الكلمات الجامدة بواسطة اللاحقة (ية)[1] .

يقول د. محمود فهمي حجازي : «المصدر الصناعي هو المصدر المختوم بالنهاية (يّة) وله أهمية كبيرة في الدلالة على الاتجاهات والمذاهب وهو أمر لم يكن مطروحاً في الجاهلية وصدر الإسلام . وتكونت صيغة المصدر الصناعي من ياء النسب وتاء النقل من الوصفية[2] إلى الاسمية في نهاية الكلمة[3] ، وكأن اللاحقة هنا ذات وظيفة تحويلية من معنى الشخص إلى

---

(١) انظر تيسير النحو التعليمي ص ١٧٧ .

(٢) ذهب جورجي زيدان إلى ان نقل الألفاظ من الوصفية إلى الاسمية كقولهم : المائية مقتبس من اللغة اليونانية، انظر اللغة العربية كائن حي ص ٨٦ وانظر كتاب المصدر الصناعي حيث ذهب إلى أن وظيفة التاء أنها تكون للتأنيث او للتاكيد والمبالغة أو للنقل من الوصف إلى الاسمية ص ٥٠ .

(٣) الأسس اللغوية ص ٥٧ د. محمود حجازي .

المعنى التجريدى وقد أثبتت اللغة العربية عن طريق المصدر الصناعى قدرتها على التعبير العلمى ، وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة إليها وأنها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته فقد ابتكرته صيغ جديدة لم تكن تستعمل كثيراً كالمصدر الصناعى ، فنقول : الممانعية ترجمة Bluctivity ، وهى مقدار قابلية المادة المغنطيسية لتوصيل الفيض المغنطيسى وهو مقلوب المنفذية ، والمنفذية ترجمة Permeability وهى النسبة بين كثافة الفيض المغنطيسى المنتهج فى وسط ما إلى القوة الممغنطة المنتجة له[1].

٦ - اتسع مجال الإفادة من المصدر الصناعى فاعتمد مجمع اللغة العربية على هذه الصيغة اعتماداً كبيراً لتكوين مصطلحات تعبر عن مفاهيم كثيرة تطلبها العلم الحديث . نص قرار المجمع : «إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء»[2] . كما أجيزت كلمات كثيرة معربة احتفظ فيها بالأصل الأجنبى ثم أضيف إليها شئ من العربية مثل الديمقراطية والأرستقراطية والتكنوقراطية والبورجوازية والبولشفية والديماجوجية مما زج به المعربون ذوو الاختصاص ومنهم الصحفيون فى العربية المعاصرة . ومازلنا نسمع الغريب الجديد نحو : البراجماتية ، والماركسية ، واللينينية والسينمائية والسيمانتيكية والديالكتيكية والرومانتيكية والكلاسيكية والليبرالية وغيرها[3] . وقد كان للنحت والتركيب أيضاً أثرهما فى شيوع المصدر الصناعى حيث نجد أن أساليب اللغات الأعجمية فى النحت والتركيب دخلت العربية فشاعت فى الصحف وسائر الأدبيات العربية

(١) مقال للدكتور عبد الحليم منتصر مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٣٣ ص ٤٧ .

(٢) الأسس اللغوية ص ٥٧ .

(٣) الأستاذ إبراهيم السامرائى مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٦٢ ص ٢٤٥ .

مثل: أفروآسيوية وأنكلو أمريكية وهندو أوروبية وهندو إيرانية وسيكو ألسنية ، والغريب في هذا التركيب والنحت اتصال الجزئين بالواو مع حذف شئ من الجزء الأول .

ونلاحظ في المصدر الصناعي أن التاء التي تقع في نهايته تنقل الاسم من الوصفية إلى الاسمية ، ولعل هذه الجزئية تفرق لنا بين الأسماء المنسوبة والمصدر الصناعي ، فحين نقول :

الأراضي المصرية غالية علينا

ومصريتنا تمنعنا من خيانة الوطن

فكلمة «المصرية» في المثال الأول ليست مصدر صناعياً ، وإنما هي صفة منسوبة ، أي الأراضي التي تقع داخل الحدود المصرية ، أما كلمة «مصريتنا» في المثال الثاني فقد اختلفت دلالتها تماماً عن الكلمة الأولى أي ما تحمله كلمة «مصرية» من معان منها حب وطننا مصر والانتماء إليه والاعتزاز به ، فقد خرج اللفظ من المعنى المجرد إلى معنى آخر يحمل خصائص أخرى يمكن أن يتصف بها الإنسان المصري المحب لوطنه .

ولذا فقد ذهب د. شوقي ضيف إلى أن هناك كلمات تدور في اللغة مثل: عشوائي وعشوائية صفتين ، والعشوائية مصدراً صناعياً : فيقال مثلاً : فكرة عشوائية أي على غير هدى ونور ، كما يقال عشوائية القرارات أي أنها ليست ثمرة هدى وبصيرة[1] .

(١) تيسيرات لغوية ص ١٨٤ .

ثانياً: بنية المصدر الصناعى :

١ - تعتمد هذه الدراسة على خمس عشرة صحيفة مصرية احتوت على خمسمائة وتسعة مصادر تمثل المصدر الصناعى ، وقد قمت بتصنيف هذه الكلمات من حيث البنية ، وكيفية صياغتها ، وما يتصل بها من حيث : جمودها واشتقاقها والأوزان التى جاءت عليها ؛ فقد لوحظ أن المصدر الصناعى يمكن صياغته من الأسماء الجامدة كما يمكن صياغته من الأسماء المشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة وأفعل التفضيل واسمى الزمان والمكان ، كما يمكن صياغته من اسم الجمع واسم الجنس الجمعى، كما يصاغ من المصدر ولكن لوحظ وجود تفاوت بين ما صيغ من الجامد وما صيغ من المشتق حيث كان عدد صيغ المصدر الصناعى المصوغ من الاسم الجامد أكثر مما صيغ من المشتق فبلغ عدد صيغه مائتى صيغة .

٢ - من الأسماء الجامدة التى وردت فى هذه الصحف : الآلية - الأبدية - الأثرية - الأخوية - الآدمية - الأفقية - الأمية - الإنسانية - التاجية - الجسدية - الجرثومية - الجنسية - الجوهرية - الحضارية - الرأسية - الرجالية - الرسمية - الزجلية - الزمنية - الشرطية - الشريانية - الشهية - الصليبية - الطاقية - الطينية - العددية - العنجهية - العينية - الفروسية - الفندقية - العلقمية[١] - المدنية - المثالية - الوحشية - الوسطية - المريخاوية[٢] - المرجانية - الهُلامية[٣] - اليدوية - اليسارية - اليمينية .

---

(١) انظر الأخبار ٢٥/١١/٩٦ «أرقام مؤسفة تزيد الأسى وعلقمية الحلق» .

(٢) انظر الأهرام ٢٦/٧/٩٨ «تجرى فى عروقهم دماء زرقاء أطلنطيسية ودماء خضراء مريخاوية» .

(٣) نسبة إلى الهلام وهو مادة بروتينية شفافة تستخرج من الأنسجة الحيوانية المختلفة مثل الجلد والعظم والأربطة وتكون جامدة عند جفافها ولكنها تتحول إلى سائل بالرطوبة ص ٦٥١ المعجم الوجيز .

نلاحظ أن المصادر الصناعية قد صيغت من الأسماء الجامدة ولكن هذه الأسماء الجامدة ليست كلها حسية بل هناك أسماء معنوية مثل التبعية والتلقائية والحجية والهزلية .

٣ - كما لوحظ ورود المصدر الصناعى المسبوق بـ (لا) مثل : اللاإنسانية وهى (لا) النافية ، وهذه طريقة اتبعت فى أوائل هذا القرن فقالوا : «لاسلكى» و «لاشعور» و «لا وعى» ، وكأن هذه قد ركبت من (لا) النافية ومابعدها ، ومن أجل ذلك عرفوها بالألف واللام فقالوا : اللاسلكى واللاشعور[١] .

ويبدو أن هذا التركيب كان أكثر شيوعاً عند الفلاسفة المسلمين . يقول د. محمود فهمى حجازى «ولعل من أقدم هذه التركيبات وأكثرها شيوعاً منذ عصر الحضارة الإسلامية (لا + اسم) فعند الفلاسفة المسلمين نجد : (لا كون) ، (لا وجود) ، (لا نهائية) ، (اللا شئ) ، (اللا ثبوت) ، (اللا أدرية) وقد أصبح التركيب شائعاً فى العربية الفصحى الحديثة للتعبير عن مصطلحات فلسفية واجتماعية وسياسية : (اللامبالاة) ، (اللادينى) ، (اللاشعور) ، (لامنتمى) ، (لامركزية) (لاسامية) ، (لاطائفية) ، (لافقريات) ، (لاسلكى) ، (اللاحرب واللاسلم) . وقد أقر مجمع اللغة العربية دخول (أل) على حرف النفى المتصل بالاسم واستعماله فى لغة العلم[٢] .

٤ - ومعنى ذلك أن الأسماء الجامدة الواردة فى الصحف المصرية تنقسم إلى اسم ذات واسم معنى ونضيف إليها الاسم المبهم مثل الضمير وأسماء الاستفهام والأعداد وكل أو بعض حيث وردت بعض صيغ المصدر

---

(١) الدكتور إبراهيم السامرائى فى مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٦٢ ص ٢٥٠ .

(٢) اللغة العربية عبر القرون ص ٩٨ .

الصناعى التى صيغت من هذه الأسماء المبهمة مثل :

الهوية (ضمير + يّة)

الأنانية (ضمير + يّة)

الكلية (كل + يّة)

الكمية (اسم مبهم + يّة)

الكيفية (اسم استفهام + يّة)

ثلاثية (عدد + يّة)

ثنائية (عدد + يّة)

خماسية (عدد + يّة)

كما صيغ المصدر الصناعى من الظرف كما فى :

التحتية (ظرف + يّة) ، القدامية (ظرف + يّة)

الخلفية (ظرف + يّة) ، الوسطية (ظرف + يّة)

الدونية (ظرف + يّة) ، اليسارية (ظرف + يّة)

٥ - أما المصادر الصناعية التى صيغت من المشتق فقد بلغ عددها تسعين صيغة موزعة بين ما صيغ من اسم الفاعل وما صيغ من اسم المفعول وما صيغ من أفعل التفضيل ، وكما صيغ من صيغ المبالغة ، وما صيغ من اسم الزمان وما صيغ من اسم المكان وما صيغ من اسم الآلة وقد بلغ عدد صيغ المصدر الصناعى من اسم الفاعل خمساً وعشرين صيغة منها : الباطنية - الجاذبية - الجاهلية[1] - الداخلية - الظاهرية - العائلية - العامية - الفاعلية - القابلية - المتوسطية - المديرية - الهامشية - الواقعية .

٦ - أما المصدر الصناعى الذى صيغ من اسم المفعول فقد بلغ عدده ثلاثاً

(١) انظر الأخبار ٢٥/١١/٩٦ «جهالة الجاهلية وجاهلية الجهالة» .

وعشرين صيغة منها : المؤسسية - المأمورية - المحسوبية - المحصولية - المحمية - المديونية - المرئية - المسئولية - المستقبلية - المستندية - المشروعية - المصفوفية - المطلية - المعلوماتية - المعيشية - المفوضية - الملحقية - الموضوعية .

٧ - وبلغ عدد صيغ المصدر الصناعى المصوغ من اسم التفضيل ست عشرة صيغة منها : الأبجدية[١] - الأحقية - الدنيوية - الأزرقية - الأسبقية - السفلية - العلوية - الأفضلية - الأفندية[٢] - الأهمية - الأولوية - الأولية .

٨ - بلغ عدد المصادر الصناعية المصوغة من صيغ المبالغة ستة مصادر وهو عدد قليل إذا قيس بصيغ المصدر الصناعى التى صيغت من المشتقات الأخرى ، ومن هذه الصيغ :

الدوّامية - الرسولية - الطبيعية - المصداقية - المعمارية

- بلغ عدد صيغ المصدر الصناعى المصوغ من اسم الزمان ثلاث صيغ فقط هى :

المبدئية - المصيفية - الموسمية

٩ - لوحظ أن صيغ المصدر الصناعى التى صيغت من اسم المكان كثيرة إذا قورنت بتلك التى صيغت من اسم الزمان حيث بلغ عددها اثنتى عشرة صيغة ومن هذه الصيغ : المتحفية - المحلية - المذهبية - المركزية -

---

(١) (ابجد : أول الألفاظ الستة : (ابجد ، هوّز ، حطى ، كَلَمُن ، سعفص ، قرشت) التى جمعت فيها حروف الهجاء ، بترتيبها عند الساميين ، قبل أن يرتبها «نصر بن عاصم الليثى» الترتيب المعروف الآن . أما (ثخذ وضظغ) فحروفها من أبجدية اللغة العربية . المعجم الوسيط ص ١٧ باب الهمزة .

(٢) أفندى : لقب تكريم ، أصله يونانى . دخل التركية ، معناه السيد . شاع فى مصر منذ حكم الأتراك ثم ألغى انظر المعجم الوسيط مادة (أفندى) جـ ١ ص ٢٢ .

المسرحية - المصرفية - المعملية - المكتبية - الموضعية - لامنطقية - المجتمعية .

١٠- أما ما صيغ من اسم الآلة فلم ترد إلا صيغ قليلة هى : مروحية - ميزانية - مدفعية - مفصلية - محورية .

هذا فيما يخص المصدر الصناعى من المشتقات ، وقد صيغ المصدر الصناعى من صيغ أخرى منها : الصفة ، كما صيغ من المفرد وصيغ من الجمع ، كما صيغ من العلم وصيغ من اسم الجمع واسم الجنس الجمعى والمصدر الميمى ويمكن تفصيل ذلك فيما يأتى :

أولاً : المصدر الصناعى المصوغ من الصفة :

ورد المصدر الصناعى مصوغاً من الصفة حيث بلغ عدد الكلمات التى صيغت من الصفة سبع كلمات هى :

البرتقالية	الخيرية	وردية
البنفسجية	ذهبية	
الحرية	فضية	

ثانياً : المصدر الصناعى المصوغ من المفرد :

لوحظ أن المصدر الصناعى الذى صيغ من المفرد هو أكثر المصادر شيوعاً حيث بلغ عدد الكلمات التى صيغت من المفرد (٣٣٦) ثلاثمائة وستا وثلاثين كلمة ومن هذه الكلمات : الآلية - الأثرية - الأخوية - الأفقية - الإقليمية - الأنبوبية - الإنسانية - البرقية - البريدية - التاجية - الجدارية - الجسدية - الجنسية - الحضارية - الحلمية - الخيالية - الدستورية - الدينية - الربحية - الرقمية - الريفية - السرية - السلبية - السماوية - الشخصية - الشكلية -

الضريبية - الطاقية - الطرفية - العددية - العصرية - الفرعونية - الفندقية - القانونية - الكروية - الكلية - المالية - المثالية - الهيكلية - الوطنية - اليمينية.

ثالثاً: المصدر الصناعى المشتق من الجمع:

تعد صياغة المصدر الصناعى من الجمع قليلة جداً إذا قيست بما صيغ من المفرد، وقد وردت خمس عشرة كلمة صيغت من الجمع هى: أصولية - برامجية - جماهيرية - حدودية - الحكاواتية - الرجالية - الرسُلية - شبابية - صبيانية - ثبيتية - صنايعية - عملياتية - استخباراتية - معلوماتية - شلالية.

لوحظ ورود الصيغتين «الصبيانية» و «الصبيتية»، وهذا يدل على أن المصدر الصناعى مصدر مرن يصاغ من الجموع بأنواعها المختلفة الدالة على الكثرة والدالة على القلة كما وردت صيغتان أخريان هما «العملية» و «العملياتية»، حيث أمكن صياغة المصدر الصناعى من المفرد ومن الجمع، ومثلها «استخبارية» و «استخباراتية» وصيغة «العملياتية» تختلف عن جمع المصدر الصناعى «العمليات»[1] و «السلبيات» وغيرها؛ فصيغتا «عمليات» و «سلبيات» ليستا مصدرين صناعيين لانتهائهما بـ (- ات) وليس بـ (- يّة)، فاللاحقة المصدرية الصناعية ليست موجودة فيهما، ولكن عندما أضفنا اللاحقة (- يّة) إلى صيغة «عمليات» أصبحت مصدراً صناعياً «عملياتية».

هذا النظام الذى تعتمد عليه لغتنا العربية هو المعروف بعملية الإلصاق

---

(١) لوحظ كثرة عدد صيغ المصدر الصناعى المجموع بالألف والتاء مثل الحراريات والاقتصاديات والخلفيات والمرئيات والمصنعيات والأحقيات، وهى رغم أنها تحمل نفس المعنى الذى يحمله المصدر الصناعى قبل إلحاق الألف والتاء به ورغم أنها تكتسب خصوصية تتجاوز المعنى العام للكلمة إلا أنها لا تعتبر مصادر صناعية. ويرى د. محمود حجازى أن استخدام جمع المؤنث السالم للدلالة على النوع ويتضح هذا فى المعجم الواحد لمصطلحات علم الحيوان: أوليات - حلقيات - طفيليات. انظر الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ٦٠.

Affixation ، فتدخل على الصيغة بعض السوابق Prefixes واللواحق Suffixes والحشو بحيث تؤدى الصيغة بعد هذه العملية وظيفة لغوية .

هذا التغير فى الصيغة بين عملية وعمليات وعملياتية نجد مثله فى صيغة اسم الفاعل وغيرها مثل : «عامل» جمعها «عاملون» ، فإن جمعت على «عمّال» خرجت الصيغة من دائرة اسم الفاعل لتغير الدواخل .

رابعاً: المصدر الصناعى المصوغ من العلم:

لوحظ كثرة عدد صيغ المصدر الصناعى المصوغ من العلم حيث بلغ عدد الكلمات التى صيغت من العلم واحداً وثلاثين صيغة ، منها :

الإبراهيمية - أمريكانية - البكرية - البيومية - التوفيقية - الجنيدية - الحنبلية - الحنفية - الحديوية - الخمينية - الشاذلية - الشافعية - الطولونية - العرابية - الماركسية - المالكية - المحمدية - الناصرية .

ولعل كثرة المصدر الصناعي المصوغ من أسماء الأعلام ترجع إلى الحاجة إلى التعبير عن المذاهب والتيارات الفلسفية والسياسية مثل الماركسية واللينينية ، وهو أسلوب كان متبعاً عند الأوربيين ولاحظنا وجوده بكثرة فى لغتنا الفصحى، فقد اشتقت من أسماء شخصيات عربية بعض أسماء المذاهب مثل الناصرية نسبة إلى جمال عبد الناصر والعرابية نسبة إلى أحمد عرابى . . وهكذا .

لوحظ ورود صيغة «أمريكانية» Americaine+iyy ، وهى صيغة تستعمل كثيراً فى لغتنا الفصحى المعاصرة ، حيث يمكن اشتقاق نسبة من أسماء الشعوب التى لها شكل أسماء الجنس ، وفى هذه الحالة يكون المشتق له قيمة اسم وصفة ؛ فتقول : أمريكى وأمريكية ، وأمريكانى وأمريكانية وقد ذهب جورجى زيدان إلى أن من أسباب ضعف وركاكة عبارة أصحاب الفلسفة إدخال الألف والنون قبل ياء المتكلم فى بعض الصفات ، كقولهم روحانى ونفسانى

وباقلانى ، ونحو ذلك مما هو مألوف فى اللغات الآرية ولا يستحسن فى اللسان العربى[1] .

وكذلك يشتق من اسم الجنس «ألمان» النسبة «ألمانى» التى تجمع على «ألمانيين» ، وفى هذه الحالة يستعمل الجمع السالم المنتهى بـ (ون - ين) لتسمية الشعوب المعينة ، كما يشتق من نسبة مؤنث ينتهى بـ (يّة) ويستعمل كاسم وصفة ، ويشتق منه جمع مؤنث سالم ينتهى بـ (- ات) ويستعمل لتسمية النساء المنتميات إلى قومية معنية .

خامساً : المصدر الصناعى المشتق من المصدر الميمى :

لوحظ قلة عدد صيغ المصدر الصناعى المشتق من المصدر الميمى حيث بلغ عدد صيغة أربع صيغ فقط وهى : المرجعية - المعرفية - المنهجية - المصيرية

سادساً : المصدر الصناعى المشتق من اسم الجمع :

وردت مجموعة غير قليلة من صيغ المصدر الصناعى المشتق من اسم الجمع حيث بلغ عددها ثلاث عشرة صيغة منها :

الأسرية - الأهلوية - الأهلية - البشرية - الجماعية - الجمعية - الجنسية - الحزبية - الشعبية - الطائفية - القبلية - القومية - النقابية

سابعاً : المصدر الصناعى المصوغ من اسم الجنس الجمعى :

لوحظ أن المصدر الصناعى المشتق من اسم الجنس الجمعى أقل شيوعاً من المصدر الصناعى المشتق من اسم الجمع حيث بلغ عدد الكلمات ثلاث كلمات فقط هى : الجندية - العسكرية - الهمجية

(١) اللغة العربية كائن حى ص ٨٦ .

وهذا جدول يبين المصدر الصناعى المشتق من الأسماء الجامدة والأسماء المشتقة .

نوع الصيغة	عددها
ماصيغ من الجامد	٢٠٠
ما صيغ من المشتق	٩٠

وهذا جدول يبين صيغ المصدر الصناعى التى صيغت من أنواع المشتقات المختلفة مفصلة على النحو الآتى :

اسم الفاعل	اسم المفعول	اسم التفضيل	اسم المكان	اسم الزمان	اسم الآلة	صيغة مبالغة	المجموع
٢٥	٢٣	١٦	١٢	٣	٥	٦	٩٠

أما المصدر الصناعى الذى صيغ من الأسماء المركبة فهو قليل الشيوع حيث لم ترد سوى كلمات قليلة منها :

جيوفيزيقية

رأسمالية

الكهروضوئية

الكهرومغناطيسية

والكلمات المركبة تركيباً مزجياً فى لغات أخرى ثم دخلت العربية مثل الكهرومغناطيسية وجيوفيزيقية تغيرت شيئاً ما من الناحية الصوتية والصرفية لما دخلت فى العربية ، وأغلب هذه الكلمات مصطلحات علمية وتكنيكية مثل :

الصناعة البتروكيميائية ومصنع البتروكيماويات ، وعدد من المركبات التى تدخل فيها الكلمة «كيلو» مثل «كيلو متر» و «كيلو غرام» و «كيلو وات» ، وتجمع هذه الكلمات جمعاً مؤنثاً سالماً .

أما المصدر الصناعى المشتق من المصدر فهو كثير الشيوع حيث بلغ عدد صيغه مائة وثمانى وثمانين صيغة منها :

الائتلافية
الابتدائية
الابتكارية
الإبداعية
اتفاقية
اجتماعية
إجرائية
إجرامية
إجمالية
افتراضية
إلحادية
إمكانية
انتقائية
انتهازية
انشطارية

احتكاكية
اختيارية
احتياطية
إدارية
ادخارية
إرشادية
ازدواجية
استثمارية
استثنائية
استشارية
التحريرية
التحريضية
التحضيرية
التحويلية
التخيلية

استعراضية
استعمارية
استفزازية
استقلالية
استكشافية
استمرارية
استيرادية
استيطانية
استيعابية
إعدادية
تنبؤية
تهديدية
تهليبية
توسعية
الحتمية

إيمانية	التربوية[1]	الحِوارية
البحثية	الترددية	الدّعائية
البدائية	تضليلية	الزلزالية
البنائية	تفقدية	السلوكية
التآمرية	تقليدية	الشمولية
التأديبية	تكتيكية	الفدائية
التبادلية	تلويثية	الكتابية
الوجودية	تمويلية	النقاشية
الوراثية		
الوصولية		
الوضعية		
الوقائية		
الوهمية		

نلاحظ أن الأبنية المصدرية السابقة قد تنوعت بين القياسي وغير القياسي كما نلاحظ أن المصدر الذى صيغ من القياسى قد تنوع بين المصدر الرباعى والمصدر الخماسى والمصدر السداسى .

وقد تنوعت الأوزان بين المجردة والمزيدة حيث كانت المصادر الصناعية المصنوعة من المزيد أكثر من تلك التى صيغت من المجرد .

---

(١) كلمة التربية نسبة إلى التربية ، ويذهب د. إبراهيم السامرائى إلى أن العرب قالوا : «التسووية» نسبة إلى التسوية ، والأفضل أن نلجأ إلى أسلوب الإضافة ، فنقول : «أنظمة التسوية» بدلاً من «الأنظمة التسووية» لأن الإضافة تؤدى ما يؤديه أسلوب النسب كى نتخلص من الثقل البغيض الحاصل من اجتماع الواوين فى حشو الكلمة الواحدة وهو «التسوية» مجلة المجمع جـ ٤١ ص ٤١ .

وقد تنوع المـزيد بين أوزان مزيدة بحرف واحد (٨٧) وأوزان مزيدة بحرفين (٤٣) وأوزان مزيـدة بثلاثة أحرف (١٦) أما المجردة فقد بلغ مـجموعها (٤٢) بين الثلاثى المجرد (٣٩) والرباعى المجرد (٣) .

اوزان المصدر المصوغ من المزيد :

* المزيد بحرف واحد مثل :

فَعَّل مثل : تجريدية وتحديثية

أفْعَل مثل : إجرامية - إمكانية - إنتاجية

فاعَلَ مثل : حِوارية - حسابية - علاجية

* المزيد بحرفين مثل :

افتعل : ابتدائية - احتكاكية

تَفَاعَّل : ترددية - تعسفية

تفاعل : تعاونية - تنافسية

انفعل : انهزامية - انشطارية

* المزيد بثلاثة أحرف مثل :

استفعل : استثنائية - استخبارية - استمرارية

اوزان المصدر المصوغ من المجرد :

* الثلاثى المجرد :

فَعَل : البحثية - البنائية - الجزائية - سلوكية

فَعِل : الثقافية

* الرباعى المجرد :

فَعْلَل : تكتيكية - زلزالية - هندسية

المجرد (٤٢)		المزيد (١٤٦)			
ثلاثى مجرد	رباعى مجرد	مزيد بحرف	مزيد بحرفين	مزيد بثلاثة أحرف	المجموع
٣٩	٣	٨٧	٤٣	١٦	١٨٨

جدول يبين عدد صيغ المصدر الصناعى
المشتق من المجرد والمشتق من المزيد

لوحظ أن المصدر الصناعى المشتق من الرباعى المجرد قليل الشيوع حيث لم يرد على وزنه إلا ثلاث كلمات جميعها على وزن فَعْلَلَ ، وهذا يتفق مع النتائج التى توصل إليها د. محمد عبد الواهب شحاته حيث ذهب إلى أن وزن فِعلل بكسر الفاء لم يقع بين الأبنية المصدرية فهو وزن قليل فى استخدامه وهو ما يؤكد كلام الخليل حين أشار إلى أنه لم يأت على هذا الوزن إلا أربعة أحرف - يقصد كلمات هى : درهم - هجرع - هبلع - قِلعم ، وإن كان ابن جنى أضاف كلمتين أخريين : مثل : قِرطَع ، وقِلْفَع[1] .

أما المصدر الصناعى المصوغ من صيغ أخرى مثل الصفة والعلم واسم الجمع واسم الجنس الجمعى والمصدر الميمى وما صيغ من الكلمات الدخيلة وما صيغ من المفرد وما صيغ من الجمع فيوضحه الجدول الآتى :

المصدر الصناعى من الصفة	المصدر الصناعى من المفرد	المصدر الصناعى من الجمع	المصدر الصناعى من العلم	المصدر الصناعى من المصدر الميمى	المصدر الصناعى من اسم الجمع	المصدر الصناعى من اسم الجنس الجماعى
٧	٣٣٦	١٥	٣١	٤	١٣	٣

(١) المصدر الصناعى فى العربية ص ١٠٤ .

ثالثاً: الأنماط الدلالية للمصدر الصناعي :

الدلالة في بعض تقسيماتها لها جانبان : جانب مركزي وآخر هامشي : فأما المركزي فهو هذا القدر المشترك من الدلالة الذي يسجله اللغوي في معجمه ويسميه بالدلالة المركزية التي يطمع اللغوي أن يجعلها واضحة في أذهان الناس ولذا يعمد إلى ذلك القدر المشترك فيحدده ويشرحه في معجمه مستعيناً في هذا بطبقة المثقفين من جمهور الناس ومتخذاً منهم نماذجه الدلالية في ذلك المعجم. وأما الجانب الهامشي أو الدلالة الهامشية فهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم(١) .

وفي هذا الجزء من البحث أحاول أن أصنف الأبنية المصدرية الصناعية السابقة وفق المفهوم الدلالي لأن اللفظ قبل توظيفه في صيغة المصدر الصناعي يدل على حقائق الأشياء التي وضع بإزائها ولا يدل على خصائصها وصفاتها وأحوالها ، فمثلاً حين نقول :

رأيت فتاة ريفية

ورأيت فتاة ريفية المزاج

فإن كلمة «ريفية» في المثال الأول تختلف عنها في المثال الثاني حيث إنها صفة مؤنثة منسوبة ، أما في المثال الثاني فكلمة «ريفية» مصدر صناعي ؛ أي أن الياء المشددة ياء المصدر الصناعي وليست ياء النسب كما أن التاء هي تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ولذا فإن المعنى في المثال الثاني يختلف كثيراً عنه في المثال الأول . فـ «ريفية» المزاج أي تتميز مثلاً بالبساطة وتلقائية التصرف وحب الهدوء وغير ذلك .

---

(١) انظر الخصائص لابن جني جـ ٣ ص ١٠٠ وانظر دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ص ٤٨ ، والدرس الدلالي في خصائص ابن جني لأحمد سليمان ياقوت ص ٢٨ .

وكذلك كلـمة «عبقرية» فى المـثال : هذه فتاة عبـقرية ، تختلف عـنها فى قولنا : «العبـقرية تصنع المعجزات» فهـى فى المثال الثانى تعطى مـفهوماً أوسع ودلالات أدق .

فالكلمة الواحدة يختلف معناهـا طبقاً لاختلاف التراكيب ولا يتضح الفرق بين الصفة المؤنثة المنسوبة والمصدر الصناعى إلا من خلال الجملة .

ونلاحـظ أيضاً أن معـنى الكـلمة قبـل أن نلحـق بها الـياء المشددة والـتاء المربوطة يتفاوت من الناحية الدلالـية ، وهذا التفاوت سوف نوضحه من خلال نظرية المجالات الدلالية فـتقسم الصيغ السابقة إلى مجمـوعات دلالية كبرى ثم تتفرع إلى مجالات دلالية صغرى .

المجال الدلالى الأول

المصادر الدالة على جملة أفراد النوع

	عددها
مصـادر دالة عـلى الـنوع العام	١
مصـادر دالة عـلى الـنوع الخاص	٣٩

نلاحظ أن مصادر المجموعة الأولى قليلة حيث لم يرد إلا مصدر واحد هو «الحيوانية» أمـا مصادر المجموعة الثانيـة فقد بلغ عددها تسعـة وثلاثين مصدراً أذكر منها على سبيل المثال : الإنسانية - الأخوية - الآدمية - الأمية - الرجالية - الصبيانية - الصبيتية - البشرية - القومية - الصنايعية - الجندية - الأفندية - العسكرية والجماهيرية .

ونلاحظ أن أكثر مصادر هذا المجال مصادر اسمية كما أن مصادر المجموعة الثانية أكثر شيوعاً من مصادر المجموعة الأولى .

المجال الدلالى الثانى
الطبيعة ومظاهرها

المجموعات الدلالية	عدد مصادرها
الأرض وما فوقها	٢٦
السماء وما فيها	٧
الظواهر الطبيعية	١٢
الألوان	٥
العلاقات الزمانية والمكانية	٧

نلاحظ أن مصادر هذا المجال أكثرها مصادر اسمية أيضاً ، كما نلاحظ أن مصادر المجموعة الأولى الدالة على الأرض «الأرض وما فوقها» هى أكثر المصادر شيوعاً ومنها : الطينية - الطوباوية - النباتية - الشاطئية - الساحلية المعدنية - الأرضية - الربوية - الجذرية - المرجانية .

ويليها مصادر المجموعة الثالثة الدالة على «الظواهر الطبيعية» مثل : البرقية - النارية - التنفسية - الزلزالية - الهضمية - التلوثية - الكونية ثم يليها مصادر المجموعة الثانية الدالة على «السماء وما فيها» مثل : الأفقية والفضائية والفراغية والقمرية - المريخاوية - النجومية .

ويليها مصادر المجموعة الخامسة الدالة على العلاقات الزمانية والمكانية مثل : التحتية - الخلفية - الدونية - القدامية - اليسارية - الوسطية - اليمينية .

أما مصادر المجموعة الرابعة الدالة على «الألوان» فهى أقل المصادر شيوعاً مثل الأزرقية - البرتقالية - البنفسجية - الوردية .

المجال الدلالى الثالث

المعنويات

وردت مجموعة كبيرة من صيغ المصدر الصناعى الدالة على المعنويات ، فمنها ما يدل على المذاهب والاتجاهات ، ومنها ما يدل على الأعداد ومنها ما يدل على السلوك والأخلاق كما هو موضح بالجدول الآتى :

المجموعات الدلالية	عدد مصادرها
المذاهب والاتجاهات والنظم	١٠٠
المفاهيم العلمية	٣٣
السلوك والأخلاق	١٣١
الأعداد	٣

لوحظ كثرة عدد المصادر الصناعية التى تعبر عن المجموعة الأولى الدالة على المذاهب والاتجاهات حيث بلغ عددها مائة صيغة (١٠٠) منها :

العقلانية - العلمانية - الوجودية - المثالية - الملكية - الرمزية - السلبية - الرأسمالية - الروحية - العنصرية - الأزدواجية - الاشتراكية - الحزبية - الأنامالية - الأنعزالية - الوسطية - التحديثية - التجريدية - العقلانية - التبعية - الديكتاتورية - الخمسينية - الماركسية - الشافعية - الناصرية - الإبراهيمية - البكرية .

أما المجموعة الثانية وهى المجموعة الخاصة بالمفاهيم العلمية فقد بلغ عددها ثلاثاً وثلاثين (٣٣) صيغة منها : الإنشطارية - التبادلية - التحليلية - الترددية - التعددية - التكرارية - الجيوفيزيقية - الدائرية - الكهروضوئية - الكهرومغناطيسية - المادية .

هذا العدد من المصطلحات والمفاهيم العلمية - يدل على أن صيغة المصدر الصناعى قد كثر استخدامها بسبب التقدم العلمى ، كما يدل على أن هذه الصيغة قادرة على تغطية ما يتطلبه هذا التقدم العلمى الهائل من مصطلحات بسبب مرونتها . أما مصادر المجموعة الثالثة وهى المجموعة الخاصة بالسلوك والأخلاق فقد بلغ عددها مائة وإحدى وثلاثين صيغة منها : الإجرامية - الإرهابية - الاستعراضية - الإصلاحية - الأنانية - البلطجية - الترفيهية - التضليلية - التقدمية - التكتيكية - الحجية - الحرية - الخيرية - الدعائية - الدفاعية - الدوامية - الفدائية - القمعية - القيادية - الكيدية - النفعية - الهجومية .

ويلاحظ أن مصادر المجموعة الثالثة صيغ أكثرها من المصادر المختلفة .

أما مصادر المجموعة الأخيرة فهى أقل مصادر مجموعات هذا المجال شيوعاً ومنها : الإثنية - الثلاثية - الثنائية - الخماسية .

المجال الدلالى الرابع
المعتقد الدينى

المجموعات الدلالية	عدد مصادرها
المعتقد الدينى	١٣

بلغ عدد صيغ المصدر الصناعى الواردة فى الصحف تحت هذا المجال (١٣) مصدراً صناعياً منها : الإلهية - الإيمانية - التبشيرية - التوراتية - الدينية - الربانية - الرسولية - الشرعية - المحمدية - المسيحية - الوثنية .

المجال الدلالى الخامس
الإنسان وما يتعلق به

المجموعات الدلالية	عدد مصادرها
أعضاء جسد الإنسان	٩
حالته الجسمية والنفسية	٥٣

وردت مجموعة غير قليلة من المصادر التى تندرج تحت هذا المجال ، الذى يضم مجموعتين : المجموعة الأولى ما يخص أعضاء جسد الإنسان مثل : الجسدية - الرأسية - الشريانية - الطرفية - العصبية - العضوية - العينية - المفصلية - الهيكلية - اليدوية .

نلاحظ أن مصادر المجموعة الخاصة بأعضاء جسد الإنسان أكثرها مصوغ من الاسم الجامد .

أما مصادر المجموعة الثانية وهى المصادر الدالة على الحالة الجسمية والنفسية للإنسان فهى أكثر شيوعاً حيث بلغ عدد مصادر هذه المجموعة (٥٣) مصدراً منها : الاستفزازية - الانتقامية - الانضباطية - الانطباعية - الانهزامية - التأديبية - التحريضية - الجاهلية - الجدية - الجنونية - الحلمية - العاطفية - العدوانية - العشوائية - العفوية - القابلية - المصداقية - الوهمية .

ونلاحظ أن أكثر صيغ مصادر هذه المجموعة قد صيغت من المصادر ، كما صيغ بعضها من المشتقات مثل اسم الفاعل وصيغ المبالغة .

المجال الدلالى السادس
الحياة الاجتماعية ومقتنيات الإنسان

توزعت مصادر هذا المجال بين ما يتعلق بالتجارة والبيع والشراء ، وما يتصل بالعلاقات الاجتماعية ، وما يتعلق بمأكولات الإنسان ثم ما يستخدمه الإنسان .

المجموعات الدلالية	عدد مصادرها
التجارة والبيع والشراء	٤٠
العلاقات الاجتماعية	٧
مأكولات الإنسان	٢
ما يستخدمه الإنسان	١٩

كانت مصادر المجموعة الأولى الخاصة بالتجارة والبيع والشراء هى أكثر المجموعات شيوعاً حيث بلغ عدد صيغ المصدر الصناعى الدالة على هذه المجموعة (٤٠) مصدراً ، وهو عدد كبير يدل على أن التقدم الاقتصادى كان سبباً من الأسباب التى دعت إلى ضرورة وجود مصدر مهم مثل هذا المصدر يعبر عن مصطلحات العلم فى عصرنا كما يعبر عن أدوات الحضارة وشئون الحياة العامة .

ومن مصادر هذه المجموعة :

الإجمالية - الاحتياطية - الاستثمارية - الاستردادية - الإنتاجية - الإئمانية - التأمينية - التجارية - التخزينية - التسويقية - التصديرية - التعريفية - التعويضية - الحسابية - السعرية - السوقية - الضريبية - العددية - المحاسبية - المديونية - المستندية - المشروعية .

أما مصادر المجموعة الثانية التى تعبر عن العلاقات الاجتماعية فهى أقل شيوعاً ومنها : الأخوية - الأسرية - الأمية - الأهلوية - الأهلية - العائلية .

ورد عدد قليل من المصادر الصناعية عن «مأكولات الإنسان» مثل : السكرية - العسلية .

أما المصادر المعبرة عن المجموعة الأخيرة الخاصة بـ (ما يستخدمه الإنسان) فهى أكثر شيوعاً من مصادر المجموعة السابقة مثل : الأنبوبية - الرخامية الطاقية[1] - الفندقية - الكروية - الفسيفسائية[2] - المكتبية - المسرحية - المدفعية - المتحفية - المركزية - المروحية - المعملية - الميزانية .

لوحظ أن أكثر ما يأتى المصدر الصناعى فى ترجمة الكلمات المختومة فى الإنجليزية بالأحرف (i s m) ، وسأحاول فى هذه الصفحات أن أترجم بعض الكلمات التى وردت فى الجداول السابقة إلى اللغة الإنجليزية فى جدول لنعرف من خلالها مدى اختلاف اللاحقة فى الكلمات الإنجليزية عنها فى الكلمات العربية .

الائتلافية	Coalitionism	السلوكية	Behaviorism
الازدواجية	Ambivalencsm	الشيوعية	Communism
الاستعراضية	Exhibitionism	الطبيعية	Naturalism
الانعزالية	Retrealism	العائلية	Familism
البدوية	Nomadism	عقلانية	Rationalism
التعددية	Pluralism	العلمانية	Secularism
تقليدية	Traditionism	العمومية	Universalism
استثنائية	Dichatomy	الفردية	Individualism

(١) الطاقية هى غطاء للراس من الصوف أو القطن ونحوهما «المعجم الوجيز» ص ٣٩٨ .

(٢) مأخوذة من الفسيفساء وهو قطع صغار ملونة من الرخام او الحصباء أو الخرز او نحوها يضم بعضها إلى بعض فيكون منها صور ورسوم تزين البيت أو جدرانه «المعجم الوجيز ص ٤٧١» .

الجدلية	Meterialism	الفعالية	Efficiency
حتمية	Determinism	الفلكية	Astronomism
الحرية	Freedom	القومية	Nationalism
الخصوصية	Particularism	مثالية	Idealism
الخيالية	Fantasism	المسئولية	Besponsibility
الهوية	Indentity		
الواقعية	Realism		
الوضعية	Positivism		

نلاحظ من ترجمة الكلمات السابقة التى وردت فى الجرائد المصرية أن لاحقة المصدر الصناعى فى اللغة العربية تختلف عن لاحقة الكلمات الإنجليزية التى يمكن ترجمتها إلى صيغة المصدر الصناعى فى العربية ، لأنها تأخذ شكلاً ثابتاً فى العربية وهو (-يّة) أما فى اللغة الإنجليزية فإن اللاحقة تتنوع فنجدها فى الغالبية العظمى (ism) كما فى الوضعية Positivism، والسلوكية Behaviorism، ما نجد النهاية (ty) ، كما فى المسئولية Responsibility ، والهوية Indentity ، والنهاية (dom) كما فى Freedom والنهاية (cy) كما فى الفعالية Efficiency .

الكشاف المعجمى

يضم هذا الكشاف المصادر الصناعية التى وردت فى بعض الصحف المصرية من ١٩٩٦م : ١٩٩٨م . ويبلغ عدد المصادر الصناعية التى وردت فى تلك الصحف خمسمائة وتسعة مصادر وهو عدد كبير يدل على الحاجة الماسة إلى هذه الصيغة لتلبية حاجات العصر والتقدم العلمى الهائل . وقد قمت بترتيب هذه المصادر ترتيباً هجائياً وفق الحروف الأصلية للمصدر ثم ذكرت مكان وتاريخ ورود المصدر .

كشاف معجمي بالمصادر الصناعية
الواردة في بعض الصحف المصرية
من عام ١٩٩٦م إلى عام ١٩٨٨ م

باب الهمزة

الكلمة	مكان ورودها
الأبجدية	الأخبار ٦/٩/١٩٩٨
الأبدية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الإبراهيمية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
الأثرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الأخوية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
التأديبية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
الآدمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
أرضية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
أسرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
مؤسسية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
مأساوية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
أصولية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
أفقية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
أفندية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الائتلافية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
إلهية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦

الكلمة	مكان ورودها
التآمرية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
المأمورية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
أميرية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
أمنية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
تأمينية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
إيمانية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الأنامالية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الأنانية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
أنبوبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
إنسانية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
اللا إنسانية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
أهلوية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
الأهلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الآلية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
الأولوية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الأولية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨

باب الباء

الكلمة	مكان ورودها
الابتدائية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
بدائية	الأهرام ١٦/١/١٩٩٧
مبدئية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الإبداعية	الأهرام ١٤/١/١٩٩٧
التبادلية	الأخبار ٦/٩/١٩٩٨
البديهية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
البدوية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
البرقية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
البرامجية	الجمهورية ٦/٩/١٩٩٨
البشرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
التبشيرية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الباطنية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
الابتكارية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
البكرية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
البندقية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
البنفسجية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
البنائية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
البيومية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨

باب التاء

الكلمة	مكان ورودها
التبعية	الأخبار ١٩٩٦/١١/٢٥
التجارية	الأخبار ١٩٩٦/٩/٢٨
التحتية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
المتحفية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
تكتيكية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
تاجية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤

باب الثاء

الكلمة	مكان ورودها
تأدية	الأهرام ١٩٩٨/٦/٢٠
ثُباتية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
ثقافية	الأخبار ١٩٩٦/١١/٢٥
تثقيفية	الوفد ١٩٩٧/١/١٦
ثلاثية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
استثمارية	الأخبار ١٩٩٦/١١/٢٥
ثنائية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤
استثنائية	الأهرام ١٩٩٧/١٠/ ١٤

باب الجيم

الكلمة	مكان ورودها
جدارية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
جدلية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
جدية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
جاذبية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
جذرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تجريبية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
جرثومية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تجريدية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
إجرامية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
إجرائية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
جزئية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
جزائية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
جسدية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
جامعية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
اجتماعية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
جماعية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
جمعية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧

الكلمة	مكان ورودها
مجتمعية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
إجمالية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
جمالية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
جماهيرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
جانبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
جندية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
جنيدية	الجمهورية ٤/ ٧/ ١٩٩٧
جنسية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
جنونية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
جاهلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
جوهرية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧

باب الحاء

الكلمة	مكان ورودها
حتمية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
حجية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
تحديثية	الأهرام ٢٦/٨/١٩٩٨
حدودية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
محدودية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
تحريرية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
حرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تحريضية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
حرفية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
حزبية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
حسابية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
محاسبية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
محسوبية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
محصولية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
حضارية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تحضيرية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
أحقية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
احتكاكية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
حكاواتية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨

الكلمة	مكان ورودها
الحلزونية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تحليلية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
محلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
حلمية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
المحمدية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
محمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الحنبلية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
الحنفية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
المحنية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
الحوارية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
المحورية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الحائطية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
احتياطية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
حالية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
تحويلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
حياتية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
حيوانية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
حيوية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

باب الخاء

الكلمة	مكان ورودها
استخباراتية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
استخبارية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
ختامية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
خدمية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
الخديوية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
تخريبية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
خارجية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الخرافية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
تخزينية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
خشبية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الخاصية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
تخصصية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الخصوصية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
تخطيطية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
خلفية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
خلوية	الوطن ٢٣/١٢/١٩٩٧
خماسية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
الخمينية	الأهرام ٢٨/٩/١٩٩٦
اختيارية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
خيرية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
خيالية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
تخيلية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧

باب الدال

الكلمة	مكان ورودها
ادخارية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
داخلية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
تدريبية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
درامية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
دستورية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
دعائية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
دُعائية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
دفاعية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
مدفعية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
دنيوية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
دائرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
دورية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
إدارية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
مديرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
دوّامية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
دونية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
دينية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
مديونية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦

باب الذال

الكلمة	مكان ورودها
تذكارية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
ذهبية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
مذهبية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
ذاتية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦

باب الراء

الكلمة	مكان ورودها
رأسية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
رأسمالية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
مرئية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الربانية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
الربحية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
الربوية	الوطن ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٧
التربوية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
التراجعية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
المرجعية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
رجالية	الوطن ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٧
رخامية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
مرخية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
ترددية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
استردادية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
الرسلية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧

الكلمة	مكان ورودها
الرسولية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
الرسمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
إرشادية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الرفاعية	الأهرام ٢٨/٩/١٩٩٦
ترفيهية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
رقمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
مركزية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
رمزية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
رمضانية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
إرهابية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
روحية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
ترويحية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
مروحية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
ريفية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

باب الزاى

الكلمة	مكان ورودها
زجلية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
زخرفية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الأزرقية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
الزلزالية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الزمنية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الأزهرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الأزدواجية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

باب السين

الكلمة	مكان ورودها
المسئولية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الأسبقية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
التسجيلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الساحلية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
مسرحية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
سرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
سطحية	الأخبار ٦/ ٩/ ١٩٩٨
الأسطورية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
السعدية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
السعرية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
سفلية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
السكرية	الأخبار ٦/ ٩/ ١٩٩٨
سلبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
السلوكية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
اللاسلكية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
سماوية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
مستندية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٨
السنِّيَّة	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
سيادية	صوت الأمة ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٦
سياسية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
سوقية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
تسويقية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
سياحية	الوطن ٢٧/ ٨/ ١٩٩٦

باب الشين

الكلمة	مكان ورودها
الشبابية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
شبحية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
تشجيعية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
شخصية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
تشخيصية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
الشاذلية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
شرطية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
الشرعية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
المشروعية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
التشريعية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الإشرافية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الاشتراكية	صوت الأمة ٢٨/ ٨/ ١٩٩٦
شريانية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
شاطئية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
انشطارية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
شعبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
تشغيلية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الشافعية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
شكلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
تشكيلية	الجمهورية ٤/ ٨/ ١٩٩٧

الكلمة	مكان ورودها
الشلالية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
شمولية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
استشهادية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الشهية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
استشارية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الشيوعية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

باب الصاد

الكلمة	مكان ورودها
الصباحية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
الصبيانية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الصبيتية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧ والأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
التصحيحية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
صحراوية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
تصديرية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
مصداقية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
مصرفية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
صعيدية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
المصفوفية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
الصليبية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
الصالحية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

الكلمة	مكان ورودها
الإصلاحية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الصنايعية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
صورية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
تصويرية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
صوفية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
مصيرية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
مصيفية	الأخبار ٦/٩/١٩٩٨

باب الضاد

الكلمة	مكان ورودها
الضبطية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
الانضباطية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الضريبية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
تضليلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
ضمنية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
إضافية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧

باب الطاء

الكلمة	مكان ورودها
طبية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
الطبيعية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
الانطباعية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
تطبيقية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
طرفية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
مطلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تطوعية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
طائفية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الطاقية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
الطولونية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الطينية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧

باب الظاء

الكلمة	مكان ورودها
الظرفية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الظلامية	الوفد ٣١/١٢/١٩٩٧
الظاهرية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦

باب العين

الكلمة	مكان ورودها
العبرية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
الاعتبارية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
العبقرية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
إعجازية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
تعجيزية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
العددية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
إعدادية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
تعددية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
معدنية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
عدوانية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
العرابية	الوفد ١٦/ ١٠/ ١٩٩٧
عرضية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
استعراضية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
تعريفية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
معرفية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
عرقية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
الانعزالية	الوطن ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٧
التعسفية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عسكرية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨

الكلمة	مكان ورودها
عسلية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
عشوائية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عصبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عصرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عضوية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
عاطفية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
عفوية	الوطن ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٦
عقلانية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
عكسية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
علاجية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
علقمية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
إعلامية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
العالمية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
علمانية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
معلوماتية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
إعلانية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
علنية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
العُلْوية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
العَلوية	الدستور ٣١/ ١٢/ ١٩٩٧
استعمارية	الوفد ١٦/ ١/ ١٩٩٧
المعمارية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
عملية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦

الكلمة	مكان ورودها
عملياتية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
معملية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨
عامية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
عمومية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عنجهية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
عنصرية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
معنوية	الأخبار ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
معنية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
تعويضية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عائلية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
تعاونية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
عينية	الأهرام ٢٦/ ٧/ ١٩٩٨

باب الغين

الكلمة	مكان ورودها
غرامية	الوطن ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٧
غرمية	الأهرام ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦
الغالبية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
الإغاثية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦

باب الفاء

الكلمة	مكان ورودها
افتتاحية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تفتيشية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
تفجيرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
فدائية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الفردية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الفروسية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
الافتراضية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الفراغية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
الفرعونية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
الاستفزازية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الفسيفسائية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
تفصيلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٦
انفصالية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
فضية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
أفضلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تفضيلية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
فضائية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
فطرية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
فاعلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
فعلية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨

الكلمة	مكان ورودها
تفقدية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
فكاهية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الفندقية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
فنية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
فورية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
فولاذية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦

باب القاف

الكلمة	مكان ورودها
القابلية	الوطن ٢٣/١٢/١٩٩٧
القبلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
المستقبلية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
القادرية	الأهرام ٢٨/٩/١٩٩٦
تقديرية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
القادسية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
القدسية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
قدامية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
أقدمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تقدمية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
تقريرية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
مقريزية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦

الكلمة	مكان ورودها
قروية	الأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧
اقتصادية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
قضائية	الجمهورية ٤/ ٨/ ١٩٩٧
تقليدية	المواجهة ٦/ ١/ ١٩٩٨
استقلالية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
أقلية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
قمرية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
قمعية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
قانونية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
قهرية	الشعب ٢٨/ ٨/ ١٩٩٨
قيادية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
قومية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
قياسية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨

باب الكاف

الكلمة	مكان ورودها
كتابية	الأخبار ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦
مكتبية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
أكثرية	الأهرام ١٠/ ١٢/ ١٩٩٦
تكرارية	الوفد ٢/ ٩/ ١٩٩٨
كروية	الجمهورية ٤/ ٨/ ١٩٩٧

الكلمة	مكان ورودها
الاستكشافية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الكلية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
الكمالية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
التكميلية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
الكمية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الكهروضوئية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
الكونية	الأخبار ٢٣/١٢/١٩٩٦
كيدية	الأخبار ٢٣/١٢/١٩٩٦
الكيفية	الأخبار ٢٣/١٢/١٩٩٦

باب اللام

الكلمة	مكان ورودها
الإلحادية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
الملحقية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
التلقائية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
تلويثية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
اللينينية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧

باب الميم

الكلمة	مكان ورودها
الماركسية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
المثالية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تمثيلية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
مجانية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
مادية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
المدنية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
المرجانية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
المريخاوية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الاستمرارية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
المسيحية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
المعية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الإمكانية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
المالكية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الملكية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
المناعية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تمهيدية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
مالية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تمويلية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
المائية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧

باب النون

الكلمة	مكان ورودها
النارية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
تنبؤية	الأهرام ٢/٩/١٩٩٨
إنتاجية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
انتحارية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
انتخابية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
تنازلية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
إنشائية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
إنشادية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
الناصرية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
نضالية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
منطقية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
نظامية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
تنظيمية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
تنفيذية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
تنافسية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
تنفسية	الأخبار ٦/٩/١٩٩٨
نفعية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
نقابية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
نقاشية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
انتقالية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨

الكلمة	مكان ورودها
انتقامية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
انتقائية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
الإنمائية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
تنموية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
منهجية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧

باب الهاء

الكلمة	مكان ورودها
هجومية	الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦
تهديدية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
هزلية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
انهزامية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
هضمية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
هيكلية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
تهليبية	الوطن ٢٣/١٢/١٩٩٧
هلامية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
همجية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
هامشية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
أهمية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
هندسية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الهوية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦

باب الواو

الكلمة	مكان ورودها
الوثنية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الوجودية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨
الوحشية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
التراثية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الوراثية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
الوردية	الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦
الاستيرادية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الميزانية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
المتوسطية	الوطن ٢٣/١٢/١٩٩٧
الوسطية	الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧
التوسعية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
الموسمية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الوصولية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦
توضيحية	الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦
موضعية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
موضوعية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
وضعية	صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦

الكلمة	مكان ورودها
الوطنية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
استيطانية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
استيعابية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
الوفدية	الوفد ١٦/١/١٩٩٧
الوقتية	الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦
الواقعية	المواجهة ٦/١/١٩٩٨
وقائية	الوفد ٢/٩/١٩٩٨
وهمية	الأهرام ٢٦/٧/١٩٩٨

باب الياء

الكلمة	مكان ورودها
اليدوية	الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧
اليسارية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧
اليمينية	الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧

رابعاً : نتائج البحث :

اظهرت دراسة صيغة المصدر الصناعى فى الصحف المصرية فى الفترة من ١٩٩٦ م إلى ١٩٩٨ م مجموعة من النتائج أهمها :

١ - تضاف الياء المشددة والتاء المربوطة إلى الكلمات التى تعبر عن الذات أو تعبر عن المعنى ويتحول جميعها إلى اسم معنى بعد إضافة اللاحقة (يّة) .

٢ - ورد المصدر الصناعى المسبوق بـ (لا) مثل : اللاإنسانية ، وهى (لا) النافية وهذه طريقة اتبعت فى أوائل هذا القرن فقالوا : «لاسلكى» و «لاشعور» و «لا وعى» وكأن هذه قد ركبت من لا النافية وما بعدها ، ومن أجل ذلك عرفوها بالألف واللام فقالوا : اللاسلكى واللاشعور .

٣ - وردت صيغة أخرى للمصدر الصناعى هى «صيدلانية» و «أمريكانية» حيث يمكن اشتقاق نسبة من أسماء الشعوب التى لها شكل أسماء الجنس ، وفى هذه الحالة تكون للمشتق قيمة اسم وصفة .

٤ - يصاغ المصدر الصناعى من جمع القلة كما يصاغ من جمع الكثرة ، كما فى قولنا : الصبيانية والصِّبيتية . وهذا الأمر يدل على مرونة صيغة المصدر الصناعى .

٥ - يصاغ المصدر الصناعى من المفرد كما يصاغ من الجمع كما فى صيغة «العمليّة» وصيغة «العملياتية» وهما صيغتان تختلفان عن الجمع «العمليات» و «السلبيات» لأن هاتين الصيغتين الأخيرتين ليستا مصدرين صناعيين نظراً لعدم وجود اللاحقة (-يّة) رغم أنهما جمع للمصدر الصناعى ، هذا النظام الذى تعتمد عليه لغتنا العربية هو المعروف بعملية «الإلصاق» Affixation فتدخل على الصيغة بعض السوابق Prefixes واللواحق Suffixes والحشو بحيث تؤدى الصيغة بعد هذه العملية وظيفة لغوية .

٦ - هذا التغير فى الصيغة بين عملية وعمليات وعملياتية نجد مثله فى اسم الفاعل وغيره مثل : عامل جمعها عاملون ، وكلاهما اسم فاعل ، فإن جمعت كلمة «عامل» على «عمّال» خرجت الصيغة من دائرة اسم الفاعل لتغير الدواخل .

٧ - لوحظ أن المصادر الصناعية التى صيغت من المشتق (٩٠) أقل شيوعاً مما صيغ من الجامد ، وقد تنوع المصدر المصوغ من هذه المشتقات بين اسم الفاعل (٢٥) واسم المفعول (٢٣) ، واسم التفضيل (١٦) وصيغة المبالغة (٦) واسم المكان (١٢) ، واسم الزمان (٣) واسم الآلة (٥) .

٨ - صياغة المصدر الصناعى من المفرد أكثر شيوعاً من صياغته من الجمع ولذا فقد بلغ عدد الكلمات التى صيغت من الجمع (١٥) خمس عشرة كلمة فقط فى حين بلغ عدد الكلمات التى صيغت من المفرد (٣٣٦) ثلاثمائة وستا وثلاثين كلمة من بين مجموع الكلمات الذى بلغ (٥٠٩) خمسمائة وتسع كلمات .

٩ - صيغ المصدر الصناعى من أبنية أخرى متنوعة مثل : الصفة (٧) ، المصدر الصناعى المشتق من العلم (٣) والمصدر الصناعى المشتق من المصدر الميمى (٤) ، والمصدر الصناعى المشتق من اسم الجمع (١٣) والمصدر الصناعى المشتق من اسم الجنس الجمعى (٣) .

١٠- لوحظ كثرة عدد صيغ المصدر الصناعى المشتق من أسماء الأعلام للتعبير عن المذاهب والتيارات الفلسفية والسياسية مثل: الماركسية واللينينية ، وهو أسلوب كان متبعاً عند الأوربيين ولاحظنا وجوده بكثرة فى لغتنا الفصحى، فقد أشتق من أسماء شخصيات عربية بعض أسماء المذاهب مثل الناصرية نسبة إلى جمال عبد الناصر، والعرابية نسبة إلى أحمد عرابى وغير ذلك .

١١- لوحظ أن الكلمات المركبة تركيباً مزجياً فى لغات أخرى ثم دخلت العربية مثل : الكهرومغناطيسية وجيوفيزيقية قد تغيرت شيئاً ما من الناحية الصوتية والصرفية لما دخلت فى العربية ، وأغلب هذه الكلمات مصطلحات علمية وتكنيكية يختلف معنى الكلمة الواحدة طبقاً لاختلاف التراكيب ولذا فإنه لا يتضح الفرق بين الصفة المؤنثة المنسوبة والمصدر الصناعى إلا من خلال الجملة ؛ فاللفظ قبل توظيفه فى صيغة المصدر الصناعى يدل على حقائق الأشياء التى وضع بإزائها ، ولايدل على خصائصها وصفاتها وأحوالها ، فالجملة : رأيت فتاة ريفية تختلف عن قولنا رأيت فتاة ريفية المزاج .

١٢- يصاغ المصدر الصناعى من المصادر بأنواعها المختلفة - أعنى المصدر العام أو المطلق القياسى وغير القياسى ، وقد ثبت من هذه الدراسة أن صياغته من المصدر القياسى أكثر من صياغته من المصدر غير القياسى ، وهو عكس ما ذهب إليه د. محمد عبد الوهاب شحاته فى كتابه «المصدر الصناعى فى العربية»

١٣- صيغ المصدر الصناعى من صيغة المصدر «مفردا» كما ورد من صيغة المصدر جمعا كما فى «الاستخبارية» و «الاستخباراتية» على الرغم من أن النحاة القدماء قد رأوا أن المصدر لا يجمع إلا أن مجمع اللغة العربية أقر جمع المصدر حين تختلف أنواعه كما فى الصيغتين السابقتين وكما فى تحليل وتحليلات وتدريب وتدريبات .

١٤- المصدر الصناعى المصوغ من الأسماء الجامدة (٢٠٠) أكثر شيوعاً من المصدر المصوغ من المشتق (٩٠) وقد تنوعت هذه المصادر المصوغة من الأسماء الجامدة بين ما يدل على الذات وما يدل على المعنى حيث كان المصدر الصناعى المصوغ من اسم الذات أكثر من المصوغ من اسم المعنى .

١٥- تنوع المصدر الصناعى الذى صيغ من المصدر القياسى بين المصدر الرباعى والمصدر الخماسى والمصدر السداسى ، كما تنوعت الأوزان بين المجردة والمزيدة حيث كانت المصادر المصوغة من المزيد أكثر من تلك التى صيغت من المجرد .

١٦- تنوع المصدر الصناعى المصوغ من المزيد بين أوزان مزيدة بحرف واحد (٨٧) ، وأوزان مزيدة بحرفين (٤٣) وأوزان مزيدة بثلاثة أحرف (١٦) ، أما المجردة فقد بلغ مجموعها (٤٢) بين الثلاثى المجرد (٣٩) والرباعى المجرد (٣) .

١٧- أن المصدر الصناعى المصوغ من الرباعى المجرد قليل الشيوع حيث لم يرد على وزنه إلا ثلاث كلمات جميعها على وزن فَعْلَل ، وهذا يتفق مع النتائج التى توصل إليها د. محمد عبد الوهاب شحاته حيث ذهب إلى أن فِعْلل بكسر الفاء لم يقع بين الأبنية المصدرية فهو وزن قليل فى استخدامه وهو ما يؤكد كلام الخليل حيث أشار إلى أنه لم يأت على هذا الوزن إلا أربعة أحرف - يقصد كلمات - وهى : دِرهم - هِجْرِع - هِبْلع - قِلْعَم .

١٨- أن المزيد بحرف واحد (٨٧) جاء على ثلاثة أوزان وهو أكثر الأنواع شيوعاً وهذه الأوزان هى :

فَعّل مثل : تجريدية وتحديثية

أفعل مثل : إجرامية وإنتاجية

فاعَل مثل : حِوارية - حسابية

١٩- أن المزيد بحرفين (٤٣) جاء على أربعة أوزان هى :

افتعل مثل : ابتدائية - احتكاكية

تَفعّل مثل : ترددية - تعسفية

تفاعل مثل : تعاونية - تنافسية

انفعل مثل : انهزامية - انشطارية

٢٠- أن المزيد بثلاثة أحرف (١٦) جاء على وزن واحد هو :

استفعل مثل : استثنائية - استخبارية - استمرارية

٢١- أن الثلاثى المجرد (٣٩) ورد على وزنين هما :

فَعَل مثل : البحثية - السلوكية - البنائية

فَعِل مثل : الثقافية

٢٢- أن صياغة المصدر الصناعى من المصادر بأنواعها المختلفة - أعنى صياغة مصدر من مصدر - يضيف معنى جديداً هو التأكيد والمبالغة فى المصدر ، أما إذا لحقت اللاحقة (-يّة) الصفة فإن هذه الصفة تصير مصدراً وتحمل معنى جديداً هو تأكيد الصفة .

٢٣- صيغ المصدر الصناعى من الأسماء المبهمة مثل الضمير (الهوية) وأسماء الاستفهام (الكيفية) ، والأعداد (خماسية) ، كما صيغ من الظرف (التحتية والدونية) ، وصيغ من كل وبعض كما فى (الكلية) .

٢٤- أن معنى الكلمة قبل أن نلحق بها الياء المشددة والتاء المربوطة يختلف عن معناها بعد الإلحاق ، فكلمة «إنسان» يختلف فى معناها عن كلمة «الإنسانية» .

٢٥- أن المصادر الصناعية المعبرة عن المجال الدلالى الخاص بالمعنويات هى أكثر المصادر شيوعاً ، وقد تنوعت مجموعات هذا المجال ما بين المجموعة الدلالية الخاصة بالمذاهب والاتجاهات والنظم (١٠٠) ، والمجموعة الدلالية الخاصة بالسلوك والأخلاق (١٣١) ثم المجموعة الدلالية الخاصة بالمفاهيم العلمية (٣٣) ثم المجموعة الدلالية الخاصة بالأعداد وهى أقل مجموعات هذا المجال شيوعاً (٣) .

٢٦- يأتى المجال الدلالى المعبر عن الحياة الاجتماعية ومقتنيات الإنسان فى المرتبة الثانية ، وقد تنوعت المجموعات الدلالية الخاصة بهذا المجال ما بين المجموعة الدلالية الخاصة بالبيع والشراء والتجارة (٤٠) والمجموعة الدلالية الخاصة بما يستخدمه الإنسان (١٩) ثم المجموعة الدلالية الخاصة بالعلاقات الاجتماعية (٧) والمجموعة الدلالية الخاصة بمأكولات الإنسان وهى أقل مجموعات هذا المجال شيوعاً (٢) .

٢٧- يأتى المجال الدلالى المعبر عن الإنسان وما يتعلق به فى المرتبة الثالثة ، وقد تنوعت مجموعات هذا المجال وكان أكثرها شيوعاً المجموعة الدلالية الخاصة بحالة الإنسان الجسمية والنفسية (٥٣) ثم يليها المجموعة الدلالية الخاصة بأعضاء جسد الإنسان وهى أقل شيوعاً من المجموعة الأولى (٩).

٢٨- يأتى المجال الدلالى الخاص بالطبيعة ومظاهرها فى المرتبة الرابعة ، وقد تنوعت مجموعات هذا المجال الدلالية ما بين «الأرض وما فوقها ٢٦» ثم يليها المجموعة الدلالية الخاصة بالظواهر الطبيعية (١٢) ويليها المجموعة الدلالية الخاصة بالسماء وما فيها (٧) ثم المجموعة الدلالية الخاصة بالعلاقات الزمانية والمكانية (٧) .

٢٩- يأتى المجال الدلالى الخاص بجملة أفراد النوع فى المرتبة الخامسة ، وقد تنوعت المجموعات الدلالية الخاصة بهذا المجال ما بين المصادر الدالة على النوع الخاص (٣٩) والمصادر الدالة على النوع العام وهى قليلة جداً حيث لم يرد إلا مصدر واحد دال على هذا النوع .

٣٠- يأتى المجال الدلالى الخاص بالمعتقد الدينى فى المرتبة السادسة ، حيث بلغ عدد مصادر هذا المجال ثلاثة عشر مصدراً صناعياً .

٣١- المصدر الصناعى صيغة تحمل معنى التأكيد والمبالغة ، وهى صيغة أوسع

من غيرها من ناحية المعنى ، ولذا فإن قولنا : الأنظمة التربوية أبلغ من قولنا : أنظمة التربية لأن أسلوب الإضافة لم يؤدّ معنى التأكيد .

٣٢- أرى أن مصطلح المصدر الصناعى الذى أطلقه النحاة المتأخرون على الاسم المنتهى باللاحقة (-يّة) أفضل من مصطلح «اسم المعنى الذى اقترحه وفضله المستشرق برجشتراسر فى محاضراته «التطور النحوى» ، وأيده فى ذلك د. محمد عبد الوهاب شحاته وبعض النحاة المحدثين الذين رأوا أن المصدر الصناعى بعد صياغته يعبر عن المعنويات دون المعنى المجرد للفظ قبل إلحاق اللاحقة (-يّة) ذلك لأن النحاة قسموا الأسماء إلى نوعين هما : اسم المعنى ، واسم الذات مثل لفظ التشريع «اسم معنى» ولفظ : الحائط «اسم ذات» مما يؤدى إلى حدوث تداخل فى مفهوم المصطلح «اسم المعنى» إذا كان المقصود به التشريع أم التشريعية أو التضليل أم التضليلية ، ويؤدى إلى تعدد الدلالات للمصطلح الواحد فى الحقل الواحد .

٣٣- المصدر الصناعى يختلف عن باقى المصادر الأخرى من حيث إنه يفيد معنى أوسع وأدق وأكثر قدرة على تلبية حاجات الاستخدام اللغوى كما أنه يخرج من دائرة الوصفية إلى دائرة الاسمية فيفقد دلالته على الحدث ولذا فإنه يختلف عن المصادر الأخرى من حيث إنه لا يعمل إعرابياً فيما بعده ، أما المصدر العادى فيعمل فيما بعده بالشروط التى ذكرها النحويون. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ﴾ ومنه قول الشاعر : «وكونك إياه عليك يسير» .

فالمصدر العادى والفعل مادتان متشابهتان يحل أحدهما محل الآخر ، وخاصة فى «العمل» ، ومن أجل ذلك عبر أصحاب المعاجم عن «المصدر» بمصطلح الفاعل .

٣٤- لاحقة المصدر الصناعى فى اللغة العربية تأخذ شكلاً ثابتاً وهو (-يّة) بينما تتنوع اللاحقة فى اللغة الإنجليزية فتأخذ أربعة أشكال هى (ism) كما فى Realism ، و (ty) كما فى Responsibility و (dom) كما فى Freedom و (cy) كما فى Bureaucracy .

٣٥- أن صحيفة «الأهرام» هى أكثر الصحف المصرية احتواء لصيغة المصدر الصناعى ثم تليها صحيفة «الأخبار» حيث تتناول هاتان الجريدتان موضوعات حديثة تتصل بالتقدم العلمى والحضارى مما ساعد على تعدد صيغ المصدر الصناعى فى كلٍّ منهما ، وعلى العكس من هذا لوحظ قلة صيغ المصدر الصناعى فى صحيفة الدستور وذلك بسبب موضوعاتها التى لم تكن بحاجة إلى هذه الصيغة .

المصادر والمراجع

أ - المصادر :

جرائد : الأهرام ١٠/١٢/١٩٩٦م العدد ٤٠١٨١

الأخبار ٢٨/٩/١٩٩٦م العدد ٢٧٠٨

صوت الأمة ٢٨/٨/١٩٩٦م العدد ١٥

الوطن ٢٧/٨/١٩٩٦م العدد ٨٨

الأخبار ٢٥/١١/١٩٩٦م

وجرائد : الأهرام ١٤/١٠/١٩٩٧م العدد ٤٠٤٨٩

الجمهورية ٤/٨/١٩٩٧م العدد ١٥٩٢٥

الوفد ١٦/١/١٩٩٧م العدد ٦٦٤

الدستور ٣١/١٢/١٩٩٧م العدد ١٠٨

الوطن ٢٣/١٢/١٩٩٧م العدد ١٥٥

وجرائد : الأهرام ٢٦/٨/١٩٩٨م العدد ٤٠٧٧٤

الأهرام ٢٠/٦/١٩٩٨م العدد ٤٠٧٣٨

الشعب ٢٨/٨/١٩٩٨م

الوفد ٢/٩/١٩٩٨م العدد ٣٥٩٥

المواجهة ٦/١/١٩٩٨م العدد ١٦

ب - المراجع العربية :

* أنيس : د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، الطبعة السادسة سنة ١٩٩١م - مكتبة الأنجلو المصرية .

* ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، ت. محمد على النجار ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ ، سنة ١٩٨٨م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* حجازى : د. محمود فهمى حجازى ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة د.ت.

* حجازى : د. محمود فهمى حجازى ، اللغة العربية عبر القرون ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة .

* شاهين : د. عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦م ، دار الاعتصام - القاهرة .

كتاب « علم النص »

لتوين أ. فان دايك

ترجمة إلى اللغة الألمانية كريستوف زور

عرض ومناقشة
د. سعيد حسن بحيرى

يعد علم النص علماً بكراً لم تتشكل ملامح تميزه واستقلاله عن العلوم الأخرى التى يتداخل معها تداخلاً شديدًا إلا فى السنوات العشرين الأخيرة من هذا القرن على أصح تقدير . ولاشك أن تلك الخاصية الجوهرية التى يتسم بها هذا العلم المبكر ، أعنى خاصية التداخل المعرفى قد جعلت الخوض فى مسائله وقضاياه أمرًا عسيرًا ، دون معرفة واسعة بالمصطلحات والمفاهيم والتصورات والمناهج التى يرتكز عليها ذلك العلم ، وتكون دعائم نماذجه التحليلية ، التى وضعها علماء البحث النصى ، واستوعبوا فيها المعارف غير اللغوية ، ومزجوها بمعارف لغوية فى محاولات جديدة لإضافة طرق ووسائل تحليلية أكثر ثراء وقدرة وكفاءة ، متجاوزين النماذج التقليدية فى وضع قواعد واستراتيجيات أكثر تطورًا وتمكنًا لكشف إمكانات النصوص وتحليل أبنيتها المختلفة للوصول إلى تفسير أفضل وفهم أدق لها .

وفى الحقيقة يعد كتاب فان دايك « علم النص » الذى سنناقش فيمايلى فصوله وأقسامه من أهم المؤلفات فى مجال التحليل النصى ، فالمؤلف من أعلام المتخصصين فى هذا المجال ، وله باع طويل فيه ، فقد أسهم فيه بعدد

كبير من البحوث والدراسات التى أثرت البحث النصى ودفعت به إلى الاستقلال والوضوح ، منها بعض جوانب نحو النص ، ١٩٧٢م ، والنص والسياق ، ١٩٧٦م ، ودراسات فى براجمانية تحليل الخطاب ١٩٨٠م وغيرها ، وقد سردها كاملة فى خاتمة كتاب علم النص . وبرغم أنه هولندى الجنسية يعلم فى جامعة امستردام بهولندا فان مؤلفاته أغلبها قد نشر باللغة الانجليزية ، وبعضها بالهولندية ، وقد نشر الكتاب الذى نعرض باللغة الهولندية سنة ١٩٧٩ ثم ترجمة كريستوف زور إلى الألمانية ونشره فى توبنجن سنة ١٩٨٠ فى دار نشر سلسلة كتب الجيب الصغيرة ، ثم ترجم بعد ذلك إلى لغات أوربية أخرى . ولا جدال فى أن قيمة الكتاب وأهميته وثراء مادته تدفع إلى ضرورة ترجمته إلى اللغة العربية حتى يتاح للقراء العرب أن يقفوا على تفاصيل ما يضمه ذلك الكتاب من مادة علمية دقيقة ومنظمة ومتشعبة استقيت من علوم مختلفة ، وصيغت صياغة واضحة محكمة .

يقع الكتاب فى حوالى (٢٩٥) صفحة من القطع الصغير ، ويتكون من مقدمة وسبعة فصول وقائمة المراجع وقائمة مختارة أخرى بأهم المؤلفات فى علم النص بشكل عام ، وثبت بأهم المصطلحات الواردة فيه . وفى التمهيد يحدد المؤلف وضع علم النص ويسرد المهام التى ينبغى أن يؤديها ، والأسباب التى دعته إلى تأليف كتابه فى صورة مدخل مع تخصصات مختلفة ، بالإضافة إلى حرصه على التذكير بحدود المادة التى يشتمل عليها هذا المدخل والتنبيه إلى أعمال تخصيصة أخرى يستكمل من خلال الباحث معرفة أكثر اتساعًا وعمقًا فى موضوعات ، حال نهج الكتاب دون الخوض فى تفصيلات ، فدرست درسًا موجزًا ، مما يسهم فى النهاية فى تكوين تصورا أكثر وضوحًا ومعرفة أكثر عمقًا وتفصيلاً عن تلك الموضوعات التى يعالجها علم النص بوجه عام وعلم لغة النص ضمنيًا .

وفى الفصل الأول (علم النص) يبدأ بمبحث تمهيدى يحدد فيه موقع علم النص من العلوم الأخرى فى محاولة لتتبع نشأته وتطوره وتشكله علمًا جديدًا متداخل الاختصاصات ، أى يتسم بخاصة جوهرية ، وهى تداخله مع العلوم الأخرى التى تعنى بالنص أساسًا . ولذا تتناول مباحثه الأخرى التالية صلة علم النص بهذه العلوم ، وهى علم اللغة وعلم الأدب وعلم النفس المعرفى وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع والقانون والاقتصاد والسياسة وعلم التاريخ والأنثروبولوچيا . ويهدف من ذلك إلى إبراز طبيعة العلاقة بين علم النص من جهة وتلك العلوم المشار إليها آنفًا من جهة أخرى ، وكذلك إيضاح أن مهمة علم النص لا تكمن فى صياغة أو حتى حل المشكلات الخاصة بكل علم من هذه العلوم الأنسانية والاجتماعية ، بل يستهدف - فى حقيقة الأمر - عزل جوانب محددة فى فروع تلك العلوم ودراسة أبنية الأشكال النصية المختلفة واستعمالاتها وتحليلها داخل إطار كلى مدمج ومتداخل .

وفى الفصل الثانى (النص والنحو) يعرض - ابتداء - بعض مفاهيم جوهرية فى النحو ، ويقف عند مهام النحو فى البحث اللغوى التقليدى ، ليبرز التصورات والمفاهيم الصالحة لإعادة توظيفها ، فالنحو لديه له مفهوم واسع ، إذ يضم البحث الصوتى والفونولوچى والقاعدى والدلالى ، ويركز على الجانب الآخر ، لأن القواعد التى تطبق فى التحليلات النصية يغلب عليها طابع القوانين أو المعايير الدلالية المجردة ، بمعنى أنها تحتل قمة هرم التحليل النصى ، تعقبها القواعد النحوية والصوتية . ثم يبين أنه من الحتمى الانتقال فى الوصف النصى الذى ينطلق من وحدات كلية كبرى ، من منطوقات لغوية صغرى إلى تتابعات (متواليات) جملية كبرى . ولذا يشرع فى تتبع الفروق بين المنطوقات اللغوية والجمل المركبة وتتابعات الجمل ، إذ يعنى الوصف الفصى أساسًا برصد قيود الترابطات بين جمل النص وعلاقات الإحالة بين

المنطوقات اللغوية والعالم الخارجى ، وهى مسائل تتجاوز إمكانات الوصف النحوى - الدلالى التقليدى ، وتتطلب مقولات وتصورات دلالية - تداولية إلى جانب تلك المقولات والتصورات النحوية - الدلالية الجوهرية الصالحة للاندماج مع ما تقدم لتشكيل نماذج تحليلية أكثر تطوراً وكفاءة .

ويشير بعد إيضاح أسباب ضرورة العدول إلى استخدام مصطلح « تتابع » القادر على تحقيق قيود الربط والترابط ، يشير إلى أن مستوى الوصف ، مادام يعنى بأشكال مختلفة من العلاقات وأوجه الترابط التى لا تتسق وتبرز إلا إذا نظر إلى النص على أنه وحدة كلية كبرى ، لابد أن يتعلق بما يسميه « الأبنية النصية الكبرى » ، وهى أبنية دلالية مجردة ، تقدم تصوراً واضحًا عن الترابط الكلى العام بين أجزاء النص سواء أكانت تلك متتابعة متسقة فى الظاهر أم كانت غير ذلك ، وتقدم أيضًا المعنى الكلى للنص الذى يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية .

أما فى الفصل الثالث (البراجماتية أو التداولية) فإنه يتناول العلاقة بين النص والأحداث الكلامية والسياق ، إذ إنه من البديهى أن يستفاد من ذلك التطور الكبير الذى شهدته نظرية الحدث الكلامى ونظرية الاتصال ونضج البحث فى أنواع السياقات ودورها الجوهرى فى عملية التلقى . ويلاحظ أنه يقدم - ابتداءً - عرضًا مسهبًا يمس هذه المفاهيم الحيوية فى التحليل الدلالى - التداولى ، فى صورة إجابة مفصلة عن سؤاله المحورى الذى طرحه فى مقدمة فصلة وهو ماذا تعنى البراجماتية أو التداولية ؟ ودون خوض فى تفصيلات ذلك الفصل نراه يحدد مجال التداولية بأنه علم يعنى بتحليل الأحداث الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها فى عمليات الاتصال بوجه عام . وفى مواضع أخرى يرى أنها تعد وصفًا للعلاقات بين العلامات ومستخدمى هذه العلامات . ويحاول بعد ذلك أن يعالج بعض القواعد التداولية التى تشغل

دوراً لا يقل أهمية عن دور القواعد النحوية والدلالية فى عمليات تحليل النصوص . وينتقل بعد ذلك إلى تناول مفهوم الفعل والتفاعل ثم العلاقة بين الأحداث الكلامية والتفاعل الاتصالى ، ويفصل فى ضرورة درس العلاقة بين المتكلم والمستمع من خلال النص المكتوب أو المقروء . ويعنى كذلك بأقسام الأفعال القولية والإنجازية والتأثيرية . أما فى دراسة للعلاقة بين النص والسياق فيبدأ بتحديد مفهوم السياق ، ويتتبع فى أمثلة كثيرة دور المكونات السياقية اللغوية وغير اللغوية فى تحقيق تماسك النصوص ، ويؤكد على قيمة المعلومات التداولية فى عمليات البحث النصى .

وفى الفصل الرابع (الأبنية الأسلوبية والبلاغية) يناقش أهداف التحليل الأسلوبى ومشكلاته . وينبه بادئ ذى بدء أن عملية يقتصر على ما أطلق عليه (أسلوبية النص) اى على بحوث تعنى بوصف الأسلوب فى نصوص لغة طبيعية ، ثم يلقى الضوء على بعض قواعد تحليل الأسلوب كالاختيار والإحلال والإدغام والتركيب ، والفروق بين المنطوقات الأسلوبية والبدائل الأسلوبية الوظيفية فى محاولة لإعادة مفهوم الأسلوب إلى ما يمكن أن يعد شكلاً متميزاً للاستعمال اللغوى على مستوى الجمل والنص أيضًا .

ويلاحظ أنه يرمى من خلال تلك المناقشة إلى تحديد مفهوم الأسلوب على مستويات مختلفة للوصف اللغوى النصى ، وبعبارة أخرى - كما أشار هو نفسه - إن مدار هذا الفصل أساسًا حول الحقيقة القائلة بأن فروقاً أسلوبية مختلفة بين النصوص يمكن أن تقدم بناءً على اختيار للتيمات أو موضوعات الحديث ، أى اختيار لأبنية دلالية كبرى . ومن ثم يمكن أن يقدم ما يميز مستخدم لغة ما من خلال المجال وشيوع حقل التيمات وموضوعاته . وفى معالجته البنية البلاغية للنص يبدأ بعرض موجز ودقيق يكشف عن العلاقة الوثيقة بين البلاغة والأسلوبية ، ويبرز بعض الفروق الدقيقة بينهما . ولا يكتفى بذلك بل إنه يتتبع

مدى صلاحية القواعد المعيارية للبلاغة للتطبيق على ابنية نصية مختلفة وكيفية إعادة توظيفها ، ثم يفصل بعض بارمترات الأبنية البلاغية ، وأهميتها البالغة فى تشكيل عمليات تحليل دلالية - تداولية .

وفى الفصل الخامس (الأبنية الكبرى) ينبه - ابتداء - إلى أن مصطلح (بنية كبرى) غير مستقر لديه ، الا أنه يتناسب مع نموذجه ، ويحدد الملامح المفترضة لتلك الأبنية ، ثم يناقش عدة أنواع من أبنية النص مناقشة مفصلة ، ويفترض أساساً أن لها خاصة عرفية ، أى أنها معروفة لدى أغلب المتحدثين فى جماعة لغوية ما ، ويمكن أن تتحقق فى نصوص اللغة الطبيعية . وفى حقيقة الأمر إنه يرمى إلى اقتراح أبنية استدلال مجردة ، يمكن أن تفسر بدائلها الشكلية فى أنظمة منطقية مكونة من صيغ وقواعد متفرعة .

وينتقل بعد ذلك إلى معالجة كيفية وصف تلك الأبنية الكبرى (العليا) ويرى أنه يمكن أن يكون لذلك الوصف خاصية حدسية بدرجة ما ، ويمكن أن يكون دقيقاً محدداً كذلك . ويحاول فى معالجة مسهبة دقيقة تحديد ملامح تلك البنية الكبرى التى تعد أساساً نوع من البناء المجرد الذى يحدد النظام الكلى لنص ما ، ويتكون من مجموعة من المقولات التى ترتكز فى إمكاناتها للربط على قواعد عرفية . أما فى مبحثه عن الأسس التجريبية للأبنية الكبرى فإنه يعمق مدن لخواص ذلك النظام المجرد الذى يجب أن يكون له أساس سيكولوجى ، وهو فى صورة قواعد/ إجراءات معرفية ومقولات . . . الخ . وينبه أخيراً إلى أن العلاقة بين النظرية الشكلية ونظرية العمليات المعرفية مسألة شائكة فى حاجة ملحة إلى جهود متواصلة لإ ايضاحها وتفسيرها .

أما المباحث الأخرى فتتعلق بأنواع الأبنية الكبرى والعلاقات الدقيقة بينها على مستوى علوى ، ويتناول أيضًا أبنية معقدة مثل أبنية الشرط - النتيجة ،

والمشكلة - الحل ، والأبنية السردية في مبحث مفصل مستقل والأبنية الجدلية الاستدلالية في مبحث آخر . وينبه كذلك إلى البدائل التي تستخدم في البحوث أو المعالجات العلمية . ويهدف في كل ما سبق بحثه بإيجاز إلى الكشف عن مجموعة من المميزات الأساسية للأبنية الكبرى مبنية على نحو عرفي . ويعقب ذلك مناقشة بعض الأنماط النظرية الأخرى والعلامات النصية التي لم تتضح في معالجته لنظرية الحكي أو نظرية الاستدلال أو نظرية العلم . ويختتم هذا الفصل بملخص موجز لأهم الأبنية النصية الكبرى المعالجة فيه .

وفي الفصل السادس (سيكولوچيا استيعاب النص) يتجاوز مستوى المعالجة اللغوية للنص إلى العناصر أو المكونات غير اللغوية على مستوى فهم النص . ويشير عند طرحه لهذه القضية إلى الفكرة الرئيسة في هذه المعالجة ، ألا وهي التفسير الواقعي للنصوص أو توضيح الجوانب السيكولوچية التي تلعب دوراً جوهريًا في فهم النصوص . ويفرق - ابتداءً - بين التفسير الشكلي والتفسير السيكولوچي ، ويحدد أنواع المعلومات وما يحدث للمعلومات المختزنة في الذاكرة . وهو هنا يفيد من نتائج علم النفس المعرفي والذكاء الصناعي ومنجزات الحاسوب إفادة جمة ، إذ لا يتعلق استيعاب النصوص - في رأيه - بفهم أو الاحتفاظ بها وتذكرها فحسب ، بل بعمليات سيكولوچية معرفية أخرى ، ينبغي أن توضع في الاعتبار ويكشف عن آدائها ووظيفتها .

ولذا فإنه من المنطقي أن يتناول بعد ذلك تحديد المسارات الأساسية لاستيعاب المعلومة ، وينتهي إلى أن استيعاب المعلومة يرتكز - حقيقة - بشكل خاص على إلحاق معان بعلامات (يمكن إدراكها) ، وأن هذا ممكن فقط ، كنتيجة لعمليات عقلية ؛ التجزئة والتصنيف إلى مقولات وتأليف المدرك . وبعد

تفصيله لعدد من الاستراتيجيات والقواعد المهمة فى عملية الفهم ، وبخاصة المبادئ الأربعة الجوهرية وهى التجزئة والتصنيف والتأليف والتفسير ، يفصل القول أيضًا فى أهم مكون فى نموذج الاستيعاب المعرفى للغة ، أعنى الذاكرة . ونلحظ أن نفرق بوجه عام بين نوعين مختلفين من الذاكرة : ذاكرة قصيرة المدى وذاكرة طويلة المدى ، تختزن الأولى المعلومات العابرة المحددة بوقت معين ، فى حين تختزن الثانية المعلومات الضرورية التى يحتاج إليها لمدة أطول ، ولذا يطلق عليها الذاكرة الدلالية أو التصورية .

ويتناول أيضًا عمليتين متصلتين بنظرية الذاكرة ، وهما عمليتا إعادة التعرف والتذكر ، والعوامل التى تؤثر فى كل تلك العمليات . ويتطرق كذلك إلى سلسلة من المصطلحات والمبادئ الأساسية التى تصف استيعاب المعلومة وفهم اللغة . وفى مبحث آخر عن فهم النصوص واستيعابها من خلال إعادة الإنتاج والإيجاز يبدأ بفهم تتابعات الجملة ثم فهم المضمون العام للنص ، إذ إنه يفترض هنا أنه توجد إلى جانب فهم الجمل والتتابعات عملية موازية بفهم من خلالها نص ما فهمًا عامًا أيضًا هذا الفهم العام يبدو أنه غير مهم لتنظيم معلومة كلية النص فى ذاكرة المدى الطويل ، بل لإمكانية تفسير العلاقات الأساسية الأفقية وعلاقات تماسك دلالى أخرى بين قضايا الأساس النصى .

ولا يغفل أيضًا أن يمس مسألة فهم أبنية نصية أخرى كالأبنية الأسلوبية والبلاغية والأدبية وأن يفصل فى طبيعة الأبنية النصية فى الذاكرة الطويلة الدلالية وأشكال التحويلات الدلالية أو التصورية التى تلعب دورًا جوهريًا عند استيعاب النص وكيفية إعادة إنتاج نصوص وإعادة تركيبها وإنتاجها وقضية استيعاب النصوص بوصفها أفعالاً لغوية وكيفية اكتساب مهارات نصية من خلال قواعد ومقولات واستراتيجيات صالحة للتطبيق فى إطار ظروف اجتماعية وثقافية مختلفة .

وفى الفصل السابع (النص والتفاعل - الحديث) يمهد بإلقاء الضوء على عدد من المصطلحات الاجتماعية التى تلعب دوراً بارزاً فى تحليل الحديث ، ثم ينتقل إلى معالجة السياق الأصغر الذى يتميز بوجه خاص من خلال التفاعل الاجتماعى بين الأفراد ويطلق على ذلك التفاعل «الاتصال الفعلى» . ويعنى هنا فى درسه التطبيقى بنصوص حواريه ، مثل الأحاديث والمناقشات والمقابلات ، أى نصوص ينتجها متحدثون مختلفون يتجاورن فيما بينهم . وفى المبحث الثانى يتناول العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعى الذى بحث فى الأنثروبولوچيا والاجتماع بحثًا مسهبًا ، بادئًا بإيضاح مفهوم الأفعال والعلاقات بينها والشروط المعرفية والاجتماعية وبعض خواص مهمة للتفاعل الاجتماعى .

وينتهى إلى أن السياق الأصغر الاجتماعى يتحدد من خلال سلسلة من خواص علاقات معينة بين الأفراد ، أى المشاركين فى السياق الاجتماعى . ولا يغفل هنا دور المواضعات المعرفية التى يجب أن يكون هؤلاء المشاركون الاجتماعيون على علم تام بها ، ويجب أن تكون المعرفة معرفة اعتباطية ، بحيث يمكن أن يتوقع فى أغلب المواقف أى أفعال ممكنة أو ضرورية سيؤديها الطرف الآخر . وهكذا تتضح المكونات الأساسية الثلاثة لنظرية فى السياق الأصغر الاجتماعى ؛ فئات المشاركين ، وفئات العلاقات بين هؤلاء المشاركين فى التفاعل ، والمواصفات التى تنظم فئات المشاركين وتفاعلاتهم .

أما فى مبحث اللغة والاتصال والتفاعل فإنه يرى أنه من الضرورى أن يحدد الاتصال اللغوى من خلال مفاهيم مصطلح التفاعل ، وهو هنا ينتقد علم اللغة بل علم التداولية لإهمال الوصف المنظم للعلاقات التفاعلية التى يمكن أن تشكل تتابعات الحدث الكلامى . فلابد عند درس الأحداث الكلامية من تحليل الشروط الخاصة بالتفاعل المعرفى والاجتماعى والخواص والاستراتيچيات المتصلة به اتصالاً وثيقًا .

وينبغى - فى حقيقة الأمر - أن يوضع فى الاعتبار أن تلك المباحث ليست سوى مقدمات ولكنها ذات قيمة كبيرة لدرس الحديث وأشكاله وأبنيته درسًا عميقًا يتجاوز عددًا من أشكال المعالجة السابقة ، حيث تتكشف من خلاله تصورات ومفاهيم لم تحظ فيما سبق باهتمام كاف ، مثل تحديد العوامل المعرفية والاجتماعية للتفاعل الاتصالى فى تحقيق الترابط الأفقى للحديث ، وكيفية تأثير الأبنية الاجتماعية فى ترابط الحديث أسلوبيًا ودلاليًا وتداوليًا . ويطمح فى خاتمة عمله إلى أن تمكن تلك الأدوات والقواعد التى استخدمت فى التحليل النصى المعرفى والتفاعل فى تلك المباحث من درس نصوص أخرى وتحديد وظائفهما فى سياقات اجتماعية مختلفة ومبادئها النصية والمعرفية .

رقم الإيداع ٦٨١٥

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٢٥٤٢٠٧٩